نوادر الكرام

في

الجاهلية والاسلام

وهو يحتوي على اشهى نوادر السخاء التي جرت ايام
البرامكة ومن جاراهم من الكرماء كمعن بن
زائدة وحاتم الطائي والخلفاء وغيرهم

لجامعه

ابرهيم زيدان

كم قلوب مازجتها دماء * وقلوب ذابت لها الاحشاء
كاد يفضي الاسى عليها بموت * فوقتها بكفها الكرماء

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

893.712 J979t

Columbia University
in the City of New York

LIBRARY

Zaidan, Jurji
"Nawādir al-Kirām"
16-12369

نوادر الكرام

في

الجاهلية والاسلام

وهو يحتوي على اشهى نوادر السخاء التي جرت ايام
البرامكة ومن جاراهم من الكرماء كمعن بن
زائدة وحاتم الطائي والخلفاء وغيرهم

لجامعه

ابراهيم زيدان

كم دموعٍ قد مازجتها دماء * وقلوبٍ ذابت لها الاحشاء
كاد يقضي الاسى عليها بموتٍ * فوقتها بكفها الكرماء

« طبع بمطبعة (الهلال) بمصر وعلى نفقتها سنة ١٨٩٩ »

COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARY
893.712
J9794

مقدمة

لجامع الكتاب

ما عبس وجه فقير او أقطب حاجب معوز الاَّ وكان البخل سببهُ والامساك باعثاً عليهِ كأن يد البخيل مطبقة آلة كهربائية يمتد مجراها الى وجه كل طالب محتاج فيؤثر فيه دلائل الاسى وينقل اليه شكلها المنقبض فيعود ذلك المسكين بقلب منكسرٍ ونفس صغيرة يتهدده الجوع وما من مدافع وينتابهُ الهلاك وما من ناظر اليه او عاطف عليه فيكاد يقضي بين ذلك لولا يد كريم تغار عليه فتنشلهُ من هوة الفقر والهلاك بآلة تسطو على تلك الآلة الكهربائية وهي « الاحسان » فتبطل تأثيرها ببعض دريهمات يبتسم لها وجه من عبثت به يد الاقدار وينشرح لاجلها صدر من ضيقت عليه عوامل القضاء فيكون قد خلَّص نفساً كادت تفارق الحياة بما يكسبهُ ثناء اهل الارض واجرًا عظيماً من رب السماء . وهاك ما ورد في مدح الكرام وذم البخل

وما ضاع مال اورث الحمد اهلهُ ولكن امول البخيل تضيعُ

وليست ايادي الناس عندي غنيمة ورب يد عندي اشد من الاسرِ

اذا كنت جماعًا لمالك ممسكًا فانت عليهِ خازن وامينُ
تؤدبهِ مزمومًا الى غير حامدٍ فيأكلهُ عفوًا وانت دفينُ

ويظهر عيب المرء في الناس بخلهُ ويحجبهُ عنهم جميعاً سخاؤهُ
تردّى بثوب السخاء فانني أرى كل عيب فالسخاء غطاؤهُ

أترجو ان تسود بلا عناء وكيف يسود ذو الدعة البخيلُ

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امرىء والدراهمُ
ولم ارَ كالمعروف تدعى حقوقهُ مغارم في الاقوام وهي مغانمُ

ليس يعطيك للرجاء ولا للـ ـخوف لكن يلذ طعم العطاء

فانك لا تدري اذا جاء سائل أأنت بما تعطيهِ ام هو اسعدُ

من يفعل الخير لا يعدم جوازيهُ لا يذهب العرف بين الله والناسِ

يد المعروف غنمٌ حيث كانت تحملها كفور ام شكورُ
ففي شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفورُ

خلٌ اذا جئتهُ يوماً لتسألهُ اعطاك ما ملكت كفاهُ واعتذرا
يخفي صنائعهُ والله يظهرها ان الجميل اذا اخفيتهُ ظهرا

اعمل الخير ما استطعت وإن كا ن قليلاً فلن تحيط بكلهِ

ان الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنعِ
فاذا صنعت صنيعة فاعمل بهـا لله او لذوي القرابة اودعِ

لعمرك ما المعروف في غير اهلهِ وفي اهلهِ الاّ كبعض الودائعِ
فمستودع ضاع الذي كان عندهُ ومستودع ما عندهُ غير ضائعِ

وما الناس في شكر الصنيعة عندهم ... وفي كفرها الا كبعض المزارع
فمزرعة طابت واضعف نبتها ... ومزرعة اكدت على كل زارع

ابقيت مالك ميراثا لوارثه ... فليت شعري ما ابقى لك المالُ
القوم بعدك في حال تسرهمُ ... فكيف بعدهم حالت بك الحالُ
ملوا البكاء فما يبكيك من احد ... واستحكم القول في الميراث والقالُ
ألهتهم عنك دنيا اقبلت لهمُ ... وادبرت عنك والايام احوالُ

اذا كنت ذا مال ولم تك ذا ندى ... فانت اذًا والمقترون سواء
على ان في الاموال يومًا تباعةً ... على اهلها والمقترون براء

لابي مسلم الخولاني

ان المكارم كلها حسن ... والبذل احسن ذلك الحسنِ
كم عارف بي لست اعرفهُ ... ومخبر عني ولم يرني
يأتيهم خبري وان بعدت ... داري وبوعد عنهم وطني
اني لحر المال ممتهنٌ ... ولحر عرضي غير ممتهنِ

ولعبد العزيز بن مروان

اذا طارقات الهم صاحبت الفتى ... واعمل فكر الليل والليل عاكرُ
وباكرني في حاجة لم يجد لها ... سواي ولا من نكبة الدهر ناصرُ
فرجت بمالي همه عن كرامةٍ ... وذاولة الهم الطروق المساورُ
وكان له فضل عليّ بظنهِ ... بي الخير اني للذي ظن شاكرُ

ولغيره

من ظن بالله خيرًا جاد مبتدءًا ... والبخل من سوء ظن المرء بالله

ولغيره مضمنًا قول بزرجمهر

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ... فليس ينقصها التبذير والسرفُ

وان تولّت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلفُ

وقيل ايضاً

يا من تجلد للزما ن اما زمانك منك اجلد
سلط نهاك على هـوا ك وعد يومك ليس من غد
ان الحياة مزارع فازرع بها ما شئت تحصد
والناس لا يبقى سوى آثارهم والعين تنقد
اوما سمعت بمن مضى هذا يذمُّ وذاك يحمد
المال ان اصلحتهُ يصلح وان افسدت يفسد

ولحاتم الطائي

اضاحك ضيفي قبل انزال رحلهِ ويخصب عندي والمكان جديبُ
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجهُ الكريم خصيبُ

ولبكر بن النطاح

اقول لمرتادِ الندى عند مالكٍ تمسك بجدوى مالك وصلاتهِ
فتىً جعل الدنيا وفاء لعرضهِ فاسدى بها المعروف قبل عداتهِ
فلو بددت اموالهُ جود كفهِ لقاسم من يرجوه شطرَ حياتهِ
وان لم يجز في العمر قسمٌ لمالكٍ وجاز له اعطاه من حسناتهِ
وجاد بها من غير كفرٍ بربهِ واشركهُ في صومهِ وصلاتهِ

ولآخر

ملأت يدي من الدنيا مرارًا وما طمع العوازل في افتقادي
ولا وجبت عليَّ ذكاة مالٍ وهل تجبُ الذكاة على الجمادِ

ولغيره

عطاءك لا يفنى ويستغرق الثنا وتبقى وجوهُ الراغبين بمائها

ولابن عبد ربه

كريمٌ على العلات جزلٌ عطاءهُ يثيب وان لم يعتمد لنوالِ

وما الجود من يعطي اذا ما سألته ولكن من يعطي بغير سؤال

وللحسن بن هاني

فان تولني منك الجميل فأهله والاّ فاني عاذرٌ وشكورُ

ولحاتم الطائي

قد تأولت فيك قول رسول الله اذ قال مفصحًا افصاحا
ان طلبتم خمائجًا عند قوم فتنقلوا لها الوجوهَ الصباحا
فلعمري لقد تنقيت وجهًا ما به خاب من اراد النجاحا

﴿ واليك ما ورد في مدح الكرم وذم البخل ﴾

قال اكثم بن صيفي حكيم العرب : ذللوا اخلاقكم للمطالب وقودوها الى المحامد وعلموها المكارم ولا تقيموا على خلق تذمونه من غيركم وصِلوا من رغب اليكم وتحلوا بالجود يلبسكم المحبة ولا تعتقدوا البخل فيوافيكم الفقر . وقال خالد بن عبدالله القسري وهو على المنبر : ايها الناس عليكم بالمعروف فان الله لا يعدم فاعلهُ جوازيهِ وما ضعفت الناس عن ادائهِ قوّى الله على جزائهِ . وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر من رزقهُ الله رزقًا حسنًا فلينفق منهُ سرًّا وجهرًا حتى يكون اسعد الناس بهِ فانما يترك ما ترك لاحد رجلين اما المصلح فلا يقل عليهِ شيء واما المفسد فلا يبقى لهُ شيء . قال بزرجمهر اذا اقبلت عليك الدنيا فانفق منها فانها لا تبقى . وكان كسرى يقول : عليكم باهل السخاء والشجاعة فانهم اهل حسن الظن بالله ولو ان اهل البخل لم يدخل علي من ضرر بخلهم ومذمة الناس لهم واطباق القلوب على بغضهم الاّ سوء ظنهم بربهم في الخلف لكان عظيماً . وقال عبدالله بن عباس : سادات الناس في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الانقياء . وقيل لابي عقيل البليغ العراقي كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة اليهِ قال رأيت رغبتهُ في الانعام فوق رغبتهِ في الشكر وحاجتهُ الى قضاء الحاجة اشد من حاجة صاحب الحاجة . وقالت اسماء بنت خارجة : احب ان لا ارد احدًا في حاجةٍ طلبها لانهُ لا يخلو ان يكون كريمًا فاصون لهُ عرضهُ او يكون لئيماً فاصون عرضي عنهُ . وقيل : الايام مزارع فما زرعت فيها تحصد . وقال الاحنف بن قيس : ما اذخرت الآباء للابناء

ولا ابقت الموتى للاحياء شيئاً افضل من اصطناع المعروف عند ذوي الاحساب . وقيل : احي معروفك باماتة ذكره وعظمه بالتصغير له . وقالت الحكماء : من تمام كرم المنعم التغافل عن جحدو والاقرار بالفضيلة لشاكر نعمتو . وقيل ايضاً : المعروف ثلاث خصال : تعجيله وتيسيره وتستيره فمن اخل بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه وسقط عنه الشكر . والنبي (صلعم) من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليو فان لم يقم بتلك المؤونة عرض النعمة للزوال . وقال جعفر بن محمد لله خلقاً من رحمتو برحمتو لرحمتو وهم الذين يقضون حوائج الناس فمن استطاع منكم ان يكون منهم فليكن . وقال الامام علي (رضه) لاصحابو : من كانت له اليّ منكم حاجة فليرفعها في كتاب لاصون وجوهكم عن المسئلة . وقيل من بذل اليك وجهه فقد وفاك حق نعمتك . وقيل اكمل الخصال ثلاث : وقار بلا مهابة وسماح بلا طلب مكافأة وحلم بغير ذل . وقيل ايضاً : السخي من كان مسروراً ببذلو متبرعاً بعطائو لا يلتمس عرض دنيا فيحبط عملة ولا طلب مكافأة فيسقط شكره ويكون مثلة مثل الصائد الذي يلقي الحب للطائر لا يريد نفعها ولكن نفع نفسو

﴿ محتويات كتاب نوادر الكرام ﴾

القسم الاوّل في نوادر البرامكة
« الثاني « « معن بن زائدة
« الثالث « « حاتم الطائي
« الرّابع « « الخليفة المهدي
« الخامس « « « هرون الرشيد
« السادس « « الامين والمأمون
« السابع « « متفرقة في الكرم

القسم الاول

﴿ في نوادر البرامكة ﴾

الفضل بن يحيى وزائره

بينما كان الفضل بن يحيى في مجلسهِ محاطًا بالوزراء والاعضاد اتاه الحاجب فقال ان بالباب رجلاً قد اكثر في طلب الاذن وزعم ان لهُ يدًا عليك يكاد يميتهُ كتمانها — فقال ادخلهُ فدخل رجل جميل رث الثياب فسلم بافصح لسان فاومأ اليهِ بالجلوس فجلس فسألهُ ما حاجتك . قال هل رأيت ما انا عليهِ من رثاثة الثياب وضيق ذات اليد . قال اجل فما الذي لك علينا وقد كاد يقضي عليك كتمانهُ . قال ولادة تقرب من ولادتك وجوار يدنو من جوارك واسم مشتق من اسمك . قال اما الجوار فقد يمكن حصول ما ذكرت وقد يوافق الاسم الاسم ولكن ما علمك بالولادة . قال اعلمتني امي ان يوم ولادتي كان موافقًا يوم ولادتك وان والدك سماك الفضل فسمتني فضيلاً اعظامًا لاسمك وخشية ان الحق بعالي مجدك فتبسم الفضل وقال كم اتى عليك من السنين . قال خمس وثلاثون . قال صدقت هذا المقدار الذي اتيت عليهِ فما حال امك . قال توفيت رحمها الله . قال فما منعك عن اللحوق بنا فيما مضى . قال لم ارض بمقابلتك في زمن حداثتهِ يقعدني عن لقاء الملوك . قال يا غلام اعطهِ لكل عام من سنيهِ الفًا واعطهِ من كسوتنا ومراكبنا ما يصلح لهُ فلم يخرج من الدار الا وقد طاف بهِ اخوانهُ وخاصة اهلهِ

يحيى بن خالد واحد التجـار

اعترض الفضل بن يحيى بن خالد في وقت خروجه الى خراسان فتى من التجار كان شخص الى الكوفة فاخذ بعنان دابة الفضل وقال :

سأرسل بيتًا ليس في الشعر مثله ... يقطع اعناق البيوت الشوارد
اقام الندى والبأس في كل منزل ... اقام به الفضل بن يحيى بن خالد

فامر له بمائة الف درهم .

مروان بن ابي حفصة وزبيدة ابنة جعفر

قال ابو الجنوب مروان بن ابي حفصة ابياتًا ورفعها الى زبيدة ابنة جعفر يمتدح ابنها محمدًا وفيها يقول :

لله درّك يا عقيلة جعفر ... ماذا ولدت من العلا والسؤدد
ان الخلافة قد تبين نورها ... للناظرين على جبين محمد

فامرت ان يملأ فمه درًّا .

الفضل بن يحيى وابو علي بن الجهم

قال ابو علي بن الجهم اصبحت يومًا وانا في غاية من الضيقة ما اهتدي الى دينار ولا درهم ولا املك الا دابة عجفاء وخادمًا خلقًا وطلبت الخادم فلم اجده ثم جاء فقلت اين كنت فقال في اجتهاد شيء لك وعلف لدابتك فوالله ما قدرت عليه فقلت اسرج لي دابتي فاسرجها فركبت فلما صرت في سوق يحيى اذا انا بموكب عظيم واذا الفضل بن يحيى فلما ابصرني قال سر فسرت قليلاً وحجز بيني و بينه غلام يحمل طبقًا على باب ينادي جارية فوقف الفضل طويلاً . ثم قال سر فسرت . ثم قال تدري ما سبب وقفتي . قلت ان رأيت ان تعلمني . قال كانت لاختي جارية وكنت احبها حبًا شديدًا واستحي من اختي ان اطلبها منها فقطنت اختي لذلك فلما كان هذا اليوم ألبستها وزينتها وبعثت بها اليّ فما كان من عمري يوم اطيب من يومي هذا فلما كان هذا الوقت جاءني رسول امير المؤمنين فازعجني وقطع لذتي ولما صرت الى

هذا المكان دعا هذا الغلام صاحب الطبق باسم تلك الجارية فارتحت الى ندائهِ . فقلت اصابك ما اصاب اخا بني عامرٍ حيث قال :

وداعٍ دعى اذ نحن بالخيف من منى فهيج احزان الفؤاد وما يدري
دعى باسم ليلى غيرها فكانما اطار بليلى طائرًا كان في صدري

فقال اكتب لي هذين البيتين فعدلت لاطلب ورقة اكتب له هذين البيتين فيها فلم اجد فرهنت خاتمي عند بقالٍ واخذت ورقة وكتبتهما وادركتهُ بها . فقال لي ارجع الى منزلك فرجعت ونزلت . فقال لي الخادم اعطني خاتمك ارهنهُ على قوتنا . فقلت قد رهنتهُ فما امسيت حتى بعث لي بثلاثين الف درهم جائزة وعشرة آلاف سلفًا عن شهر برزق اجراه لي في كل شهر .

جعفر والرشيد

لما غضب الرشيد على البرامكة اصيب في خزانة لجعفر جرة فيها الف دينار ونيف كل دينار منها وزنهُ مائة مثقال ومثقال على احد جانبي كل دينار منها مكتوبٌ :

واصفر من ضرب دار الملوكِ يلوح على وجههِ جعفرُ
يزيدُ على مائةٍ واحدٌ متى تعطهِ معسرًا يوسرُ

ابن العلويّ والفضل

قال عبدُ الله بن العلويّ : اتيت الفضل بن يحيى فاكرمني واجلسني معهُ على فراشهِ فكلمتهُ في دَيني ليكلم امير المؤمنين في قضائهِ عني . قال وكم دينك . قلت ثلاثمائة الف درهم . قال نعم . فخرجت من عندهِ وانا مغموم لضعف ردّهِ علي فمررت ببعض اخواني مستريحًا اليهِ ثم صرت الى منزلي فوجدت المال قد سبقني من مالهِ خاصةً .

هبات الفضل بن يحيى

وهب الفضل لطباخهِ مائة الف درهم فعاتبهُ ابوهُ في هذا . فقال ان هذا صحبني

وانا لا أملك شيئًا واجتهد في نصيحتي وقال الشاعر :

ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا من كان يصحبهم في المركب الخشن

ابان بن عبد الحميد مع البرامكة

قيل ان ابان بن عبد الحميد الشاعر مولى لبني (رقاش) قدم بغداد واتصل بالبرامكة وعمل كتاب كليلة ودمنة شعرًا وله قصائد ومدائح في الرشيد والفضل ابن يحيى .

ويقال ان كل كلام نقل الى الشعر فالكلام افصح منه الاّ هذا واول قصيدته هذه قوله :

هذا كتاب ادب وعظة وهو الذي يدعى كليله ودمنه

وعددها اربعة عشر الف بيت مزدوجة في ثلاثة اشهر . قال فاعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار واعطاهُ الفضل خمسة الف دينار . فتصدق بثلث المال الذي اخذه .

حسن شمائل يحيى بن خالد

من كلامه ان من بلغ رتبة فتاه بها فاعلم ان محلة دونها . وقال يدل على كرم المرء سوء ادب غلمانه . وقال لابنه خذ من كل علم طرفًا فان من جهل شيئًا عاداه . وقال ثلاثة اشياء تدل على عقول اربابها الهدية والكتاب والرسول . وكان يقول لاولاده اكتبوا احسن ما تسمعون واحفظوا احسن ما تكتبون وتحدثوا باحسن ما تحفظون . وكان يقول اذا اقبلت الدنيا فانفق فانها لا تغني واذا ولت فانفق فانها لا تبقي واليه اشار الشاعر .

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها على الناس طرًّا قبل ان تتفلّتِ
فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ولا البخل يبقيها اذا هي ولّت

وكان صِلات يحيى اذا ركب لمن يعرض له في طريقه مائتا درهم فركب ذات يوم فعرض له اديب شاعر فقال له

يا سميَّ الحصور يحيى اتيحت لك من فضل ربنا جنتان

كلّ من مرّ في الطريق عليكم فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلي قليلٌ هي منكم للعابر العجلانِ

قال يحيى صدقت فأمر بحملهِ الى دارهِ . فلما رجع من دار الخليفة سأله عن حالهِ . فذكر له انهُ كان تزوّج وحلف بطلاق من ثلاث اما ان يؤدي المهر وهو اربعة آلاف واما ان يطلق واما ان يقيم مجريًا للمرأة ما يكفيها الى ان يتهيأ لهُ نقلها . فأمر لهُ يحيى باربعة آلاف للمهر واربعة آلاف ثمن منزل واربعة آلاف للبنية واربعة آلاف لما يحتاج اليهِ واربعة آلاف ليستظهر بها فأخذ عشرين الف درهم

مديح يحيى بن خالد

وكان يحيى بن خالد يجري على سفيان بن عيينة كل نهار الف درهم فلما مات يحيى كان سفيان يقول في سجودهِ اللهم انّ يحيى بن خالد كفاني امر دنياي فاكفهِ امر آخرتهِ

حديث البرامكة في السجن

قال بن خالد البرمكي لابيهِ يحيى وهم في القيود ولبس الصوف والحبس يا ابتاه بعد الامر والنهي والاموال العظيمة اصارنا الدهر الى القيود ولبس الصوف والحبس فقال لهُ ابوهُ يا بني دعوة مظلوم سرت بليلٍ غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها ثم انشأ يقول

ربّ اقوامٍ غذوا في نعمة زمنًا والدهر ريّانٌ غدق
ملكت الدهر زمانًا عنهمُ ثم ابكاهم دمًا حين نطق

جعفر البرمكي واحمد بن جنيد

قال احمد بن جنيد الاسكافي وكان احضر الناس بجعفر البرمكي خص فكان الناس يقصدونهُ في حوائجهم الى جعفر . وان رقاع الناس كثرت في خف احمد ابن الجنيد فلم تزل الى ان تهيأ لهُ الخلوة بجعفر فقال لهُ جعلني الله فداءك قد كثرت رقاع الناس معي واشغالك كثيرة وانت اليوم خالٍ فان رأيت ان

تنظر فيها . قال له جعفر على ان تقيم عندي اليوم فقال نعم وصرف دوابه واقام عنده فلما تغدى جاءه بالرقاع فقال له هذا وقت راحة فدعنا اليوم . فامسك عنه وانصرف فلم ينظر في الرقاع . فلما كان بعد ايام خلا به فاذكره . فقال نعم على ان تقيم عندي اليوم فاقام عنده . ففعل به مثل الفعل الاول حتى فعل به ذلك ثلاثا . فلما كان في آخر يوم اذكره فقال دعني الساعة وناما . فانتبه جعفر قبل احمد بن الجنيد فقال لخادم له اذهب الى خف احمد فجئني بكل رقعة فيه ولا يعلمه احمد فذهب الغلام وجاء بالرقاع فوقع جعفر فيها عن آخرها بخطه بما احب اصحابها ووكد ذلك ثم امر الغلام ان يردها الى الخف فردها فانتبه احمد فلم يقل له فيها شيئا وانصرف بها اياما . قال احمد بن جنيد لكاتبه ويحك هذه الرقاع قد اخلقت خفي وهذا ليس ينظرها فتصفحها وجدد ما اخلق منها . فاخذها الكاتب فنظر فيها فوجد الرقاع موقعا عليها بما سأل اصحابها واكثر فتعجب من كرمه ونبل اخلاقه ومن انه قضى حاجته ولم يعلم بها لئلا يظن انه اعتد بها عليه

جود خالد بن برمك

روى الجاحظ قال : كان اصحابنا يقولون لم يكن يرى لجليس خالد بن برمك دارا الا خالد قد بناها ولا ضيعة الا وهو قد اشتراها ولا ولدا الا وهو اشترى امه ان كانت امة وامهرها ان كانت حرة ولا دابة الا هي من دوابه . وكان خالد البرمكي اول من سمى اهل الاسماحة والاسترفاد الزوار فقال بعض من قصده

حذا خالد في جوده حذو برمك ... فمجد له مستطرف وتليل
وكانوا بنو الاعدام يدعون قبلة ... بلائط على الاعدام فيه دليل
يسمون بالسوال في كل موطن ... وان كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار سترا عليهم ... واستاره في المجتدين سدول

العطايا الثلاث

التي وهبها الرشيد ويحيى وولداه

حج هارون الرشيد مرة ومعه يحيى بن خالد وولداه الفضل وجعفر . فلما وصلوا الى المدينة جلس الرشيد ومعه يحيى فاعطيا الناس . وجلس الامين ومعه الفضل بن يحيى فاعطيا الناس . وجلس المأمون ومعه جعفر فاعطيا الناس . فاعطوا في تلك السنة ثلاث اعطيات ضربت بكثرتها الامثال . وكانوا يسمونه عام الاعطيات الثلاث واثرى الناس بسبب ذلك

الفضل بن يحيى والشاعر

ولاه الرشيد خراسان . فخرج اليه ابو الهول الشاعر مادحاً معتذراً من شعر كان هجاه به فانشده

سرى نحوه من غضبة الفضل عارض ... له لجة فيها البوارق والرعدُ
وكيف ينام الليل ملق فراشه ... على مدرج يعتاده الاسد الوردُ
وما لي الى الفضل بن يحيى بن خالد ... من الجرم ما يخشى على مثله الحقدُ
فجد بالرضى لا ابتغي منك غيره ... وداً بك فيما كنت عودتني بعدُ

فقال له الفضل : لا احتمل تفريقك بين رضاي واحساني وهما مقرونان فان اردتهما معاً والاّ فدعهما معاً . ثم وصله ورضي عنه

الفضل واسحاق الموصلي والجارية

حدث اسحق بن ابراهيم الموصلي قال : كنت قد ربيت جارية وثقفتها وعلمتها حتى برعت ثم اهديتها الى الفضل بن يحيى . فقال لي يا اسحاق ان رسول صاحب مصر قد ورد الي يسألني حاجة اقترحها عليه فدع هذه الجارية عندك فاني سأطلبها واعلمه اني اريدها فانه سوف يحضر اليك ويساومك فيها فلا تأخذ فيها اقل من خمسين الف دينار : قال اسحق فمضيت بالجارية الى منزلي فجاء الي رسول صاحب مصر وسألني عن الجارية فأخرجتها اليه . فبذل

فيها عشرة آلاف دينار فامتنعت . فصعد الى عشرين الف دينار فامتنعت . فصعد الى ثلاثين الفاً فما ملكت نفسي حتى قلت له بعتك وسلمت الجارية اليه وقبضت المال . ثم انني اتيت من الغد الى الفضل بن يحيى فقال : يا اسحق بكم بعت الجارية . قلت بثلاثين الف دينار . قال الم اقل لك لا تأخذ منه اقل من خمسين الفاً . قلت فداك ابي وامي والله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين : فتبسم ثم قال : ان رسول صاحب الروم قد سألني ايضاً حاجة وسأقترح عليه هذه الجارية وادله عليك فخذ جاريتك وانصرف الى منزلك فاذا ساومك فيها فلا تأخذ منه اقل من خمسين الف دينار

فاخذت الجارية وانصرفت الى منزلي . فاتاني رسول صاحب الروم وساومني في الجارية . فطلبت خمسين الفاً فقال : هذا كثير ولكن تاخذ مني ثلاثين الفاً : فوالله ما ملكت نفسي منذ سمعت لفظة ثلاثين الفاً حتى قلت له بعتك . ثم قبضت المال منه وسلمت الجارية اليه . ومضيت من الغد الى الفضل بن يحيى فقال : ماصنعت وبكم بعت الجارية يا اسحق . قلت بثلاثين الفاً . فقال سبحان الله ما اوصيتك ان لا تاخذ فيها اقل من خمسين الفاً . قلت جعلت فداك والله اني لما سمعت قولة ثلاثين الفاً استرخت جميع اعضائي . فضحك وقال خذ جاريتك واذهب الى منزلك ففي غدٍ يجيء اليك رسول صاحب خراسان فقوّ نفسك ولا تاخذ منه اقل من خمسين الفاً

قال اسحق : فاخذت الجارية ومضيت الى منزلي . فجاءني رسول صاحب خراسان وساومني فيها . فطلبت خمسين الفاً فقال لي هذا كثيرٌ ولكن تاخذ ثلاثين الفاً فقويت نفسي وامتنعت . فصعد معي الى اربعين الف دينار . فكاد عقلي يذهب من الفرح ولم اتمالك ان اقول له بعتك . فاحضر المال واقبضته وسلمت الجارية اليه . ومضيت من الغد الى الفضل فقال لي : بكم بعت الجارية . قلت باربعين الفاً . ووالله لما سمعتها منه كاد عقلي يذهب . وقد حصل عندي جعلت فداك مائة الف دينار ولم يبق لي امل فاحسن الله جزاءك . فامر بالجارية فاخرجت الي وقال : يا اسحق خذ جاريتك وانصرف . قال اسحق : فقلت هذه الجارية والله اعظم الناس بركة فاعتقتها وتزوجتها فولدت لي اولادي

عمر بن العباس والفضل

قيل ان محمد بن العباس حضر يوماً عند الفضل بن يحيى ومعه سفط فيه جوهر وقال له : ان حاصلي قد قصر عما احتاج اليه وقد علاني دين مقداره الف الف درهم واني استحي ان اعلم احداً بذلك وآنف ان اسأل احداً من التجار ان يقرضني ذلك وان كان معي رهن بفي بالقيمة . ابقاك الله لك تجار يعاملونك . وانا اسالك ان تقرض لي من احدهم هذا المبلغ وتعطيه هذا الرهن . فقال له الفضل السمع والطاعة ولكن تنضي هذه الحاجة ان تقيم عندي اليوم فاقام عنده . ثم ان الفضل اخذ السفط منه وهو مختوم بختمه وارسل معه الف الف درهم وانفذ الدراهم والسفط الى منزله واخذ خط وكيله بقبضه . فاقام محمد في دار الفضل الى آخر النهار . ثم انصرف الى داره فوجد السفط ومعه الف الف درهم . فسرّ بذلك سروراً عظيماً . فلما كان من الغد بكر الى الفضل ليشكره على ذلك فوجده قد بكر الى دار الرشيد . فمضى محمد الى دار الرشيد فحين علم به خرج بباب اخر ومضى الى منزله . فمضى محمد اليه واجتمع به وشكره على فعله وقال : اني بكرت اليك لاشكرك على احسانك فقال له الفضل : اني فكرت في امرك فرأيت ان هذه الالف الفاً التي حملتها امس اليك تنضي بها دينك ثم تحتاج اليه فتفترض فبعد قليل يعلوك مثلها . فبكرت اليوم الى امير المؤمنين وعرضت عليه حالك واخذت لك منه الف الف درهم اخرى فلما حضرت الى باب امير المؤمنين خرجت انا بباب آخر وكذلك فعلت لما حضرت الى باب ابي لانني ما كنت اوثر ان الفاك حتى يحمل المال الى منزلك وقد حمل فقال له محمد بأي شيء اجازيك على هذا الاحسان ما عندي شيء اجازيك به الاّ اني التزم بالايمان المؤكدة وبالطلاق والعتاق والحج اني ما اقف على باب غيرك ولا اسأل سواك . قيل وحلف محمد ايماناً مؤكدة وكتب بها خطه واشهد به عليه ان لا يقف بباب غير الفضل بن يحيى . فلما ذهبت دولة البرمكة وتولى الفضل بن الربيع الوزارة بعدهم احتاج محمد فقالوا له لو ركبت الى الفضل بن الربيع فلم يفعل والتزم باليمين فلم يركب الى احد ولم يقف على باب احد حتى مات

جعفر وعبد الملك بن صالح بن العباس

قيل ان جعفر بن يحيى البرمكي جلس يوماً للشرب واحب الخلوة . فاحضر ندمائه الذين يأنس بهم . وجلس معهم وقد هيء المجلس ولبسوا الثياب المصبغة وكانوا اذا جلسوا في مجلس الشراب واللهو لبسوا الثياب الحمر والصفر والخضر ثم ان جعفر بن يحيى تقدم الى الحاجب ان لا ياذن لاحد من خلق الله تعالى سوى رجل من الندماء كان قد تاخر عنهم اسمه عبد الملك بن صالح . ثم جلسوا يشربون ودارت الكاسات وخففت العيدان وكان رجل من اقارب الخليفة يقال له عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس وكان شديد الوقار والدين والحشمة . وكان الرشيد قد التمس منه ان يناديه و يشرب معه و بذل له على ذلك اموالاً جليلة فلم يفعل فاتفق ان هذا عبد الملك بن صالح حضر الى باب جعفر بن يحيى ليخاطبه في حوائج له . فظن الحاجب انه هو عبد الملك بن صالح الذي تقدم جعفر بن يحيى بالاذن له وان لا يدخل غيره . فاذن الحاجب له . فدخل عبد الملك بن صالح العباس على جعفر بن يحيى . فلما رآه جعفر كاد عقله ان يذهب من الحياء وفطن ان القضية قد اشتبهت على الحاجب بطريق اشتباه الاسم . وفطن عبد الملك ابن صالح ايضاً للقصة وظهر له الخجل في وجه جعفر بن يحيى . فانبسط عبد الملك وقال : لا باس عليكم احضروا لنا من هذه الثياب المصبغة شيئاً . فاحضر له قميص مصبوغ فلبسه وجلس يباسط جعفر بن يحيى ويمازحه وقال : اسقونا من شرابكم فسقوه رطلاً وقال : ارفقوا بنا فليس لنا عادة بهذا . ثم باسطهم ومازحهم وما زال حتى انبسط جعفر بن يحيى وزال انقباضه وحياؤه . ففرح جعفر بذلك فرحاً عظيماً وقال له ما حاجتك . قال جئت اصلحك الله في ثلاث حوائج اريد ان تخاطب الخليفة فيها . اولها أن عليّ ديناً مبلغه الف الف درهم اريد قضاءه . ثانياً اريد ولاية لابني يشرف بها قدره . وثالثها اريد ان تزوج ولدي بابنة الخليفة فانها بنت عمه وهو كفوًا لها . فقال جعفر بن يحيى : قد قضى الله هذه الحوائج الثلاث . اما المال ففي هذه المساء يحمل الى منزلك واما الولاية فقد وليت ابنك مصر . واما الزواج فقد زوجته فلانه ابنة مولانا امير المؤمنين على صداق مبلغه كذا وكذا

فانصرف في امان الله . فراح عبد الملك الى منزلهِ . فرأى المال قد سبقهُ . ولما كان من الغد حضر عند الرشيد وعرفهُ ما جرى وانهُ قد ولاه مصر وزوجهُ ابنتهُ . فعجب الرشيد من ذلك وامضى العقد والولاية . فما خرج جعفر من دار الرشيد حتى كتب لهُ التقليد بمصر واحضر القضاة والشهود وعقد العقد

في المكافأة

قال الحسن بن سهل : كنت يومًا عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلى في مجلسهِ لاحكام امر من امور الرشيد . فبينما نحن جلوس اذ دخل عليهِ جماعة من اصحاب الحوائج فقضاها لهم . ثم توجهوا لشأنهم فكان آخرهم قيامًا احمد بن ابي خالد الاحول فنظر يحيى اليهِ والتفت الى الفضل ابنهِ وقال : يا بني ان لابيك مع اب هذا الفتى حديثًا فاذا فرغت من شغلي هذا فذكرني احدثك فلما فرغ من شغلهِ وطعم قال لهُ ابنهُ الفضل : اعزك الله يا ابي امرتني ان اذكرك حديث ابي خالد الاحول . قال نعم يا بني لما قدم ابوك من العراق ايام المهدي كان فقيرًا لا يملك شيئًا فاشتد بهِ الامر الى ان قال لي من في منزلي ان كتمنا حالنا زاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة ايام ما عندنا شيء نقتات بهِ . قال : فبكيت لذلك يا بني بكاء شديدًا . وبقيت ولهان حيران مطرقًا مفكرًا ثم تذكرت منديلاً كان عندي فقلت لهم : ما حال المنديل . فقالوا هو باق عندنا . فقلت ادفعوه اليّ . فاخذتهُ ودفعتهُ الى بعض اصحابي وقلت لهُ : بعهُ بما يسر فباعهُ بسبعة عشر درهماً . فدفعتها الى اهلي وقلت انفقوها الى ان يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب ابي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوفًا على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبًا فلما رآني سلم علي وقال : كيف حالك . فقلت يا ابا خالد ما حال رجل يبيع من منزلهِ بالامس منديلاً بسبعة عشر درهماً . فنظر اليّ نظرًا شديدًا وما اجابني جوابًا . فرجعت الى اهلي كسير القلب واخبرتهم ما اتفق لي مع ابي خالد . فقالوا بئس والله ما فعلت . توجهت الى رجل كان يرتضيك لامر جليل فكشفت لهُ سرك واطلعتهُ على مكنون امرك فازريت عنهُ بنفسك وصغرت عندهُ منزلتك بعد ان كنت عندهُ جليلاً . فما يراك بعد اليوم

الاّ بهذه العين . فقلت قد قضي الامر الآن بما يمكن استدراكه . فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي : قد ذكرت الساعة بباب امير المؤمنين . فلم التفت لقوله . فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة الاول . ثم استقبلني حاجب ابي خالد فقال لي : اين تكون قد امرني ابو خالد باجلاسك الى ان يخرج من عند امير المؤمنين . فجلست حتى خرج . فلما رآني دعاني وامر لي بمركوب فركبت وسرت معه في منزله فلما نزل قال عليّ بفلانٍ وفلان الحناطين فاحضرا فقال لهما الم تفترا مني غلات السواد بثمانية عشر الف الف درهم . قالا نعم . قال الم اشترط عليكما شركة رجل معكما . قالا بلى . قال هو هذا الرجل الذي اشترطت شركته لكما . ثم قال لي : قم معهما . فلما خرجنا قالوا لي : ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون فيه الربح الهنيء . فدخلنا مسجداً فقالا لي : انك تحتاج في هذا الامر الى وكلاء وامناء وكيالين واعوان ومؤن لم تقدر منها على شيء فهل لك ان تبيعنا شركتك بمال نعجله لك فتنتفع به ويسقط عنك التعب والكلف . فقلت لهما وكم تبذلان لي . فقالا مائة الف درهم . فقلت لا افعل . فما زالا يزيداني وانا لا ارضى الى ان قالا لي ثلاثمائة الف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى اشاور ابا خالد . قالا ذلك لك . فرجعت اليه واخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتماه على ما ذكر . قالا نعم . قالا اذهبا فقبضاه المال الساعة . ثم قال لي اصلح امرك وتهيأ فقد قلدتك العمل . فاصلحت شأني وقلدني ما وعدني به . فمازالت في زيادة حتى صار امري الى ما صار . ثم قال لولده الفضل : يا بني فما تقول في ابن من فعل بابيك هذا الفعل وما جزاؤه . قال : حق لعمري وجب عليك له . فقال والله يا والدي ما اجد له مكافأة غير اني اعزل نفسي وأولاده . ففعل ذلك وهكذا يكون المكافأة

سعيد بن سالم الباهلي مع الفضل وجعفر

قال سعيد بن سالم الباهلي : اشتد بي الحال في مرض هارون الرشيد واجتمع علي ديون كثيرة اثقلت ظهري وعجزت عن قضائها وضاقت حيلي وبقيت متحيراً لا ادري ما اصنع حيث عسر علي اداؤها عسراً عظيماً . واحتطت ببابي ارباب الديون .

وتزاحم عليّ المطالبون ولازمني الوفاء فضاقت حيلي وازدادت فكرتي . فلما رأيت الامور متعسرة . والاحوال متغيرة . قصدت عبد الله بن مالك الخزاعي والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج بحسن تدبيره . فقال عبد الله بن مالك الخزاعي : لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك وضيمك وغمك الا البرامكة . فقلت ومن يقدر على احتمال تكبرهم ويصبر على تجبرهم . فقال تحمل ذلك لاجل اصلاح حالك فنهضت من عنده ومضيت الى الفضل وجعفر وادي يحيى بن خالد وقصصت عليهما قصتي . وابديت لهما حالتي . فقالا : اسعدك الله بموته واغناك عن خلقه بموته واجزل لك عظيم خيره وقام لك بالكفاية دون غيره انه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير

فانصرفت من عندهما ورجعت الى عبد الله بن مالك ضيق الصدر متحير الفكر منكسر القلب واعدت ما قالاه . فقال ينبغي ان تقيم اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى . فجلست عنده ساعة واذا بغلامي قد اقبل وقال : يا سيدي ان بابنا بغالاً كثيرة باحمالها ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل بن يحيى وجعفر بن يحيى . فقال عبد الله بن مالك : ارجو ان يكون الفرج قد اقبل عليك فقم وانظر ما الخبر . فنهضت من عنده واسرعت عدواً الى بيتي . فرأيت رجلاً معه رقعة مكتوب فيها : انك لما كنت عندنا وسمعنا كلامك توجهنا بعد خروجك الى الخليفة وعرفناه انه افضى بك الحال الى ذل السؤال فامرنا ان نحمل اليك من بيت المال الف درهم . فقلنا له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه ويؤدي بها دينه ومن اين يقيم وجه نفقاته . فامر لك بثلثمائة الف درهم اخرى وقد حمل اليك كل واحد منا من خالص ماله الف الف درهم فصارت الجملة ثلاثة آلاف الف وثلاثمائة الف درهم تصلح بها احوالك واموورك . فانظر الى هذا الكرم العظيم

الكتاب المزور

كان بين يحيى بن خالد وبين عبد الله بن مالك الخزاعي عداوة في السر ما كانا يظهرانها وسبب العداوة بينهما ان امير المؤمنين هارون الرشيد كان يحب عبد الله بن مالك محبة عظيمة بحيث ان يحيى بن خالد واولاده كانوا يقولون ان عبد الله يسحر

امير المؤمنين حتى مضى على ذلك زمان طويل والحقد في قلوبهما . فاتفق ان الرشيد قلّد ولاية ارمينية لعبد الله بن مالك الخزاعي وسيره اليها . فلما استقرّ في بختها قصده رجل من اهل العراق كان فيه فضل وادب وذكاء وفطنة الاّ انه ضاق ما بيده وفي ماله واضمحل حاله فزور كتاباً على يحيى بن خالد الى عبد الله بن مالك وسافر اليه في ارمينية

فلما وصل الى بابه سلم الكتاب الى بعض حجابه . فاخذ الحاجب الكتاب وسلمه الى عبد الله بن مالك الخزاعي . ففتحه وقراه وتدبر فعلمه انه مزور فامر باحضار الرجل فلما تمثل بين يديه دعا له واثنى عليه وعلى اهل مجلسه . فقال له عبد الله بن مالك : ما حملك مع بعد المشقة على مجيئك الي بكتاب مزور . ولكن طب نفساً فاننا لا نخيب مسعيك . فقال الرجل اطال الله بقاء مولانا الوزير ان كان ثقل عليك وصولي فلا تحتج في منعي بحجة فان ارض الله واسعة والرازق حي والكتاب الذي اوصلته اليك من يحيى بن خالد صحيح غير مزور . فقال عبد الله انا اكتب كتاباً لوكيلي ببغداد وآمره فيه ان يسأل عن حال هذا الكتاب الذي اتيتني به فان كان ذلك حقاً صحيحاً غير مزور فلدنك امارة بعض بلادي واعطيتك مائتي الف درهم مع الخيل والنجب الجليلة . وان كان الكتاب مزوراً امرت بان تضرب مائتي خشبة وان تحلق لحيتك ثم امر عبد الله ان يحمل الى حجرة وان يجعل له فيها ما يحتاج اليه حتى يحقق امره . ثم كتب كتاباً الى وكيله ببغداد مضمونه : انه قد وصل الي رجل ومعه كتاب يزعم انه من يحيى بن خالد وانا اسيء الظن بهذا الكتاب فيجب ان لا تهمل هذا الامر بل تمضي بنفسك وتحقق امر هذا الكتاب وتسرع الي برد الجواب لاجل ان نعلم صدقه من كذبه

فلما وصل اليه الكتاب ببغداد ركب من ساعته ومضى الى دار يحيى بن خالد فوجده جالساً مع ندمائه وخواصه . فسلم عليه وسلم اليه الكتاب . فقراه يحيى بن خالد ثم قال للوكيل : عد الي من الغد حتى اكتب لك الجواب . ثم التفت الى ندمائه بعد انصراف الوكيل وقال : ماجزاء من تحمل عني كتاباً مزوراً وذهب به الى عدوي . فقال كل واحد من ندمائه مقالاً وجعل كل واحد منهم يذكر نوعاً من العذاب . فقال لهم يحيى : قد اخطاتم فيما ذكرتم وهذا الذي اشرتم به من دناءة الهمم وخستها

وكلكم تعرفون منزلة عبد الله من امير المؤمنين وتعلمون ما بيني وبينه من الغضب والعداوة . وقد سبب الله تعالى هذا الرجل وجعله واسطة في الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليخمد نار الحقد من قلوبنا وهي تتزايد من مدة عشر بن سنة وتصلح واسطته شؤوننا . وقد وجب عليّ ان افي لهذا الرجل بتحقيق ظنونه واصلاح شؤونه واكتب له كتاباً الى عبد الله بن مالك الخزاعي مضمونه انه يزيد في اكرامه ويستمر على اعزازه واحترامه . فلما سمع الندماء ذلك دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه ووفور مروّته

ثم انه طلب الورقة والدواة وكتب الى عبد الله كتاباً بخط يده مضمونه :

بسم الله الرحمن الرحيم . وصل كتابك اطال الله بقاك وسررت بسلامتك وابتهجت باستقامتك وشمول سعادتك . وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر زوّر عني كتاباً ولم يحمل مني خطاباً . وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته وليس بمزور ورجائي من اكرامك واحسانك وحسن شيمتك ان تفي لذلك الرجل الحرّ الكريم باملهِ وامنيته وترعى له حق حرمتهِ وتوصله الى غرضهِ . وان تخصه منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان . ومهما فعلته فانا المقصود بهِ والشاكر عليهِ . ثم عنون الكتاب وختمه وسلمه الى الوكيل . فانفذ الوكيل الى عبد الله . فحين قرأه ابتهج بما حواه واحضر ذلك الرجل وقال له : اي الامرين الذين وعدتك بهما احب اليك لاحضره لك بين يديك . فقال الرجل : العطاء احب الي من كل شيء . فامر له بمائتي الف درهم وعشرة افراس عربية خمسة منها بالجلال الحرير وخمسة بسروج المواكب المحلاة . وبعشرين تختاً من الثياب وعشرة من المماليك ركاب خيل وما يليق بذلك من الجواهر الثمينة . ثم خلع عليهِ واحسن اليهِ ووجهه الى بغداد في هيئة عظيمة

فلما وصل الى بغداد قصد دار يحيى بن خالد قبل ان يصل الى اهلهِ وطلب الاذن في الدخول عليهِ . فدخل الحاجب الى يحيى وقال له : يا مولاي ان ببابنا رجلاً طاهر الحشمة جميل الخلقة حسن الحال كثير الغلمان يريد الدخول عليك . فاذن له بالدخول . فلما دخل عليهِ قبل الارض بين يديهِ . فقال له يحيى : من انت . فقال له الرجل : ايها السيد انا الذي كنت ميتاً من جور الزمان فاحييتني

من رمس النوائب ويعتقني الى جنة المطالب . انا الذي زوّرت كتاباً عنك واوصلته الى عبد الله بن مالك الخزاعي . فقال له يحيى : ما الذي فعل معك واي شيء اعطاك فقال اعطاني من يدك وجميل طويتك وشمول نعمك وعموم كرمك وعلو همتك وواسع فضلك حتى اغناني وخولني وهداني . وقد حملت جميع عطيته ومواهبه وها هي ببابك والامر اليك والحكم في يدك . فقال له يحيى : ان صنيعك معي اجمل من صنيعي معك ولك علي المنة العظيمة واليد البيضاء الجسيمة . حيث بدلت العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم بالصداقة والمودة . فها انا اهب لك من المال مثل ما وهب لك عبد الله بن مالك . ثم امر له من المال والخيل والتحوت بمثل ما اعطاه عبد الله . فعادت لذلك الرجل نعمته كما كانت بمروءة هذين الكريمين

شاعر البرامكة وابو نواس

حدث ابن مناذر قال : حج الرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة وحج معه الفضل بن الربيع وكان مضيفاً مملقاً . فهيأت فيه قولاً اجدت تنميقه وحسنت فيه . فدخلت اليه في يوم التروية واذا هو يسأل عني ويطلبني . فبادرني الفضل بن الربيع قبل ان اتكلم فقال : يا امير المؤمنين هذا شاعر البرامكة ومادحهم . وقد كان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت . فتنكر وعبس في وجهي . فقال الفضل : مره يا امير المؤمنين ان ينشدك قوله فيهم « اتانا بنو الاملاك من آل برمك »

فقال لي انشد . فابيت . فتوعدني واكرهني . فانشدته :

اتانا بنو الاملاك من آل برمك ... فياطيب اخبار ويا حسن منظرِ
اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد وتجلو لنا الدجى ... بمكة ما حجوا ثلاثة اقمرِ
فما خلقت الاّ لجود اكفهم ... واقدامهم الاّ لاعواد منبر
اذا راض يحيى الامر ذلت صعابه ... وناهيك من راعٍ له ومدبر
ترى الناس اجلالاً له وكأنهم ... غرانيق ماء تحت باز مصرصرِ

ثم اتبعت ذلك بان قلت : كانوا اولياءك يا امير المؤمنين ايام مدحتهم وفي

طاعنك لم يلحقهم سخطك ولم تحالل بهم نقمتك ولم اكن في ذلك مبتدعاً ولا خلا احد من نظرائي من مدحهم . وكانوا قوماً قد اظلني فضلهم واغناني رفدهم فاثنيت بما أولوا . فقال يا غلام الطم وجهه . فلطمت والله حتى سدرت واظلم ما كان بيني وبين اهل المجلس . ثم قال اسحبوه على وجهه

ثم قال : والله لاحرمنك ولا تركت احداً يعطيك شيئاً في هذا العام فسحبت حتى خرجت وانصرفت وانا اسوأ الناس حالاً في نفسي ومالي وما جرى عليّ . ولا والله ما عندي ما يقيم يومئذ قوت عيالي لعيدهم . فاذا بشاب قد وقف عليّ ثم قال : اعذر عليّ والله يا كبيرنا بما جرى عليك . ودفع الي صرة وقال : تبلغ بما في هذه . فظننتها دراهم فاذا هي ثلاثمائة دينار . فقلت له : من انت جعلني الله فداك . قال انا اخوك ابو نواس فاستعين بهذه الدنانير واعذرني . فقبلتها وقلت : وصلك الله يا اخي واحسن جزاءك

كرم يحيى بن خالد البرمكي

استدعى هارون الرشيد رجلاً من اعوانه يقال له صالح قبل الوقت الذي تغير فيه على البرامكة . فلما حضر بين يديه قال له : ياصالح سر الى منصور وقل له ان لنا عندك الف الف درهم والرأي قد اقتضى انك تحمل لنا هذا المبلغ في هذه الساعة . وقد امرتك يا صالح انه ان لم يحصل لك ذلك المبلغ من هذه الساعه الى قبل المغرب ان تزيل رأسه عن جسده وتأتيني به . فقال سمعاً وطاعة وسار الى منصور واخبره بما ذكر امير المؤمنين . فقال منصور قد هلكت فوالله ان جميع متعلقاتي وماتملكه يدي اذا بيعت بأغلى قيمة لا يزيد ثمنها على مائة الف فمن اين اقدر ياصالح على التسعمائة الف درهم الباقية . فقال له صالح : دبر لك حيلة تخلص بها عاجلاً والاّ هلكت . فاني لا اقدر اتمهل عليك لحظة بعد المدة التي عينها لي الخليفة ولا اقدر ان اخل بشيء مما امرني به امير المؤمنين . فاسرع بحيلة تخلص بها قبل ان تنصرم الاوقات . فقال منصور : اسألك من فضلك ان تحملني الى بيتي لاودع اولادي واهلي واوصي اقاربي . قال صالح فمضيت الى بيته فجعل يودع اهله وارتفع الضجيج في منزله وعلا البكاء والصياح والاستغاثة بالله تعالى . فقال صالح : قد خطر

بمالي ان الله يجعل لك الفرج على يد البرامكة فاذهب بنا الى دار يحيى بن خالد

فلما ذهب الى يحيى بن خالد اخبره بحاله . فاغتم لذلك واطرق الى الارض ساعة . ثم رفع رأسه واستدعى خازن داره وقال له : كم في خزينتنا من المال . فقال له مقدار خمسة آلاف درهم . فامر باحضارها . ثم ارسل رسولاً الى ولده الفضل برسالة مضمونها : انه قد عرض علي للبيع ضياع جليلة لا تخربت ابدًا فارسل لنا شيئًا من الدراهم . فارسل اليه الف الف درهم . ثم ارسل انسانًا آخر الى ولده جعفر برسالة مضمونها : انه قد حصل لنا شغل مهم ونحتاج فيه الى شيء من الدراهم فانفذ له جعفر في الحال الف الف درهم . ولم يزل يحيى يرسل اناسًا الى البرامكة حتى جمع منهم لمنصور مالاً كثيرًا . وصالح ومنصور لا يعلمان بهذا الامر فقال منصور ليحيى : يا مولاي قد تمسكت بذيلك وما اعرف هذا المال الاَّ منك كما هو عادة كرمك فتمم لي بقية ديني واجعلني عتيقك . فاطرق يحيى وبكى وقال : يا غلام ان امير المؤمنين قد كان وهب لجاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة . فاذهب اليها وقل لها ترسل لنا هذه الجوهرة . فمضى الغلام واتى بها اليه . فقال : يا صالح انا ابتعت هذه الجوهرة لامير المؤمنين من التجار بمائتي الف دينار . ووهبها امير المؤمنين لجاريتنا دنانير العوادة . واذا رآها معك عرفها واكرمك وحقن دمك من اجلنا اكرامًا لنا وقد تم الآن مالك يا منصور . (قال صالح) فحملت المال والجوهرة الى المنصور مني . فبينما نحن في الطريق اذ سمعته يتمثل بهذا البيت :

وما حبًا سعت قدمي اليهم ولكن خفت من ضرب النبال

فعجبت من سوء طبعه ورداءته وفساده . وخبث اصله وميلاده . ورددت عليه وقلت له : ما على وجه الارض خير من البرامكة ولا اخبث ولا اشر منك . فانهم اشتروك من الموت وانقذوك من الهلاك . ومنوا عليك بالفكاك ولم تشكرهم ولم تحمدهم ولم تفعل فعل الاحرار . بل قابلت احسانهم بهذا المقال

ثم مضيت الى الرشيد وقصصت عليه القصة واخبرته بجميع ما جرى . فتعجب الرشيد من كرم يحيى وسخائه ومروءته . وخساسة منصور ورداءته . وامر ان ترد الجوهرة الى يحيى بن خالد وقال : كل شيء قد وهبناه لا يجوز ان نعود فيه . وعاد

صالح الى يحيى بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعلهِ . فقال يحيى : يا صالح اذا كان الانسان مقلاً ضيق الصدر مشغول الفكر فمهما صدر منهُ لا يؤاخذ بهِ لانهُ ليس ناشئًا عن قلبهِ . وصار يتطلب العذر لمنصور . فبكى صالح وقال : لا يجري الفلك الدائر بابراز رجل الى الوجود مثلك . فما اسفاهُ كيف يتوارى من لهُ خالق مثل خالقك وكرم مثل كرمك تحت التراب . وانشد هذين البيتين :

بادر الى اي معروف هممت بهِ ... فليس في كل وقت يمكن الكرمُ
كم مانع نفسهُ امضاء مكرمة ... عند التمكن حتى عاقهُ الندمُ

جعفر البرمكي مع بائع الفول

حكي ان جعفر البرمكي لما صلبهُ هارون الرشيد امر بصلب كل من نعاه او رثاه . فكف الناس عن ذلك . فاتفق ان اعرابيًا كان ببادية بعيدة وفي كل سنة ياتي بقصيدة الى جعفر البرمكي فيعطيهِ الف دينار جائزة على تلك القصيدة . فياخذها و ينصرف و يستمر ينفق منها على عيالهِ الى آخر العام . فجاءهُ الاعرابي بالقصيدة على عادتهِ . فلما جاء وجد جعفر مصلوبًا . فجاء الى المحل الذي هو مصلوب فيهِ وناخ راحلتهُ وبكى بكاءً شديدًا وحزن حزنًا عظيمًا وانشد القصيدة ونام . فرأى جعفرًا البرمكي في المنام يقول لهُ : انك قد اتعبت نفسك وجئتنا فوجدتنا على ما رأيت ولكن توجه الى البصرة واسأل عن رجل اسمهُ كذا وكذا من تجار البصرة وقل لهُ : ان جعفرًا البرمكي يقرئك السلام و يقول لك : اعطني الف دينار بامارة الفولة . فلما انتبه الاعرابي من نومهِ توجه الى البصرة فسأل عن ذلك التاجر واجتمع بهِ . وبلغهُ ما قالهُ جعفر في المنام . فبكى التاجر بكاءً شديدًا حتى كاد يفارق الدنيا . ثم انهُ اكرم الاعرابي واجلسهُ عندهُ واحسن مثواه ومكث عندهُ ثلاثة ايام مكرمًا . ولما اراد الانصراف اعطاهُ الفًا وخمسمائة دينار وقال لهُ : الالف هي المأمور لك بها والخمسمائة اكرام مني اليك ولك في كل سنة الف دينار . وعندما حان انصراف الاعرابي قال للتاجر : بالله عليك ان تخبرني بخبر الفولة حتى اعرف اصلها . فقال لهُ اني كنت في ابتداء الامر فقيرالحال اطوف بالفول الحار في شوارع بغداد وابيعهُ حيلة على المعاش .

فخرجت في يوم باردٍ ماطر وليس على بدني ما يقيني من البرد فتارة ارتعد من شدة البرد وتارة اقع في ماء المطر وانا في حالة كريهة تقشعر منها الجلود . وكان جعفر في ذلك اليوم جالساً في قصر مشرف على الشارع وعنده خواصه . فوقع نظره علي فرق لحالي وارسل الي بعض اتباعه فاخذني اليه وادخلني عليه . فلما رآني قال لي : بع ما معك من الفول على طائفتي . فاخذت اكيلة بكيال كان معي . فكل من اخذ كيلة فول يملاها ذهباً حتى فرغ جميع ما معي ولم يبقى في القفة شيء . ثم جمعت الذهب الذي حصل لي على بعضه . فقال لي هل بقي معك شيء من الفول . قلت لا ادري . ثم فتشت القفة فلم اجد فيها سوى فولة واحدة فاخذها مني جعفر وفلقها نصفين . فاخذ نصفها واعطى النصف الثاني احدى نسائه وقال : بكم تشترين نصف هذه الفولة . قالت بقدر هذا الذهب مرتين . فصرت متحيراً في امري وقلت في نفسي هذا محال . فبينما انا متعجب واذ بالامراة امرت بعض جواريها فاحضرت ذهباً قدر الذهب المجتمع مرتين . فقال جعفر وانا اشتري النصف الذي اخذته بقدر الجميع مرتين . ثم قال لي جعفر : خذ ثمن فولك . وامر بعض خدامه فجمع المال كله ووضعه في قمتين فاخذته وانصرفت . ثم جئت الى البصرة واتجرت بما معي من المال فوسع الله عليّ ولله الحمد والمنة . فاذا اعطيتك في كل سنة الف دينار من بعض احسان جعفر ما ضرّني شيء . فانظر مكارم اخلاق جعفر والثناء عليه حيًّا وميتًا

حكم الوادي ويحيى بن خالد والجارية دنانير

قال حكم الوادي : دخلت يومًا على يحيى بن خالد فقال لي : يا ابا يحيى ما رأيك في خمسمائة دينار قد حضرت . قلت ومن لي بها . قال تلقي لحينك في « ذكرتك ان فاض الفراق بأرضنا » على دنانير . فها هي ذه . وهذا سلام واقف معك ومخرجها اليك . وانا راكب الى امير المؤمنين ولست انصرف من مجلس المظالم الى وقت الظهر . فكدها فيه . فاذا احكمتها فلك خمسمائة . فقالت دنانير : يا سيدي ابو يحيى يأخذ خمسمائة دينار وينصرف وانا ابقى معك اقاسيك عمري كله . فقال لها ان حفظتيه فلك الف دينار . وقام فمضى . فقلت لها يا سيدتي اشغلي نفسك بذا . فانكِ انت تهبين لي الخمسمائة دينار بحفظك اياه

وتفوز بن بالالف الدينار . والأبطل هذا . فلم ازل معها اكدُّها واغني ونغني حتى انصرف يحيى . فدعا بماء وطشت . ثم قال يا ابا يحيى غنِّ الصوت كما كنت تغنيه . فقلت هلكت . يسمعه مني وليس هو ممن يخفى عليه ثم يسمعه منها فلا يرضاه . فلم اجد بدًّا من الغناء . ثم قال شنو انت الآن فغنيت . فقال والله ما ارى الاَّ خيرًا . فقلت جعلت فداك انا امضغ هذا منذ اكثر من خمسين سنة كما امضغ الخبز وهذه اخذته الساعة وهو يذل لها بعدي وتجترئ عليه وتزداد حسنًا في صوتها . فقال صدقت . هات يا سلام له خمسمائة دينار ولها الف دينار . ففعل . فقلت له وحياتك يا سيدي لاشاطرنَّ استاذي الالف دينار . قال ذلك اليك . ففعلت . فانصرفت وقد اخذت بهذا الصوت الف دينار

اسحق التميمي الشاعر والفضل بن يحيى

هو عبدالله بن يعقوب ويكنى ابو محمد مولى بني تميم . حدث اسحق قال : كنت على باب الفضل بن يحيى فأتاني التميمي الشاعر بقصيدة في قرطاس وسألني ان اوصلها الى الفضل فنظرت فيها ثم خرقت القرطاس . فغضب ابو محمد وقال لي . اما كفاك ان استخففت بحاجتي ومنعتني ان ادفعها الى غيرك . فقلت له انا خيرٌ لك من القرطاس . ثم دخلت الى الفضل فلما تحدثنا قلت له : معي هدية وصاحبها بالباب وانشدته . فقال وكيف حفظتها . قلت الساعة دفعها اليَّ على الباب فحفظتها . فقال دع الآن . فقلت له . فادخله . فأدخل . فسأله عن القصة : فأخبره ثم خرج التميمي . فقلت خذ في حاجة الرجل . فقال اما اذا عنيت به فقد امرت له بخمسة آلاف درهم . فقلت له : اما اذا اقللتها فعجلها . فأمر بها فأحضرت . فقلت له : اليس لاعنائك اياي ثمن . قال نعم . قلت فهاته . قال لا ابلغ بك في الاعنات ما بلغت بالشاعر في المديح . فقلت فهات ما شئت . فأمر بثلاثة آلاف درهم فضمتها الى الخمسة الآلاف ووجهت بها اليه

ابرهيم الموصلي يستوهب بالغناء ثمن ضيعة من البرامكة

حدث مخارق قال : اشتغل الرشيد يومًا واصطبح واصطبحت السماء تطش طشًا

خفيفاً . فقلت والله لاذهبنّ الى استاذي ابرهيم فاعرف خبره ثم اعود . فامرت من عندي ان يصوروا مجلساً لنا الى وقت رجوعي . فجئت الى ابرهيم الموصلي فاذا بالباب مفتوح والدهليز قد كنس والبواب قاعد فقلت : ما خبر استاذي . فقال : ادخل فدخلت فاذا هو جالس في رواق له وبين يديهِ قدورٌ تغرغر وابارين تزهر والستارة منصوبة والجواري خلفها واذا قدامهُ طست فيهِ رطليه وكوز وكاس . فدخلت اترنم ببعض الاصوات وقلت له : مابال الستارة لست اسمع من ورائها صوتاً . فقال اقعد ويحك اني اصبحت على الذي ظننت فأتاني خبر ضيعة تجاورني كنت والله طلبتها زماناً وتمنيتها فلم املكها وقد اعطي بها مائة الف دينار . فقلت وما يمنعك منها والله لقد اعطاك الله اضعاف هذا المال واكثر . قال صدقت ولكن لست اطيب نفساً ان اخرج هذا المال . فقلت ومن يعطيك الساعة مائة الف درهم والله ما اطمع في ذلك من الرشيد فكيف من دونهِ . فقال اجلس خذ هذا العود . ونقر بقضيب معهُ على الدواة والقى علي هذين البيتين :

نام الخليون من هم ومن سقم ... وبت من كثرة الاحزان لم انم
ياطالب الجود والمعروف مجتهداً ... اعمد ليحيى حليف الجود والكرم

فاخذته فاحكمته . ثم قال لي : امض الساعة الى باب الوزير يحيى بن خالد فانك تجد الناس عليهِ وتجد الباب قد فتح ولم يجلس عليهِ بعد . فاستاذن عليهِ قبل ان يصل اليهِ احد فانهُ سينكر عليك مجيئك ويقول : من اين اقبلت في هذا الوقت . فحدثهُ بقصدك اياي وما انتهيت اليك من خبر الضيعة واعلمهُ اني صنعت هذا الصوت واعجبني ولم ار احداً يستحقهُ الا فلانة جاريتهُ واني انهيتهُ عليك حتى احكمتهُ لتطرحهُ عليها فيستدعي بها ويأمر بالستارة ان تنصب ويوضع لهُ كرسي ويقول لك : القهِ عليها بحضرتي فافعل واتني بالخبر بعد ذلك . (قال) فجئت باب يحيى فوجدتهُ كما وصف وسألني فاعلمتهُ ما امرني بهِ ففعل كل شيء قالهُ لي ابراهيم واحضر الجارية فالقيت عليها . ثم قال لي : تقيم عندنا يا ابا المهنا ام تنصرف . فقلت انصرف اطال الله بقاءك فقد علمت ما اذن لنا فيهِ . فقال يا غلام احمل مع ابي المهنا عشرة آلاف درهم واحمل الى ابي اسحق مائة الف درهم ثمن هذه الضيعة . فحملت العشرة آلاف درهم الي واتيت منزلي . فقلت اسر بوي هذا واسر من عندي . ومضى الرسول

اليه بالمال . فدخلت منزلي ونثرت على من عندي من الجواري دراهم من تلك البدرة وتوسدتها واكلت وشربت وطربت وسررت يومي كلهُ فلما اصبحت قلت: والله لآتين استاذي ولاعرفن خبره فاتيتهُ فوجدت الباب كهيئته بالامس ودخلت فوجدتهُ على مثل ما كان عليهِ فترنمت وطبت فلم ينطق ذلك بما يجب . فقلت لهُ ما الخبر الم يأتك المال . قال بلى فما كان خبرك انت بالامس . فاخبرتهُ بما كان وهب لي وقلت: ما كان ينتظر من تحت الستارة . فقال ارفع السجف فرفعتهُ فاذا عشر بدر . فقلت واي شيء بقي عليك في امر الضيعة . قال ويحك ماهو والله الا ان دخلت منزلي حتى شحت عليها فصارت مثل ما هويت قديمًا . فقلت سبحان الله العظيم فتصنع ماذا . قال قم حتى القي عليك صوتًا صنعتهُ يفوق ذلك الصوت فقمت وجلست بين يديهِ فالقى عليَّ :

ويفرح بالمولود من آل برمك ... بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتبسط الآمال فيهِ لفضلهِ ... ولا سيما ان كان من ولد الفضل

فلما القى عليَّ الصوت سمعت مالم اسمع مثلهُ قط وصغر عندي الاول فاحكمتهُ . ثم قال: انهض الساعة الى الفضل بن يحيى فانك تجده لم ياذن لاحد بعد وهو يريد الخلوة مع اهلهِ اليوم فاستاذن عليهِ وحدثهُ بحديثنا امس وما كان من امرهِ الينا واليك . واعلمهُ اني قد صنعت هذا الصوت وكان عندي ارفع منزلة من الصوت الذي صنعتهُ بالامس واني القيتهُ عليك حتى احكمتهُ ووجهت بك قاصدًا لتلقيهِ على فلانة جاريتهِ . فصرت الى باب الفضل فوجدت الامر على ما ذكر . فاستاذنت فوصلت وسألني ما الخبر فاعلمتهُ بخبري في اليوم الماضي وما وصل اليَّ واليهِ من المال فقال : اخزى الله ابراهيم فما ابخلهُ على نفسهِ ثم دعا خادمًا فقال : اضرب الستارة . فضربها فقال لي : القهِ فلما غنيتهُ لم اتمهُ حتى اقبل يجر بطرفهِ ثم جلس على وسادة دون الستارة وقال : والله لقد احسنت واستاذك يا مخارق فلم اخرج حتى اخذتهُ الجارية واحكمت فسرَّ بذلك سرورًا شديدًا وقال اقم عندي اليوم . فقلت يا سيدي انما بقي لنا يوم واحد ولولا اني احب سرورك لم اخرج من منزلي . فقال يا غلام احمل مع ابي الهنا عشرين الف درهم واحمل الى ابراهيم مائتي الف درهم . فانصرفت الى منزلي بالمال ففتحت بدرة

نثرت منها على الجواري وشربت وسررت انا ومن عندي يومنا . فلما اصبحت بكرت الى ابراهيم اتعرّف خبره واعرفهُ خبري فوجدتهُ على الحال التي كان عليها اولاً وآخرًا . فدخلت اترنم واصفق فقال لي ادنُ . فقلت : ما بقي . فقال اجلس وارفع سجف هذا الباب . فاذا عشرون بدرة مع العشرة الاول فقلت : ما تنتظر الآن . فقال ويحك ما هو والله الا ان حصلت حتى جرت مجرى ما تقدم . فقلت ما اظن احدًا نال في هذه الدولة ما نلتهُ فلم تبخل على نفسك بشيء عنيتهُ دهرًا وقد ملكك الله اضعافهُ . ثم قال : اجلس فخذ هذا الصوت . والقى علي صوتًا انساني والله صوتي الاولين .

الى جعفر سارت بنا كل حرة ... طواها سراها نحوه والتهجرُ
الى واسع المعتدين فناؤهُ ... تروح عطایاه عليهم وتبكرُ

ثم قال لي : هل سمعت مثل هذا . فقلت ما سمعت قط مثله . فلم يزل يردد عليّ حتى اخذتهُ . ثم قال لي . امض الى جعفر فافعل به كما فعلت باخيه وابيه (قال) فمضيت ففعلت مثل ذلك وخبرتهُ ما كان منها وعرضت عليه الصوت فسرّ به ودعا خادمًا فامره بضرب الستارة واحضر الجارية وقعد على كرسي . ثم قال . هات يا مخارق فاندفعت فالقيت الصوت عليها حتى اخذتهُ . فقال احسنت والله يا مخارق واحسن اساذك فهل لك في المقام عندنا اليوم . فقلت يا سيدي هذا آخر ايامنا وانما جئت لموقع الصوت مني حتى القنه على الجارية . فقال : يا غلام احمل معهُ ثلاثين الف درهم والى الموصلي ثلاثماية الف درهم . فصرت الى منزلي بالحال فاقمت ومن معي مسرورين نشرب بقية يومنا ونطرب . ثم بكرت الى ابراهيم فبلغاني قائمًا وقال لي : احسنت يا مخارق . فقلت : ما الخبر . فقال اجلس فجلست . فقال لمن خلف الستارة خذوا فيما انتم فيه ثم رفع السجف فاذا المال فقلت : ما خبر الضيعة . فادخل يده تحت مسورة هو متكيء عليها فقال : هذا صك الضيعة ثم سئل عن صاحبها فوجد ببغداد . فاشتراها منهُ يحيى بن خالد وكتب اليّ : قد علمت انك لا تشغل نفسًا بشراء الضيعة من مال يحصل لك ولو ميزت لك الدنيا كلها . وقد ابتعتها لك من مالي ووجهت لك بصكها ووجه اليّ بصكها — وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال لي : يا مخارق اذا عاشرت فعاشر مثل هؤلاء واذا مدحت فامدح مثلهم . هذه ستمائة الف وضيعة

بمائة الف وستون الف درهم لك حصلنا ذلك اجمع وانا جالس في مجلسي لم ابرح منهُ فمتى يدرك مثل هؤلاء

قيل في محمد بن يحيي بن خالد البرمكي

سألت الندى والجود ما لي اراكما تبدلتما عزًا بذلٍ مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدمًا فقال اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلاَّ متنا بعد موتهِ وقد كنتما عبدبه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزي بفقده مسافة يوم ثم نقلوه في غد

يحيى بن خالد واحد الشعراء

دخل أحد الشعراء على يحيى ابن خالد البرمكي فانشده

سألت الندى هل انت حرٌّ فقال لا ولكنني عبد ليحيى بن خالدِ
فقلت شراء قال لا بل وراثةً تواثني من والد بعد والد

نامر لهُ بعشرة آلاف درهم

الفضل بن يحيى والاعرابي

روى الاصمعي عن الفضل بن يحيى قال · خرج يومًا للصيد والقنص · وبينما هو في موكبه اذ رأى اعرابيًا على ناقة قد اقبل من صدر البرية يركض في سيره · قال : هذا يقصدني فلا يكلمه احد غيري · فلما دنا الاعرابي ورأى المضارب تضرب · والخيام تنصب · والعسكر الكثير · الجمُّ الغفير · وسمع الغوى والضجة ظنَّ انهُ امير المؤمنين · فنزل وعقل راحلتهُ وتقدم اليهِ وقال : السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاتهُ · قال : اخفض عليك ما تقول · فقال : السلام عليك ايها الامير · قال : الآن قاربت اجلس فجلس الاعرابي · فقال لهُ الفضل من ابن اقبلت يا اخا العرب · قال من قضاعة · قال من ادناها او من اقصاها · قال من اقصاها · فقال يا اخا العرب : مثلك من يقصد من ثلاثمائة

فرسخ الى العراق لاي شيء . قال قصدت هؤلاء الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد . قال من هم . قال البرامكة . قال الفضل : يا اخا العرب ان البرامكة خلق كثير . وفيهم جاهل وخطير . ولكلٍّ منهم خاصة وعامة . فهل افرزت منهم لنفسك من اخترتهُ لنفسك واتيتهُ لحاجتك . قال : اجل اطولهم باعاً واسمحهم كفاً . قال من هو . قال : الفضل بن يحيى بن خالد . فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر . اذا جلس للناس مجلساً عاماً لم يحضر مجلسهُ الاَّ العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتَّاب والمناظرون للعلم . اعالمٌ انت . قال لا . قال : اوردت على الفضل بكتاب وسيلة . قال لا . فقال يا اخا العرب غرتك نفسك . مثلك يقصد الفضل بن يحيى وهو ما عرفتك عنهُ من الجلالة . بأي ذريعة او وسيلة تقدم عليهِ . قال : والله يا امير ما قصدتهُ الاَّ لاحسانهِ المعروف . وكرمهِ الموصوف . وبيتين من الشعر قلتهما فيهِ . فقال الفضل : يا اخا العرب انشدني البيتين فان كانا يصلحان ان تلقاه بهما اشرت عليك بلقائهِ . وان كانا لا يصلحان ان تلقاه بهما بررتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وان كنت لا تستحق بشعرك شيئاً . قال : افتفعل ايها الامير . قال نعم . قال : فاني اقول :

الم ترَ ان الجودَ من عهد ادمٍ ... تجدَّرَ حتى صار بنتهُ الفضلُ
ولو انَّ اماً مسها جوع طفلها ... غذتهُ باسم الفضلِ لاغتذأَ الطفلُ

قال : أحسنت يا اخا العرب . فان قال لك هذان البيتان قد مدحنا بهما شاعرٌ واخذ الجائزة عليهما فأنشدني غيرهما . فما تقول . قال اقول

قد كان آدمُ حين حان وفاتهُ ... اوصاك وهو يجودُ بالحبـاء
ببنيهِ ان ترعاهم فرعيتهم ... وكفيت آدم عولة الابناء

قال : احسنت يا اخا العرب . فان قال لك مستحثاً . هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس . فانشدني غيرهما . فما تقول وقد رمقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك . قال : اذن اقول :

ملَّت جهابذ فضلٍ وزن نائلهِ ... وملَّ كاتبهُ احصاء ما يهبُ
والله لولاك لم يمدح بمكرمةٍ ... خلقٌ ولم يرتفع مجدٌ ولا حسبُ

قال : احسنت يا اخا العرب . فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما . فما تقول . قال اذن اقول :

ولو قيل للمعروف نادِ اخا العلا لنادى باعلى الصوت يا فضلُ يا فضلُ
ولو انفقت جدواك من رمل عالجٍ لاصبح من جدواك قد نذَّ الرملُ

قال : احسنت يا اخا العرب . فان قال لك الفضل : هذان البيتان مسروقان ايضاً . انشدني غيرهما فما تقول . قال اقول :

وما الناس الاَّ اثنان صبٌّ وباذلٌ وانى لذاك الصبُّ والباذلُ الفضلُ
على انَّ لي مثلاً كما ذكر الورى وليس لفضلٍ في سماحتهِ مثلُ

قال : احسنت يا اخا العرب . فان قال لك الفضل : انشدني غيرهما فما تقول . قال اقول ايها الامير :

حكى الفضلُ عن يحيى سماحة خالدٍ فقامت بهِ التقوى وقام بهِ العدلُ
وقام بهِ المعروف شرقاً ومغرباً ولم يكُ للمعروف بعدٌ ولا قبلُ

قال احسنت . فان قال : قد ضجرنا من الفاضل والمفضول انشدني بيتين على الكنية لا على الاسم فما تقول . قال : اذن اقول :

الا يا ابا العباس يا واحد الورى ويا ملكاً خدُّ الملوك لهُ نعلُ
اليك تسير الناس شرقاً ومغرباً فرَادَى وازواجاً كأنهم نحلُ

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل انشدنا غير الاسم والكنية والقافية قال : والله لئن زادني الفضل وامتحنني بعد هذا لاقولنَّ اربعة ابيات ماسبقني اليهنَّ عربي ولا اعجمي . ولئن زادني بعدها لاجمعنَّ قوائم ناقتي هذه واجعلها في فم الفضل . ولارجعنَّ الى قضاعة خاسراً ولا ابالي . فنكس الفضل رأسهُ وقال للاعرابي يا اخا العرب اسمعني الابيات الاربعة . قال اقول :

ولائمةٍ لامتك يا فضل في الندى فقلت لها هل يقدح اللوم في البحرِ
اتنهين فضلاً عن عطاياهُ للغنى فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطرِ
كأن نوال الفضلِ في كل بلدةٍ تحدُّر هذا المزنِ في مهمهٍ قفرِ
كأنَّ وفود الناس في كل وجهةٍ الى الفضل لاقطع عنهُ ليلة القدرِ

قال فامسك الفضل عن فيهِ وسقط على وجههِ ضاحكاً . ثم رفع رأسهُ وقال :

يا اخا العرب انا والله الفضل بن يحيى سلْ ما شئت . فقال : سألتك بالله ايها الامير انك لهوَ . قال نعم . قال له : فاعطني الامان . قال : عليك الامان اذكر حاجتك . قال عشرة آلاف درهم . قال الفضل : ازدريت بنا وبنفسك يا اخا العرب . تعطى عشرة آلاف درهم في عشرة آلاف وامر بدفع المال . فلما صار المال اليهِ حسدهُ وزير الفضل وقال : يا مولاي هذا اسراف . يأتيك جلف من اجلاف العرب بأبياتٍ استرقها من اشعار العرب فتجزيهِ بهذا المال . فقال : استحقهُ بحضوره الينا من ارض قضاعة . قال الوزير : اقسمت عليك الاَّ اخذت سهماً من كنانتك وركبتهُ في كبد قوسك واومأت بهِ الى الاعرابي . فان ردَّ عن عن نفسهِ ببيتٍ من الشعر . والاَّ فاستعطف مالك ويكون له في بعضهِ كفاية . فأخذ الفضل سهماً وركبهُ في كبد قوسهِ واومأ بهِ الى الاعرابي وقال له : ردَّ سهمي ببيتٍ من الشعر فأنشأ يقول :

لقوسك قوس الجود والوتر الندى ... وسهمك سهم العز فارم بهِ فقري

فضحك الفضل وانشأ يقول

اذا ملكت كفي منالاً ولم أُنِل ... فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي

على الله اخلاف الذي قد بذلتهُ ... فلا سبق لي بخلي ولا متلفي بذلي

اروني بخيلاً نال مجداً ببخلهِ ... وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل لوزيره : اعطِ الاعرابي مائة الف درهم لنصلِ وشعره ومائة الف درهم ليكفينا شرَّ قوائمِ ناقتهِ . فاخذ الاعرابي المال وانصرف وهو يبكي . فقال له الفضل : صمّ يكاؤك يا اعرابي . أستقلالاً للمال الذي اعطيناك . قال لا ولكني أبكي على مثلك يأكلهُ التراب وتواريه الارض . وتذكرت قول الشاعر:

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس تموت ولا بعيرُ

ولكن الرزية فقد حرٍّ ... يموت لموتهِ خلقٌ كثيرُ

ثم انصرف الاعرابي مسروراً

مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي

دخل مروان بن ابي حفصة على جعفر بن يحيى فانشده :

أبرّ فما ترجو الجيادُ لحافةٍ ابو الفضل سباق الاخاصيم جعفر
وزيرٌ اذا ناب الخلافة حادثٌ اشار بما عنه الخلافة تصدر

فقال جعفر : انشدني مرثيتك في معن بن زائدة . فانشده :

اقمنا باليمامة او نعينا مقاماً لا نريد به زوالاً
وقلنا اين نذهب بعد معنٍ وقد ذهب النوال فلا نوالا
وكان الناس كلهم لمعن الى ان زار حفرتهُ عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعفر يرسل دموعهُ على خديه فقال : هل اثابك على هذه المرثية احد من اهل بيته وولده . قال لا . قال فلو كان معن حياً ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها . قال اربعمائة دينار . قال ما كنا نظن انهُ يرضى لك بذلك وقد امرنا لك عن معنٍ رحمهُ الله بالضعف ما ظننته وزدناك مثل ذلك . فاقبض من الخازن الفاً وستمائة دينار قبل ان تخرج . فقال مروان يذكر جعفراً وما سمح به عن معن :

نفحت مكافئاً عن جود معن لنا فيما تجود به سجالا
فعجلت العطية يابن يحيى لنا دبه ولم ترد المطالا
فكافأ عن صدى معن جواد باجود راحة بذلت نوالا
بنى لك خالد وابوك يحيى بناءً في المكارم لن ينالا
كانَّ البرمكيَّ لكلِّ مالٍ تجود به يداه يفاد مالا

اسحق الموصلي عند الكرماء

قال اسحق بن ابراهيم الموصلي : دعاني يحيى ابن خالد فدخلت عليه وكان عنده الفضل وجعفر ووالديه فقال لي : اصبحت اليوم مهموماً فاردت الصبوح لأتسلى فغن صوتاً لعلي ارتاح اليه فغنيته :

اذا نزلوا بطحاء مكة اشرقت يحيى وبالفضل بن يحيى وجعفرِ
فما خلقت الاَّ لجود اكفهم وارجلهم الاَّ لاعواد منبرِ

فسرَّ وامر لي بماية الف درهم . وامر لي كل واحد من والديه بمثل هذا المبلغ . فحملت المال وانصرفت

كرم يحيى بن خالد

من مكارمهِ ان الرشيد لما نكب البرامكة واستأصل شأفتهم حرّم على الشعراء ان يرثوهم وامر بالمؤاخذة على ذلك . فاجتاز بعض الحرس ببعض الخربات فرأى انساناً واقفاً وفي يدهِ رقعة فيها شعر يتضمن رثاء البرامكة وهو ينشده ويبكي فاخذهُ الحرس واتى بهِ الى الرشيد وقص عليهِ الصورة . فاستحضرهُ الرشيد وسألهُ عن ذلك فاعترف بهِ . فقال لهُ الرشيد : اما سمعت تحريمي لرثائهم لاقطعن بك واصنعن . فقال يا امير المؤمنين اذا اذنت لي في حكاية حالي حكيتها ثم بعد ذلك انت ورأيك . قال قل . قال اني كنت من اصغر كتاب يحيى بن خالد وارقهم حالاً . فقال لي أريد ان تضيفني في دارك يوماً ففلت : يامولانا انا دون ذلك وداري لا تصلح لهذا قال لابد من ذلك . قلت فان كان لا بد فامهلني مدة حتى اصلح شأني ومنزلي . ثم بعد ذلك انت ورأيك . قال كم امهلك . قلت سنة . قال كثير . قلت فشهوراً . قال نعم . فمضيت وشرعت في اصلاح المنزل وتهيئة اسباب الدعوة . فلما تهيأت الاسباب اعلمت الوزير بذلك : فقال نحن غداً عندك . فمضيت وتهيأت في الطعام والشراب وما يحتاج اليهِ . فحضر الوزير في غدٍ ومعهُ ابناه جعفر والفضل وعدة يسيرة من خواص اتباعه . فنزل عن دابتهِ ونزل ولداه جعفر والفضل ومن معهُ وقال : يافلان انا جائع فعجل لي بشيء . فقال لي الفضل ابنهُ : الوزير يحب الفراريج المشوية فعجل منها ما حضر . فدخلت واحضرت شيئاً . فأكل الوزير ثم قام يتمشى في الدار وقال : يا فلان فرجنا في دارك فقلت يامولانا هذه هي داري ليس لي غيرها قال بلى لك غيرها . قلت والله لا أملك سواها . فقال هاتوا بناء . فلما حضر قال لهُ افتح في هذا الحائط باباً . فمضى ليفتح فقلت : يا مولانا كيف يجوز ان يفتح باب الى بيوت الجيران والله اوصى بحفظ الجار . قال لا باس في ذلك ثم فتح الباب . فقام الوزير وابناؤهُ فدخلوا فيهِ وانا معهم فخرجوا منهُ الى بستان حسن كثير الاشجار والماء يتدفق فيهِ وبهِ من المقاصير والمساكن ما يروق كل ناظر . وفيهِ من الآلات والفرش والخدم والجواري كل جميل بديع . فقال هذا المنزل وجميع مافيهِ لك . فقبلت يدهُ ودعوت لهُ وتحققت الفضة فاذا هو من يوم حادثني في امر الدعوة قد ارسل واشترى

الاملاك المجاورة لي وعمرها دارًا حسنة ونقل اليها من كل شيء وانا لا أعلم . وكنت أرى العمارة واحسبها لبعض الجيران . فقال لابنهِ جعفر : يا بني هذا منزل وعيال فالمادة من اين تكون لهُ . قال جعفر قد اعطيتهُ الضيعة الفلانية بما فيها وساً كتب لهُ بذلك كتابًا . فالتفت الى ابنه الفضل وقال لهُ يا بني فمن الآن الى ان يدخل دخل هذه الضيعة ما الذي ينفق . قال الفضل عليّ عشرة آلاف دينار احملها اليهِ . فقال عجلا لهُ ما قلتما . فكتب ليجعفر بالضيعة وحمل الفضل اليّ المال . فاثريت وارتفعت حالي وكسبت بعد ذلك معهُ مالاً طائلاً انا انقلب فيهِ الى اليوم . فوالله يا امير المؤمنين ما اجد فرصة اتمكن فيها من الثناء عليهم والدعاء لهم الاّ انتهزتها مكافأة لهم على احسانهم ولن اقدر على مكافأتهِ . فان كنت قائلي على ذلك فافعل ما بدالك . فرقّ الرشيد لذلك واطلقهُ واذن لجميع الناس في رثائهم

رثاء امرأة لجعفر

قال ابو زيد الرياحي : كنت جالسًا عند خشبة جعفر بن يحيى البرمكي افكر في زوال ملكهِ وحالهِ التي صار اليها اذ اقبلت امرأة لها هيئة حسنة فوقفت على جعفر وبكت واحترقت وتكلمت فابلغت وقالت اما والله لئن اصبحت للناس آية لقد بلغت الغاية . ولئن زال ملكك وخانك دهرك ولم يطل بهِ عمرك فلقد كنت المغبوط الناعم بالاّ يحسن بك الملك فاعظم الناس فقدك اذ لم يستخلفوا ملكًا بعدك . فنسال الله الصبر على عظيم الفجيعة وجليل الرزية الذي لا يستعاض بغيرك والسلام عليك وداع غير قالٍ ولا ناسٍ لذكرك ثم انشأت تقول :

العيش بعدك مرٌّ غير محبوبِ ومذ صلبت ومقنا كل مصلوب
ارجو لك الله ذا الاحسان ان لهُ فضلاً علينا وعفوًا غير محسوب

ثم سكتت ساعة وتاملتهُ ثم انشأت تقول :

عليك من الاحبة كل يوم سلام الله ما ذكر السلامُ
لئن امسى صداك برأي عين على خشب حباك به الامامُ
فمن ملك الى ملك برغم من الاملاك آن لك الحمامُ

المأمون وراثي البرامكه

قال خادم المأمون طلبني امير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي: خذ معك فلانًا وفلانًا وسماهما لي احدهما علي بن محمد والآخر دينار الخادم واذهب مسرعًا لما اقول لك فقد بلغني ان شيخًا يحضر ليلاً الى آثار دور البرامكة وينشد شعرًا يذكرهم ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف. فامض انت وعلي ودينار حتى تردوا تلك الخرابات فاستتروا وراء بعض جدرانها فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وندب وانشد ابياتًا فاتوني به. فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا بغلام قد اتى ومعهُ بساط وكرسي حديد برفقته شيخ جميل الطلعة لطيف مهابًا فجلس على الكرسي وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات:

ولما رأيت السيف جندل جعفرًا ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها. فلما فرغ قبضنا عليهِ: وقلنا لهُ اجب امير المؤمنين. فنزع نزعًا شديدًا وقال: دعوني حتى اوصي بوصية فاني لا اوقن بعدها بحياة. ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامهِ. ثم سرنا به فلما مثل بين يدي امير المؤمنين قال لهُ. من انت وبما استوجبت منك البرامكة ما تفعلهُ في خرائب دورهم. قال الشيخ: يا امير المؤمنين ان للبرامكة اياديَ خطيرة عندي فاذن لي ان احدثك بحالي معهم. قال قل. فقال يا امير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي. فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مستغلٍ رأسي اشار عليَّ الاهل بالخروج الى البرامكة

فخرجت من دمشق مع ثلاثين رجل من اهلي وليس معنا ما يباع او يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فاستترت بثياب اعددتها. وتركتهم جياعًا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلاً عن البرامكة فاذا انا بجامع مزخرف يغص بالجلوس وفي جانبهِ شيخ باحسن زي وزينة وعلى الباب خادمان فطفت في القوم ودخلت المسجد وجلست بين ايديهم وانا اقدم رجلاً وأؤخر اخرى والعرق يسيل مني لانها لم تكن صنعتي واذا بالخادم مقبلاً يدعو القوم فناموا وانا معهم. فدخلوا دار يحيى بن

خالد فدخلت معهم واذا بدكة لهُ وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحدًا وبين يديهِ عشرة من اولاده . واذا بمائة واثني عشر خادمًا قد اقبلوا ومع كل خادم صينية . فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي لا اجسر على اخذ الصينية ونغمزني الخادم فجسرت واخذتها وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت واما اتلفت الى وراءي مخافة ان امنع من الذهاب فوصلت الى صحن الدار ويجيء يلاحظني فقال للخادم ائتني بهذا الرجل : فاتى بي . فقال مالي اراك تلفت يمينًا وشمالاً فقصصت عليهِ قصتي . فقال للخادم ائتني بولدي موسى . فاتاه بهِ . فقال لهُ يا بني هذا رجل غريب خذهُ اليك واحفظهُ بنفسك ونعمتك . فقبض موسى ولدهُ على يدي وادخلني الى دارهِ . فاكرمني غاية الاكرام واقمت عندهُ يومي وليلتي في الذ عيش واتم سرور فلما اصبح دعا بأخيهِ العباس وقال لهُ : الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي في بيت امير المؤمنين فاقبلهُ عندك واكرمهُ . ففعل ذلك واكرمني غاية الاكرام . ثم وفي الغد سلمني لاخيهِ احمد ولم ازل في ايدي القوم يتداولونني تباعًا مدة عشرة ايام لا اعرف شيئًا عن عيالي اموتًا هم ام احياء . فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعهُ جماعة من الخدم . فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام . فقلت ويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج على هذه الحالة . انا لله وانا اليهِ راجعون . فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع . فلما رفع الخادم الاخير قال لي : مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني بهِ فلما رفع الستر الاخير رأيت حجرة كالشمس حسنًا ونورًا . واستقبلني منها رائحة الند والعود ونفحات المسك . واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي عشرة آلاف دينار ومنشورًا بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير . واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس امن البرامكة انا ام رجل غريب . فلما دهنهم البلية ونزل بهم ما نزل من الرشيد الزمني عمرو بن مسعدة بدفع خراج على هاتين الضيعتين لا يفي دخلها بهِ فلما تجامل علي الدهر كنت في آخر الليل اقصد خرابات دورهم فاندبهم واذكر حسن صنعهم الي وابكي على احسانهم . فقال المأمون

بعمر بن مسعدة . فلما اتى به قال له : اتعرف هذا الرجل . قال يا امير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة . قال كم الزمنه في ضيعتيه . قال كذا وكذا . فقال له رد اليه كلما اخذته منه في مدته ليكونا له واعقبه من بعد . والحال علا نحيب الرجل .

فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له : يا هذا قد احسنا اليك فما يبكيك . قال يا امير المؤمنين وهذا ايضاً من صنيع البرامكة . لو لم آت خرابتهم فابكيهم واندبهم لما اتصل خبري الى امير المؤمنين ففعل بي ما فعل . فما كاد ينتهي من كلامه حتى فاضت عبرات المأمون وظهر عليه الحزن وقال : لعمري هذا من صنيع البرامكة فعلى مثلهم يبكي واياهم يشكر ولهم يوفى ولاحسانهم يذكر

مقتل البرامكة

قال اسمعيل بن يحيى الهاشمي : كنت مع الرشيد يوماً من الايام راكباً الى الصيد فبينما نحن نسير اذ نظرنا الى موكب بالبعد اعترضنا فقال لي : يا اسماعيل لمن هذا . فقلت لاخيك جعفر بن يحيى فالتفت يميناً وشمالاً الى من معه في موكبه فاذا هي شرذمة يسيرة ثم نظر الى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره فقال : يا اسمعيل ما فعل جعفر وموكبه . فقلت يا سيدي قد مضى في طريقه ولم يعلم بموضعك . فقال ما رأنا اهلاً ان يزينا بموكبه ويجملنا بجيشه . فقلت العفو يا امير المؤمنين لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الاّ بين يديك واعتذرت بما حضرني من الكلام . ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة ومواش كثيرة وكان الطريق يدور عليها فدرنا حتى رأينا باب القرية . فنظر الرشيد الى البيدر والى كثرة الغلال والمواشي ويسار اهلها فالتفت الي وقال يا اسمعيل لمن هذه الضيعة . قلت لاخيك جعفر بن يحيى . فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا . ولم نزل نمر بكل ضيعة اعمر من الاخرى وكل ما مر وسألني عن ضيعة قلت لجعفر بن يحيى حتى سرنا ووصلنا الى المدينة . فلما اردت وداعه والانصراف الى منزلي نظر الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا وبقيت انا وهو فقال يا اسمعيل . قلت لبيك يا امير المؤمنين . فقال انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا واغفلنا امرهم . فقلت في نفسي بلية والله ثم قلت : لماذا يا امير المؤمنين . قال نظرت لهؤلاء وغفلت هؤلاء لاني لا اعرف اولد من اولادي ضيعة من مثل ضياعهم

فانك ترى ضياع البرامكة على طريق واحد قرب هذه المدينة فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذا الطريق في سائر البلدان . فقلت يا امير المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك والضياع واموالهم وكل ما يملكونه لك . فنظر اليّ نظرة جبار عنيد ثم قال : ما عدّ البرامكة بني هاشم الاّ عبيدهم وانهم هم الدولة وان لا نعمة لبني العباس الاّ وهم المتعمل عليهم بها . فقلت امير المؤمنين ابصر من غيره بخدمه وموالية . فقال والله يا اسمعيل انك لتعلم اني قلت هذا وكاني اراك ان تعلمهم بكلامي فتتخذ لك عندهم يداً . واني اود ان تكتم هذا الامر فانهُ ما علم بهِ احد غيرك ومتى بلغهم شيء مما جرى علمت انهُ ما افشاه الا انت . فقلت يا امير المؤمنين اعوذ بالله ان يك مثلي ينشي سرك . (قال) وكان هذا القول اول ماظهر من امر البرامكة . ثم ودعتهُ وانصرفت متفكرًا في ابقاع الحيلة عنهم . فلما كان من الغد بكرت اليهِ وجلست بين يديهِ . وكان في محل يشرف على دجلة من شرق مدينة باب السلام وبازائهِ . فنزل جعفر من الجانب الغربي . وكانت المراكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل يردون في كل يوم الى قصر جعفر . فالتفت اليّ وقال : يا اسمعيل هذا ماكنا فيهِ بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان والمراكب وانا ما على باب داري احد . فقلت يا امير المؤمنين ناشدتك الله ان لا تعلق تنسك بفكرك هذا وان جعفر انما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن الجيش على بابهِ فعلى باب من يكون وانما بابهِ باب من ابوابك . فقال يا اسمعيل انظر الى دوابهم الست ترى اعجازهم الى قصري وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها والله هذا هو الاستخناف بعينهِ والله لاصبرن على ذلك . ثم غضب غضبًا شديدًا وامتلأ غيظًا فامسكت عن الكلام وقلت : والله هذا قضاء من الله سابق وحكم لا محالة واقع . ثم استاذنتهُ في الانصراف وعدت الى منزلي . فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريت عنهُ حتى مضى . فدخل اليهِ وسلم عليهِ فاجلسهُ عن يمينهِ واكرمهُ غاية الاكرام وبش في وجههِ وحادثهُ ساعة ووهب لهُ خادمًا من خاصة خدمهِ وانعلهم واوضحهم وجهًا واكملهم ظرفًا كاتبًا حاسبًا لبيبًا . فسرّ جعفر سرورًا كاملاً ووقع في قلبهِ اجلّ موقع . وكان دسيسًا عليهِ وبايعة لديهِ يرفع اخباره الى الرشيد ويحصي عليهِ انفاسهُ ساعةً بساعةٍ ووقتًا بوقت . فخلا بهِ جعفر يومهُ ذلك وليلتهُ واحتجب من اجله عن الناس . فلما كان

بعد ثلاثة ايام سرتُ الى جعفر فسلمت عليه . فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك الخادم واقف فعلمت ان الخادم يحصي علينا اخبارنا فقلت : ايها الوزير نصيحة افتأذن لي في الكلام . وكان الرشيد ولاه كورة خراسان كلها وما يضاف اليها وما ينسب لها قبل هذا الكلام بايام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكرًا بالنهروان وضرب الناس مضاربهم بها وهم متاهبون للسفر . فقلت يا سيدي انت عازم على الخروج الى بلدة كثيرة الخير واسعة الاقطار عظيمة المملكة فلو صيرت بعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احظى لمنزلتك عنده . فلما قلت هذا نظر اليّ مغضبًا وقال : والله يا اسمعيل ما اكل الخبز ابن عمك او قال صاحبك الاّ بفضلي ولا قامت هذه الدولة الاّ بنا اما كفى اني تركته لا يهتم بامر شيء من نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملأت بيوت امواله اموالاً ولا زلت للامور الجليلة ادبرها حتى يمد عينه الى ما ادخرته واخذته لولدي وعقبي من بعدي وداخله حسد بني هاشم ودب فيه الطمع وقال والله لئن سألني شيئًا من ذلك ليكونن وبالاً عليه سريعًا . فقلت والله يا سيدي ما كان ما ظننت شيء ولا تكلم امير المؤمنين بحرف . قال فما هذا الفضول منك . فجلست بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلي ولم اركب اليه ولا الى الرشيد لاني صرت بينهما في حالة شبهة وقلت في نفسي هذا الخليفة وهذا وزيره وايّ شيء لي بالدخول بينهما . وعلمت بعد ذلك ان الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب الى الرشيد بما كان بيني وبينه وما تكلم به من الكلام الغليظ

فلما قرأ الكتاب وفهم الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرًا في ايقاع الحيلة على البرامكة . فدخل في اليوم الرابع على زبيدة فخلا بها وشكا لها ما في قلبه واطلعها على الكتاب الذي رفعه اليه الخادم . وكان بين جعفر وزبيدة شر وعداوة قديمة . فلما تملكت المحبة عليه بالغت في المكر بهم واجتهدت في هلاكهم . وكان الرشيد يتبرك بمشورتها فقال : عليّ برأيك الموافق الرشيد فاني خائف ان يخرج الامر من يديّ ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها . فقالت يا امير المؤمنين مثالك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق فان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت من غرقتك اخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وان كنت على الحالة الاولى تركتك . فقال قد كان ما كان والآن اسمع منك . فقالت ان هذا الامر اخفاه عنك وزيرك وهو

اصعب مما انت فيهِ واقبح واشنع . فقال لها ويحك ما هو . فقالت انا اجل من ان خاطبك بهِ ولكن تحضر ارجوان الخادم وتقدد عليهِ وتوهنهُ ضرباً فانهُ يعرفك الخبر . وكان الرشيد قد احل جعفرًا محلاً لم يحلهُ اخوه ولا ابوه وفوض لهُ ان يرى كل جواره سوى امرأتهُ زبيدة فانهُ لم يكن رآها . فلما فسد قلب الرشيد وعزم على هلاك البرامكة وجدت عليهم سبيلاً ومالت على جعفر . وكان جعفر يدخل الى الحريم في غياب الرشيد فلا يستترنَ منهُ وكان ذلك بامر الرشيد

وقيل انهُ كان للرشيد مجلس بالليل مع جعفر البرمكي فقال لهُ يوماً لا يطيب لي ذلك الاَّ بحضرا اختي العباسة ولكن لا يجوز الا ان نكتب لك عليها لا باحة النظر من غير ان تقربها . فاتفقا على ذلك وعقد لهُ عليها ثم احضرها فكانت تحضر ذلك المجلس الاَّ انهُ زاد غرامها وعشقها فيهِ . وكان لجعفر البرمكي امرأة تزين لهُ الجواري كل ليلة فجاءتها العباسة ورشتها بالمال فزينتها لهُ وادخلتها عليه فظن انها جارية . .

فلما اصبحوا قالت لهُ انا العباسة وقد كنت اسألك ان تساعدني على مودتك فأبى فلما ايست منك احتلت عليك بما رأيت في هذه الليلة وان لم تواظب لاكونن سببًا في سلب نعمتك وهل انت الاَّ زوجي

فطار السكر من رأس جعفر وقال لها : اهلكتني واهلكت نفسك فوالله لقد بعثتني رخيصاً

فلما بلغ الرشيد الخبر خرج واستدعى بارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال : برأت من المنصور ان لم تصدقني حديث جعفر لاقتلنك . فقال الامان يا امير المؤمنين . قال نعم لك الامان . قال اعلم ان جعفر قد خانك في اختك العباسة وقد دخل بها منذ سبع سنين وولدت منهُ ثلاث بنين الاول لهُ ست سنين والاثنان قد انفذهما الى مدينة الرسول (صلعم) وهي حامل بالرابع . وانت اذنت لهُ بالدخول على اهل بيتك وامرتني ان لا امنعهُ في أي وقت شاء ليلاً ونهارًا . قال امرتك ان لا تحجبهُ فحين حدثت هذه الحادثة لمَ لم تخبرني . ثم امر بضرب عنقهِ وقام من وقتهِ ودخل على زبيدة وقال لها أرأيت ما عاملني بهِ جعفر وما ارتكب من منك ستري ونكس رأسي وفضحني بين العرب والعجم . فقالت هذه شهوتك وارادتك عمدت الى شاب جميل الوجه حسن الثياب طيب الرائحة جابر في نفسه ادخلتهُ على ابنة

خليفة من خلفاء الله وهي احسن منه وجهاً وانظف منه ثوباً واطيب منه رائحة لكنها لم تر رجلاً قط غيره . فهذا جزاء من جمع بين النار والحطب . فخرج من عندها مكروباً فدعا بخادمه مسرور وكان قاسي القلب فظاً غليظاً قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال يا مسرور اذا ادلهم الظلام فاتني بعشرة من اقوياء الفعلة ومعهم خادمان . قال نعم . فلما كان بعد العتمة جاء مسرور ومعه الفعلة والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى أتي المقصورة التي فيها الجثة فنظر اليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء ولم يعاتبها على ما فعلت وامر الخادمين بادخالها في صندوق كبير في مقصورتها بعد قتلها ووضعها بجليها وثيابها كما هي وقفل عليها . وقد علمت انه بعد قتل ارجوان لاحقها به . فلما علم انه استوثق بها دعا الفعلة ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسي ثم قال : حسبكم هاتوا الصندوق فدلوه الى تلك الحفرة ثم قال ردّوا التراب عليه ففعلوا وسدوا الموضع كما كان ثم اخرجهم واقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس في موضعه والفعلة والخادمان بين يديه ثم قال : يا مسرور خذ هؤلاء القوم واعطيهم اجرتهم . فاخذهم مسرور وجعلهم في حد السيف وضبط عليهم بعد ان اثقلهم بالصخر والحصى ورماهم في وسط دجلة ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال : يا مسرور فعلت ما امرتك به . قال : دفعت لهم اجورهم . فرفع اليه مفتاح البيت وقال : احفظه حتى اسالك عنه وامض الآن وانصب في المحل القبة التركية . ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم يعلم احد ما يريد

فلما جلس في مجلسه وكان عصر الخميس يوم موكب جعفر قال : يا مسرور لا تباعد عني . ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم ودخل جعفر بن يحيى البرمكي فسلم عليه فردّ عليه السلام احسن ردّ ورحب به وضحك في وجهه وجلس في مرتبته . وكانت مرتبته اقرب المراتب الى امير المؤمنين . ثم حدثه ساعة وضاحكه فاخرج جعفر الكتب الواردة عليه من النواحي فقرأها عليه وامر ونهى ومنع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استأذن جعفر في الخروج الى خراسان في يومه ذلك . فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالس بحضرته فقال الرشيد : كم مضى من النهار . قال ثلاث ساعات ونصف . وحسب له الرشيد بنفسه ونظر في نجومه فقال يا اخي هذا يوم نحوسك وهذه ساعة نحس ولا ارى الا انه يحدث فيها حادث ولكن تصلي الجمعة

وترحل في معودك وتبيت في النهروان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار فانهُ اصلح من اليوم . فما رضي جعفر بما قالهُ الرشيد حتى اخذ الاصطرلاب من يد المنجم وقام فاخذ الطالع وحسبهُ لنفسهِ وقال : والله صدقت يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رأيت نجماً اشد احتراماً ولا اضيق مجرى من البروج في مثل هذا اليوم . ثم قام وانصرف الى منزلهِ والناس والقوّاد والخاص والعام من كل جانب يعظمونهُ ويجلونهُ الى ان وصل الى قصرهِ في جيش عظيم وامر ونهى وانصرف الناس . فلم يستقر بهِ المجلس حتى بعث اليهِ الرشيد مسروراً وقال لهُ امض الى جعفر وأتني بهِ الساعة وقل لهُ وردت كتب خراسان فاذا دخل الباب الاول اوقف الجند واذا دخل الباب الثاني اوقف الغلمان واذا دخل الباب الثالث فلا تدع احداً يدخل معهُ من غلمانهِ بل يدخلهُ وحدهُ فاذا دخل في صحن الدار فمل بهِ الى القبة التركية التي امرتك بنصبها فاضرب عنقهُ وأتني برأسهِ ولا توقف احداً من خلق الله على ما امرتك بهِ ولا تراجعني في امرهِ . وان لم تفعل ما ذكرت امرت من يضرب عنقك ويأتيني برأسك ورأسهِ جملةً وفي دون هذا كفاية وانت اعلم . واسرع قبل ان يبلغهُ الخبر من غيرك . فمضى مسرور واستأذن على جعفر فدخل وقد نزع ثيابهُ وطرح نفسهُ ليستريح . فقال سيدي اجب امير المؤمنين . فانزعج وارتاع منهُ وقال : ويلك يا مسرور انا في هذه الساعة خرجت من عنده فما الخبر . قال وردت كتب من خراسان يحتاج ان نقرأها . فطابت نفسهُ ودعا بثيابهِ فلبسها وتقلد بسيفهِ وذهب معهُ .

فلما دخل من الباب الاول اوقف الجند وفي الثاني اوقف الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم يرَ احداً من غلمانهِ ولا الخادم الفرد فندم على ركوبهِ تلك الساعة ولم يمكنهُ الرجوع . فلما سار بازاء تلك القبة المضروبة في صحن الدار مال بهِ اليها وانزلهُ عن دابتهِ وادخلهُ القبة فلم يرَ فيها الاّ سيفاً ونطعاً فاستحس بالبلاء وقال لمسرور : يا اخي ما الخبر — فقال لهُ مسرور انا الساعة اخوك وفي منزلك تقول لي ويلك انت تدري ما القضية وما كان الله ليهلكك ولا لينفعك . فقد امرني امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسك اليهِ الساعة . فبكى جعفر وجعل يقبل يدي مسرور ويقول : يا اخي يا مسرور قد علمت كرامتي لك دون جميع الغلمان والحاشية وان حوائجك عندي مقضية في سائر الاوقات وانت تعرف موضعي ومحلي من امير

المؤمنين وما يوحيه اليّ من الاسرار ولعل ان يكون باطل بلغوٌ عني باطلاً وهذه مائة الف دينار احضرها لك الساعة قبل ان اقوم من موضعي هذا ودعني اقيم على وجهي. فقال لا سبيل الى الحياة ابدًا. قال توقف عني ساعة وارجع اليه وقل له قد فرغت مما امرتني به واسمع ما يقول وبعد فافعل ما تريد. فان فعلت ذلك وحصلت لي السلامة فاني اشهد الله وملائكته اني اشاطرك في نعمتي مما ملكته يدي واجعلك امير الجيش واملكك امر الدنيا. ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع في الحياة. فقال له مسرور ربما يكون ذلك. وحلّ منطقته واخذها ووكل به اربعين غلامًا من السودان يحفظونه. ومضى مسرور ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس يقطر غضبًا وفي يده قضيب الوانع ينكت به في الارض فلما رآه قال له ثكلتك امك ما فعلت في امر جعفر. فقال يا امير المؤمنين قد انفذت امرك فيه. فقال فاين رأسه. فقال في القبة. قال فأتني برأسه الساعة. فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة فلم يمهله ان يصلي الثانية حتى سلّ سيفه الذي اخذه منه وضرب عنقه واخذ رأسه بلحيته وطرحه بين يدي امير المؤمنين وهو يشخب دمًا

فنظر الرشيد الى الجلاّد وقال: أتني باثنين من الجنود فاتاه بهما فقال لهما: اضربا عنق مسرور فاني لا اقدر ان ارى قاتل جعفر. ثم تنفس الصعدا وبكى بكاء شديدًا وجعل ينكت في الارض اثناء كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه ويقول: يا جعفر الم احلك محل نفسي يا جعفر ما كافأتني ولا عرفت حقي ولا تنكرت في صروف الدهر ولا حسبت تقلب الايام واختلاف احوالها. يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب والعجم يا جعفر اسأت اليّ والى نفسك وما تفكرت في عواقب امرك ولم يزل على هذا الحال طورًا ينكت الارض وتارة يخاطب رأس جعفر الى ان آن وقت صلوة الظهر فخرج الى الجامع وصلى بالناس جماعة ثم التفت الى قصور جعفر ودوره واقبل على ابيه واخيه وجميع اولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم واستباح مالهم وامر بسلب جميع ما لهم من المضارب والخيام والسلاح وغير ذلك. فلما اصبح يوم السبت اذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو الف انسان وترك من بني منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم في البلاد ولم يقدر احد منهم على كسرة خبز

ثم وجه الى مدينة الرسول (صلعم) فاتى بالصبيين ولدي جعفر من اخته

العباسة فأدخلا عليهِ في بيتهِ فلما رآهما اعجب بهما وكانا في نهاية من الحسن والجمال فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنية وفصاحتهما هاشمية وفي الفاظهما عذوبة وبلاغة . فقال لكبيرهما ما اسمك يا قرة عيني . قال الحسن . وقال للصغير ما اسمك يا حبيبي . قال الحسين . فنظر اليهما وبكى بكاءً شديداً . ثم قال يعزُّ عليَّ حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما . ولم يدرِ ما اراد بهما ثم امر الجلاَّد باخذهما الى الاودة المعهودة وبقتلهما ودفنهما مع امهما في الحفرة وهو مع ذلك يبكي بكاءً شديداً حتى ظنَّ انهُ رحمهما . وامرَ بعد ذلك ان لا تذكر البرامكة في مجلس لان ذلك كان يثيرًا لاشجانهِ مجددًا في قلبهِ عوامل الاسى . وكان قتل جعفر بن يحيى في ليلة السبت اول ليلة من صفر سنة ١٨٧ وهو ابن سبع وثلاثين سنة

مقتل خالد بن جعفر

قال ابو عبيدة : كان الذي هاج الامر بين الحرث بن ظالم وخالد بن جعفر ان خالداً بن جعفر اغار على قوم الحرث بن ظالم وهم في وادٍ يقال لهُ حراض فقتل الرجال والحرث يومئذٍ غلام . وكانت نساء بني ذبيان لا يحلبن النعم . فلما قتلت رجالهنَّ طفقنَ يدعون الحرث فيفد عصاب الناقة ثم يحلبنها ويبكين رجالهنَّ ويبكي الحرث معهنَّ فنشأت في قلبهِ العداوة والبغضاء

واما خالد بن جعفر فانهُ مكث برهة من دهرهِ الى ان اتى النعمان بن المنذر ملك الحيرة ليبظر ما قدره عندهُ واتاه بفرسٍ فلقي عند الحرث بن ظالم وقد اهدى لهُ فرساً فقال : ابيت اللعن نعم صباحك واهلي فداؤك هذا فرس من خيل بني مرَّة لن يؤتى بمثلهِ . ولقد كنتُ ارتبطهُ لغزو بني عامر بن صعصعه . فلما اكرمتَ خالداً اهديتهُ اليك . وقام الربيع بن زياد العبسي فقال : هذا فرس من خيل بني عامر ارتبطت اباه عشرين سنة لم يخنق في غزوةٍ ولم يتعب في سفرٍ وفضلهُ في هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم . فغضب النعمان عند ذلك وقال : يا معشر قيس اي خيلكم اشباهنا . اين التي اذنابها كالكلاب تعالك اللجم في اشداقها تدور على مذاودها كأنما يقضمن حصى . قال خالد : زعم الحرث ابيت اللعن ان تلك الخيل خيلهُ وخيل آبائهِ . فغضب النعمان عند ذلك على الحرث بن ظالم . فلما امسوا اجتمعوا

يشربون فقال خالد لقينة تغني :

دارٌ لهندٍ والرباب وفرتني ولبئس قول حوادث الايام

وهنّ خالات الحرث بن ظالم . فغضب الحرث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً وقال : ما تزال تتبع اولى بآخرة . ثم ان النعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدم لهم تمرًا . فطفق خالد بن جعفر يأكل ويلقي نوى ما يأكل من التمر بين يدي الحرث . فلما فرغ القوم قال خالد بن جعفر : ابيت اللعن انظر الى ما بين يدي الحرث بن ظالم من النوى فما ترك لنا تمرًا الّا اكلهُ . فقال الحرث اما انا فأكلت التمر والقيت النوى . واما انت يا خالد فاكلته بنواه . فغضب خالد وكان لا ينازع فقال : تنازعني يا حارث وقد قتلت قومك وتركتك يتيماً في حجور النساء . فقال الحرث ذلك يوم لم اشهدهُ وحسبي ما انا عليهِ الآن . فقال خالد فهلاّ تشكر لي اذا قتلت زهير بن جزءة وجعلتك سيد غطفان . قال بلى اشكرك على ذلك . فخرج الحرث بن ظالم الى بنت عنزر فشرب عندها وقال لها انشدي :

تعلم ابيتَ اللعن اني فاتكٌ من اليوم او من بعدِ يا بن جعفرِ
اخالد قد نبهتني غير نائمٍ فلا تأمنن فتكي مدى الدهرِ واحذرِ
أعيرتني ان نلت منا فوارساً غداة حراضٌ مثل جناتِ عبقرِ
اصابهم الدهر الخؤون بخترة ومن لا يقي الله الحوادث يعثرِ
فعلك يوماً ان تنوء بضربتي بكفّ فتى من قومهِ غير جيدرِ
يعضُّ بها عليا هوازنَ والمنى لقاء ابي جزء بابيض مبترِ

فبلغ خالد بن جعفر قولهُ فلم يحفل بهِ . فقال عبدالله بن جعدة وهو ابن اخت خالد وكان رجل قيس رأياً لابيهِ : يا بني أأت ابا جزءٍ فاخبره ان الحرث بن ظالم سفيه موتور فاخف مبيتك الليلة فانهُ قد غلبهُ الشراب . فان ابيت فاجعل بينك وبينهُ رجلاً ليحرسك . فوضعوا رجلاً باذائهِ . ونام ابن جعدة دون الرجل . وعرف ان عروة وابن جعدة يحرسان خالدًا . فأقبل الحرث فانتهى الى ابن جعدة فتعداه ومضى الى الرجل وهو يحسبهُ خالدًا فاكب عليهِ حتى اعدمهُ الرشاد ثم مال الى خالد وهو نائم فضربهُ بالسيف فقتلهُ . فقال لعروة : اخبر الناس اني قتلت خالدًا . وقال في ذلك :

الا سائل النعمان ان كنت سائلاً وحيّ كلاب هل فتكتُ بخالدِ
عشوت اليهِ وابن جعدة دونهُ وعروة يكلا عمهُ غير راقدِ
وقد نصبا رجلاً فباشرت جوزه بكلكل مخشي العداوة حاردِ
فاضربهُ بالسيفِ يافوخَ رأسهِ وصمصم حتى نال نيط القلائدِ
وافلت عبدالله مني بذعرهِ وعروة من بعد ابن جعدة شاهدي

موت يحيى بن خالد البرمكي

لما طالت مدة سجن يحيى بن خالد كتب الى هرون الرشيد كتاباً نصهُ : « الى امير المؤمنين وخليفة رب العالمين هرون الرشيد من عبد اسلمتهُ ذنوبهُ واوبقته عيوبهُ ومال بهِ الزمان ونزل بهِ الحدثان فعالج البؤس بعد الدعة وافترش السخط بعد الرضا واكتحل السهاد بعد الهجود ساعتهُ شهر ولمتهُ دهر قد عاين الموت وشارف الفوت جزعاً لموجدتك يا امير المؤمنين واسفاً على مافات من قربك لا على شيء من المواهب لان الاهل والمال انما كانا لك وبك يا مولاي واما ما جناه ولدي خالد على نفسه فذاك امر قدّر فكان وانت براءٌ منه يا امير المؤمنين . فانظر في امري جعلت فداك وليمل هواك بالعفو عن ذنبي ولسوف تبدي لك الايام براءة ساحتي وحقيقة امري والسلام » . ثم اختتمها بهذه الابيات :

يكفيك ما ابصرت من ذلي وذل مكانيه
وبكاء فاطمة الكئيبة م والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع واسوأتي وشقائيه
من لي وقد غضب الزمان م على جميع رجاليه
يا لهف نفسي لهفها ما للزمان وماليه
يا عطفة الملك الرضا عودي علينا ثانيه

فلما بلغ كتابه امير المؤمنين اهمله ولم يجبه عليه . فاعمل يحيى وزادت آلامه حتى شعر بدنوّ الاجل فكتب رقعة الى الرشيد اوصى السجان باخذها بعد مفارقة روحه الجسد وفيها ما يأتي : « قد تقدم الخصم الى موقف الفصل وانت على الاثر والله حكم عدل » . فلما مات يحيى وبلغ الرشيد تلك الرقعة حزن عليه غاية الحزن وندم على ما بدا منه

رثاء بني برمك لسليمان بن برمك

أُصبت بسادةٍ كانوا عيونًا ... بهم نسقى اذا انقطع الغمامُ
فقلت وفي الفؤادِ ضريم نارٍ ... والعبراتِ من عيني انسجامُ
على المعروفِ والدنيا جميعًا ... ودولة آل برمك السلامُ
جزعتُ عليك يا فضل بن يحيى ... ومن يجزع عليك فلا يلامُ
هوت بك عن انجم المعروف فينا ... وغرّ بفقدك القوم اللئامُ
ولم ارَ قبل قتلك يا ابن يحيى ... حسامٌ قدّه السيفُ الحسامُ
برين الحادثاتُ له سهامًا ... فغالتهُ الحوادثُ والسهامُ
ليهن الحاسدين بابن يحيى ... اسيرٌ لا يضيم ويستضامُ
وان الفضل بعد رداء عزٍّ ... غدا ورداؤهُ ذالٌ ولامُ
وقد آليتُ معتذرًا بنذرٍ ... ولي فيما نذرتُ به اعتزامُ
بأن لا ذقتُ بعدكمُ مدامًا ... وموتي ان يفارقني المدامُ
أألهو بعدكم واقرُّ عينًا ... عليَّ اللهو بعدكم حرامُ
وكيف يطيب لي عيشٌ وفضل ... اسيرٌ دونه البلدُ الشآمُ
وجعفر ثاويًا باللحد ابلت ... محاسنهُ السمائم والقتامُ
امرُّ به فيغلبني بكائي ... ولكن البكاء لهُ اكتتامُ
اقولُ وقمتُ منتصبًا لديهِ ... الى ان كاد يفضحني القيامُ
أما والله لولا خوف واشٍ ... وعينٌ للخليفة لا تنامُ
لطفن ركن جزعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلامُ

وقيل فيهم من مرثية

الآن استرحنا واستراحت ركابنا ... وامسك من يجزي ومن كان يجتدي
فقل للمطايا قد امنت من السرى ... وطيّ الفيافي فرقدًا بعد فرقدِ
وقل للمنايا قد ظفرتِ بجعفرٍ ... ولن تظفري من بعدهِ بمسودِ
وقل للعطايا بعد فضلٍ تعطلي ... وقل للرزايا كل يومٍ تجددي
ودونك سيفًا هاشميًا مهنّدًا ... اصيبَ بسيفٍ هاشميٍّ مهنّدِ

القسم الثاني

في نوادر معن بن زائدة

عفو معن بن زائدة عن اسراه

قيل ان معنًا بن زائدة قبض على عدة من الاسرى فعرضهم على السيف . فالتفت اليهِ بعضهم وقال لهُ : اصلح الله الامير لا تجمع علينا بين الجوع والعطش ثم القتل فوالله ان كرم الامير يبعد عن ذلك . فامر لهم حينئذ بطعام وشراب فاكلوا وشربوا ومعن ينظر اليهم . فلما فرغوا من اكلهم قالوا لهُ : ايها الامير اطال الله بقاءك انا قد كنا اسراك والآن صرنا ضيوفك . فانظر كيف تصنع بضيوفك . فعند ذلك قال لهم معن : قد عفوت عنكم . فقال احدهم والله ايها الامير ان عندنا عفوك عنا اشرف من يوم ظفرك بنا . فسرَّ معنًا هذا الكلام وامر لكلٍّ منهم بكسوة ومال

كرم معن بن زائدة

حكي عن معن بن زائدة ان رجلاً قال لهُ : احملني ايها الامير . فامر لهُ بناقة وفرس وبغلة وحمار . ثم قال لهُ لو علمت ان الله خلق مركوبًا غير هذا لحملتك عليهِ وقد امرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ورداء وجورب وكيس ولو علمنا لباسًا غير هذا من الخز لاعطيناك ثم امر بادخالهِ الى الخزانة وصب تلك الخلع عليهِ

اجارة معن لرجل استغاث به من المنصور

روي ان امير المؤمنين المنصور اهدر دم رجل كان يسعى بفساد دولتهِ مع

الخوارج من اهل الكوفة . وجعل لمن دل عليهِ اوجاء بهِ مائة الف درهم . ثم ان الرجل ظهر في بغداد . فبينما هو يمشي مختفياً في بعض نواحيها اذ بصر بهِ رجل من اهل الكوفة فاخذ بمجامع ثيابهِ وقال : هذا بغية امير المؤمنين . فبينما الرجل على هذه الحالة اذ سمع وقع حوافر الخيل فالتفت فاذا معن بن زائدة . فاستغاث بهِ وقال لهُ : اجرني اجارك الله . فالتفت معن الى الرجل المتعلق بهِ وقال لهُ : ما شأنك وهذا . فقال لهُ انهُ بغية امير المؤمنين الذي اهدر دمهُ وجعل لمن دل عليهِ مائة الف درهم . فقال دعهُ وقال لغلامهِ انزل عن دابتك واحمل الرجل عليها . فصاح الرجل المتعلق وصرخ واستجار بالناس وقال : حال بيني وبين بغية امير المؤمنين . فقال لهُ معن اذهب فقل لامير المؤمنين واخبره انهُ عندي . فانطلق الرجل الى المنصور فاخبره . فامر المنصور باحضار معن في الساعة . فلما وصل امر المنصور الى معن دعا جميع اهل بيتهِ ومواليهِ واولاده واقاربهِ وحاشيته وجميع من يلوز بهِ وقال لهم : اقسم عليكم بان لا يصل الى هذا الرجل مكروهٌ ابداً وفيكم عين تطرف . ثم انهُ سار الى المنصور فدخل وسلم عليهِ فلم يرد عليهِ المنصور السلام . ثم ان المنصور قال لهُ : يا معن انجزأ عليَّ . قال نعم يا امير المؤمنين . فقال ونعم ايضاً وقد اشتد غضبهُ . فقال معن يا امير المؤمنين كم من مرة تقدم في دولتكم بلائي وحسن عنائي . وكم من مرة خاطرت بدمي . افما رأيتم اهلاً بان يوهب لي رجل واحد استجار بي بين الناس بوهمهِ انهُ عبد من عبيد امير المؤمنين وكذلك هو . فمرها شئت ها انا بين يديك . فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسهُ وقد سكن ما بهِ من الغضب وقال لهُ : قد اجرناكهُ يا معن . فقال لهُ معن : ان رأى امير المؤمنين ان يجمع بين الاجرين فيأمر لهُ بصلة فيكون قد احياه واغناه . فقال المنصور : قد امرنا لهُ بخمسين الف درهم . فقال لهُ معن : ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنب الرجل عظيم فاجزل صلتهُ . قال قد امرنا لهُ بمائة الف درهم . فقال لهُ معن عجل بها يا امير المؤمنين فان خير البر عاجلهُ . فامر لهُ بتعجيلها . فحملها وانصرف واتى منزلهُ وقال للرجل : يا رجل خذ صلتك والحق باهلك واياك ومخالفة الخلفاء في امورهم بعد هذه

جود معن بن زائدة

حكي عن معن بن زائدة ان شاعرًا من الشعراء قصده فاقام مدة يريد الدخول عليهِ فلم يتهيأ لهُ ذلك . فلما اعياه الامر سال بعض خدمهِ وقال لهُ : ارجوك اذا دخل الامير الى البستان ان تعرفني . فلما دخل معن الى بستانهِ ليتنزه جاء الخادم واخبر الشاعر . فكتب الشاعر بيتًا من الشعر على خشبة والقاها في الماء الجاري الى البستان . فاتفق ان معنًا كان جالسًا في ذلك الوقت على جانب الماء فمرت عليهِ الخشبة فنظر فيها كتابة فاخذها وقرأها فوجد فيها :

ايا جود معن ناج معنًا بحاجتي فمالي الى معنٍ سواك سبيلُ

فلما قرأها معن قال لخادمهِ : احضر الرجل صاحب هذه الكتابة . فخرج وجاء بهِ . فقال لهُ : ماذا كتبت . فانشدهُ البيت . فلما تحققهُ امر لهُ بالف درهم . ثم ان معنًا وضع تلك الخشبة تحت البساط مكان جلوسهِ . فلما كان اليوم الثاني جاء فجلس في مجلسهِ فالمتهُ الخشبة فقام لينظر ما ألمهُ فرأى الخشبة فامر خادمهُ ان يدعو الرجل فمضى وجاء بهِ فامر له بالف درهم ثانية . ثم انهُ في اليوم الثالث خرج الى مجلسهِ فالمتهُ الخشبة فدعا الشاعر واعطاه الف درهم ايضًا . فلما رأى الشاعر هذا العطاء الزائد لاجل بيت واحد من الشعر خاف ان معنًا يراجعهُ عقلهُ ويأخذ المال منهُ فهرب . ثم ان معنًا خرج الى مجلسهِ في اليوم الرابع فالمتهُ الخشبة فخطر الشاعر ببالهِ فامر خادمهُ ان يحضره ويعطيهِ الف درهم . فمضى الخادم وسال عنهُ فقيل لهُ انهُ سافر فرجع واخبر مولاه . فلما بلغهُ انهُ سافر اغتم جدًا وقال : وددت والله لو انهُ مكث واعطيته كل يوم الفًا حتى لا يبقى في بيتي درهم

الاعرابي ومعن بن زائدة

كان معن بن زائدة اميرًا على العراق وكان لهُ في الكرم اليد البيضاء وهو من الحلم على اعظم جانب . فقدم اليهِ اعرابي ذات يوم يمتحن حلمه . فلما وقف قال :

اتذكر اذ لحافك جلد شاة واذ نعلاك من جلد البعير

قال معن : اذكر ذلك ولا انساه . فقال الاعرابي :

فسبحان الذي اعطاك ملكًا وعلمك الجلوس على السرير

قال معن : سبحانه على كل حال : فقال الاعرابي :

فلست مسلمًا ان عشت دهرًا على معنٍ بتسليم الامير

قال معن : يا اخا العرب السلام عنه تاتي بها كيف شئت . فقال الاعرابي :

سارحل عن بلاد انت فيها ولو جار الزمان على الفقير

قال معن : يا اخا العرب ان جاورتنا فمرحبًا بك وان رحلت مصحوب بالسلامة . فقال الاعرابي :

فجد لي يا ابن ناقصة بشيءٍ فاني قد عزمت على المسير

قال معن : اعطوه الف دينار يستعين بها على سفره . فاخذها وقال :

قليل ما اتيت بهِ واني لاطمع منك بالمال الكثير

قال معن : اعطوه الفًا آخر . فاخذها الاعرابي وقبل الارض بين يدي الامير وقال :

سألت الله ان يبقيك ذخرًا فما لك في البرية من نظير

فقال معن قد اعطيناه على هجائنا الفي درهم فاعطوه على مديحنا اربعة آلاف . فاخذ الاعرابي المال وانصرف شاكرًا لهُ ومعجبًا بحلمهِ العظيم

معن وبعض اهل الكوفة

لما ولي المنصور معن بن زائدة آذربيجان قصده قوم من اهل الكوفة . فلما صاروا ببابهِ واستاذنوا عليه دخل الآذن فقال : اصلح الله الامير بالباب وفدٌ من اهل العراق . قال من اي العراق . قال من الكوفة . قال ائذن لهم . فدخلوا عليهِ . فنظر اليهم معن في هيئة ذرية وهو على اريكته فانشد يقول :

اذا نوبةٌ نابت صديقك فاغتنم مسرتها فالدهر بالناس قلبُ

فاحسن ثوبيك الذي هو لابس وافره مهريك الذي هو يركبُ

وبادر بمعروفٍ اذا كنت قادرًا زوال اقتدارٍ او غنىً عنك يعقبُ

فوثب اليهِ رجلٌ من القوم فقال : اصلح الله الامير الا انشدك احسن من هذا . قال لمن . قال لابن عمك ابن هرمة . قال هات . فانشد :

وللنفس تاراتٌ بها يخجل العدى وتسخو عن المال النفوس الشحائحُ
اذا المرء لم ينفعك حياً فنفعهُ اقلُّ اذا ضمت عليهِ الصفائح
لأيةِ حالٍ يمنع المرء مالهُ غدا فعدا والموت غادٍ ورائح

فقال معن احسنت وان كان الشعر لغيرك يا غلام اعطهم اربعة آلاف يستعينون بها على امورهم الى ان يتهيأ لنا فيهم ما نريد فقال الغلام يا سيدي اجعلها دنانيرًا او دراهم . فقال معن والله لا تكون همتك اعلى من همتي صفّرها لهم

معن ومروان بن ابي حفصة

لما قدم معن بن زائدة بغداد اتاه الناس واتاه مروان بن ابي حفصة . فاذا المجلس غاص باهلهِ فاخذ بمصراع في الباب وقال :

وما احجم الاعداء عنك نقيةً عليك ولكن لم يروا فيك مطمعًا
لهُ راحتان الجود والحتف فيهما ابى الله الا ان تضرّ وتنفعا

فقال معن حنكم يا ابا السمط . فقال عشرة آلاف درهم . قال معن يجب عليك ان تطلب تسعين الفًا .

ذكر ما قاله الحسين في معن بن زائدة

خرج المهدي يومًا يتصيد فلقيهُ الحسين بن مطير فانشده :

اضحت يمينك من جود مصورة لكن يمينك منها صورة الجودِ
من حسن وجهك تضحي الارض مشرقة ومن بنانك يجري الماء في العودِ

فقال المهدي : كذبت يا فاسق وهل تركت في شعرٍ موضعًا لاحد مع قولك في معن ابن زائدة :

الما بمعن ثم قولاً لقبرهِ سقتك الغوادي مربعًا ثم مربعا
فيا قبر معن كنت اول حفرة من الارض خطت للمكارم مضجعا
اياقبر معن كيف واريت جوده وقد كان منهُ البر والبحر مترعا
ولكن حويت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
وما كان الا الجود صور وجههُ فعاش ربيعًا ثم ولى مودعا

فلما مضى معن مضى الجود والندى واصبح عرنين المكارم اجدعا

فاطرق الحصين ثم قال يا امير المؤمنين وهل معن الا حسنة من حسناتك فرضي عنه وامر له بالفي دينار

معن وبعض فصحاء العرب

دخل بعض فصحاء العرب على معن فقال اصلح الله الامير لو شئت ان اتوسل اليك ببعض من يثقل عليك لوجدت ذلك سهلاً عليك ولكن استشفعت بقدرك واستعنت عليك بفضلك فان اردت ان تضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من رحلك فاني لم اكرم نفسي عن مسألتك فاكرم وجهك عن ردّي . فقال سل حاجتك . قال الف درهم . قال ربحت عليك ربحًا مبينًا . قال مثلك لا يربح على سائله . قال اضعفوا له ما سأل .

معن بن زائدة والثلاث جواري

كان معن بن زائدة يومًا في الصيد فعطش فلم يجد مع غلمانه ماء . فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فسقينه . فطلب شيئًا من المال مع غلمانه فلم يجد . فدفع لكل واحدة منهن عشرة اسهم من كنانته نصولها من ذهب . فقالت احداهن : ولكن لم تكن هذه الشمائل الا لمعن بن زائدة . فلنقل كل واحدة منكن شيئًا من الابيات فقالت الاولى :

يركب في السهام نصول تبرٍ ويرمي للعدا كرمًا وجودا
فللمرضى علاجٌ من جراح واكفان لمن سكن اللحودا

وقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه عمت مكارمه الاقارب والعدى
صيغت نصول سهامه من عسجدٍ كي لا يفوته التقارب والندا

وقالت الثالثة

ومن جوده يرمي العداة باسهم من الذهب الابريز صيغت نصولها
لينفقها الجروح عند انقطاعه ويشتري الاكفان منها قتيلها

معن واحد العامة

خرج معن بن زائدة يوماً في جماعة الى الصيد . فقرب منهم قطيع ظباء فافترقوا في طلبهِ وانفرد معن خلف ظبي . فلما ظفر بهِ نزل فذبحهُ فرأى شخصاً مقبلاً من البرية على حمارٍ فركب فرسهُ واستقبلهُ فسلم عليهِ وقال لهُ : من اين اتيت . قال لهُ اتيت من ارض قضاعة وان لها مدة من السنين مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة فزرعت فيها قثاء وقصدت الامير معن بن زائدة لكرمهِ المشهور . ومعروفهِ المأثور فقال لهُ : كم املت منهُ . قال الف دينار . قال لهُ ان قال لك هذا القدر كثير . فقال : خمسمائة دينار . قال فان قال لك كثير . قال ثلاثمائة دينار . قال فان قال لك كثير . قال مائتا دينار . قال فان قال لك كثير . قال مائة دينار . قال فان قال لك كثير . قال خمسين ديناراً . قال فان قال لك كثير . قال ثلاثين ديناراً . قال فان قال لك كثير . قال : ادخلت قوائم حماري في فكهِ وارجع الى اهلي خائباً صفر اليدين . فضحك معن منهُ وساق جوادهُ حتى لحق بعسكرهِ ونزل في منزلهِ وقال لحاجبهِ . اذا اتاك شخص على حمار بقثاء . فادخلهُ عليَّ . فاتى ذلك الرجل بعد ساعة فأذن لهُ الحاجب في الدخول . فلما دخل على الامير معن لم يعرف انهُ هو الذي قابلهُ في البرية لهيبتهِ وجلالتهِ وكثرة خدمهِ وحشمهِ وهو متصدر في دست مملكتهِ والهيبة قيام عن يمينهِ وعن شمالهِ وبين يديهِ . فلما سلم عليهِ قال لهُ الامير : ما الذي اتى بك يا اخا العرب . قال املت الامير وانيت لهُ بقثاء في غير اوانها . فقال لهُ : وكم املت منا . قال الف دينار . قال هذا القدر كثير . قال خمسمائة دينار قال . كثير . قال ثلاثمائة دينار . قال كثير . قال مائتا دينار . قال كثير . قال مائة دينار . قال : كثير . قال خمسين ديناراً . قال كثير . قال ثلاثين ديناراً قال كثير . قال والله لقد كان ذاك الرجل الذي قابلني في البرية مشؤوماً . افلا اقل من ثلاثين ديناراً . فضحك معن وسكت فعلم الاعرابي ان هذا الرجل الذي قابلهُ في البرية فقال لهُ : ياسيدي اذا لم تجيء بالثلاثين ديناراً فها هو الحمار مربوط بالباب وها معن جالس . فضحك معن حتى استلقى على قفاه . ثم استدعى وكيلهُ وقال لهُ : اعطهِ الف دينار وخمسمائة دينار وثلاثمائة دينار ومائتي دينار وخمسين ديناراً وثلاثين

دينارًا ودع الحمار مربوطًا مكانه . فبهت الاعرابي وتسلم الالفين ومائة دينار وثمانين دينارًا

قيل في معن بن زائدة

يقولون معن لا زكاة لماله ... وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم يكن في دياره ... من المال الاَّ ذكرهُ وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذي انت سائله
تعوَّد بسط الكف حتى لو انه ... اراد انقباضًا لم تطعهُ انامله
فلو لم يكن في كفهِ غير نفسهِ ... لجاد بها فليتق الله سائله

لمروان بن ابي حفصة يرثي بها معن بن زائدة

مضى لسبيله معن وابقى ... مكارم لن تبيد ولن تنالا
كأن الشمس يوم اصيب معن ... من الاظلال ملبسة ظلالا
هو الجبل الذي كانت نزارٌ ... بهِ من العدوّ بهِ الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن ... وقد يروى بها الاسل النهالا
واظلمت العراق واورثتها ... مصيبتهُ المجللة اعتلالا
وظل الشام يرجف جانباه ... لركن العزّ حين وهى فمالا
وكادت من تهامة كل ارض ... ومن نجد تزول غداة زالا
فان يعلو البلاد له خشوع ... فقد كانت تطول بهِ اختيالا
اصاب الموت يوم اصاب معنًا ... من الاحياء اكرمهم فعالا
كأنَّ الناس كلهم بمعن ... الى ان زار حفرتهُ عيالا
ولم يك طالب المعرف ينوي ... الى غير بن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل عبءٍ ... ويسبق فضل نائله السؤالا
وما عمد الوفود لمثل معن ... ولا حطوا بساحتهِ الرحالا
ولا بلغت اكف ذوي العطايا ... يمينًا من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض ... من المعروف مترعة سجالا

فليت الشامتين بهِ فدوه ... وليت العمر مد لهُ فطالا
ولم يك كنزه ذهبًا ولكن ... سيوف الهند والسمر الصقالا
وذخرًا في محامد باقيات ... وفضل تقيّ بهِ التفضيل نالا
مضى لسبيلهِ من كنت ترجو ... بهِ عثرات دهرك ان نقالا
فلست بمالك عبرات عين ... ابت بدموعها الاَّ انهمالا
فلهف ابي عليك اذا اليتامى ... غدوا شعثًا وقد اضحوا سلالا
ولهف ابي عليك اذ القوافي ... لممتدح بها ذهبت ضلالا
أقمنا باليمامة اذ بغتنا ... مقامًا لا نريد لها نزالا
وقلن اين نرحل بعد معن ... وقد ذهب النوال فلا نوالا
سيذكرك الخليفة غير قالٍ ... اذا هو في الامور بلا الرجالا
ولا ينسى وقائعك اللواتي ... على أعدائهِ جعلت وبالا
حباك اخو اميمة بالمراثي ... مع المدح الذي قد كان قالا
والقى رحلهُ أسنًا وأكى ... يمينًا لا يشد لهُ حبالا

القسم الثالث

في

نوادر حاتم الطائي

حاتم في صغره

كان حاتم من شعراء العرب وكان جوادًا يشبه شعره جوده ويصدق قوله فعله . وكان حيثما نزل عرف منزله . وكان مظفرًا اذا قاتل غلب واذا غنم انهب واذا سئل وهب واذا ضرب بالقداح فاز واذا سابق سبق واذا اسر اطلق وكان يقسم بالله ان لا يقتل وحيد امه . وكان اذا اهل الشهر الاصم الذي كانت مضر تعظمه في الجاهلية ينحر في كل يوم عشرًا من الابل فيطعم الناس ويجتمعون اليه . فكان ممن يأتيه من الشعراء الحطيئة وبشر بن ابي حازم . فذكروا ان ام حاتم أُتيت وهي حبلى بالمنام فقيل لها : اغلام سمح يقال لهُ حاتم احب اليك ام عشرة غلمة كالناس . ليموت ساعة الياس . ليسوا باوغال ولا انكاس . فقالت : حاتم . فولدت حاتمًا . فلما ترعرع جعل يخرج امامه فان وجد من ياكله معه اكل وان لم يجد طرحه . فلما رأى ابوه انهُ يهلك طعامه قال لهُ الحق بالابل . فخرج اليها . ووهب له جارية وفرسًا وفاوها . فلما اتى الابل طفق يبغي الناس فلا يجدهم ويأتي الطريق فلا يجد عليه احدًا . فبينما هو كذلك اذ بصر بركب على الطريق فأتاهم . فقالوا يا فتى هل من قرى . فقال تسألوني عن القرى وقد ترون الابل . وكان الذين بصر بهم ابن الابرص وبشر بن ابي خازم والنابغة الذبياني وكانوا يريدون النعمان فنحر لهم ثلاثة من الابل فقال عبيد انما اردنا باللقرى اللبن . وكانت تكفينا بكرة اذا كنت لا بد متكلفًا لنا شيئًا . فقال حاتم قد عرفت ولكن رأيت وجوهًا مختلفة والوانًا متفرقة فظننت ان البالدان غير واحدة فاردت ان يذكر كل واحد منكم مارأى اذا اتى

الى قومه . فقالوا فيه اشعارًا امتدحوه بها وذكروا فضله . فقال حاتم : اردت ان احسن اليكم فكان لكم الفضل عليّ وانا اعاهد الله فاضرب عراقيب ابلي عن آخرها وتقدموا اليها فتقتسموها . ففعلوا فاصاب الرجل تسعة وتسعين بعيرًا ومضوا على سفرهم الى النعمان . وان ابا حاتم سمع بما فعل فاتاه فقال له ابن الابل . فقال يا ابت طوقتك بها طوق الحمامة لجيد الدهر وكرمًا لا يزال الرجل يحملك بيت شعر اثني به علينا عوضًا عن ابلك . فلما سمع ابوه ذلك قال : والله لا اساكنك ابدًا فخرج ابوه باهله وتركه هائمًا ومعه جاريته وفرسه وفلوها . فقال يذكر تحوّل أبيه عنه

واني لعف الفقر مشترك الغنى ... وتارك شكل لا يوافقه شكلي
واجعل مالي دون عرضي جنة ... لنفسي واستغني بما كان من فضلي
وما ضرّني ان سار سعد بأهله ... وافردني في الدار ليس معي اهلي
سيكفني ابتنائي المجد سعد ابن حشرج ... واحمل عنكم كل ما حلّ من ازلي
ولي مع بذل المال في المجد صولة ... اذا الحرب ابدت عن نواجذها العضل
وما من لئيم عالة الدهر منّ ... فيذكرها الاّ استحال الى البخل

كرم حاتم

أغار قومٌ على طي فركب حاتم فرسه واخذ رمحه ونادى في جيشه واهل عشيرته والتقى القوم فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم : يا حاتم هبني رمحك فرمى به اليه . فقيل لحاتم عرضت نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك . فقال قد علمت ذلك ولكن ماجواب من يقول هب لي

مفاخرة بين حاتم وسعيد بن حارثة

خرج الحكم بن ابي العاصي ومعه عطر يريد الحيرة . وكان بالحيرة سوق يجتمع اليه الناس كل سنة . وكان النعمان بن المنذر قد جعل لبني لام بن عمر ربع الطريق طعمة لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت عند النعمان وكانوا صهاره . فمرّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم بن عبدالله فسأله الجوار في ارض طي حتى يصير الى

الحيرة فأجاره ثم امر حاتم بجزورٍ فنحرت وطبخت فأكلوا ومع حاتم سلمان بن حارثة بن سعد بن الحشرج وهو ابن عمهِ . فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبهِ ذلك . فمرَّ حاتم بسعد بن حارثة بن لام وليس مع حاتم من بني ابيهِ غير سلمان وحاتم على راحلتهِ وفرسهُ ثقاد . فأتاه بنو لام فوضع حاتم سفرته وقال : اطعموا حياكم الله . فقالوا من هؤلاء معك يا حاتم . قال هؤلاء جيراني قال لهُ سعد فأنت تجير علينا في بلادنا . قال لهُ انا ابن عمكم واحق من لم تخفروا ذمتهُ . فقالوا لست هذاك . وارادوا ان يفضحوهُ كما فضح عامر بن جوين قبلهُ فوثبوا اليهِ فتناول سعد بن حارثة بن لام حائمًا . فأهوى لهُ حاتم بالسيف فاطار اربنبة انفهِ ووقع الشر حتى تحاجزوا فقال حاتم في ذلك

وددتُ وبيت الله لو ان انفهُ هناك فما متَّ المخاط عن العظم
ولكنها لاقاه سيف ابن عمهِ فآب ومرَّ السيف منهُ على الخطم

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فتماجدك ونضع الرهن . ففعلوا ووضعوا تسعة افراس رهنًا على يد رجل من كلب يقال لهُ امرؤ القيس بن عدي ووضع حاتم فرسهُ . ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة . وسمع ذلك اياس بن قبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان بن المنذر ويقويهم بمالهِ وسلطانهِ المصهر الذي بينهم وبينهُ فجمع اياس رهطهُ من بني حية وقال : يا بني حية ان هؤلاء القوم قد ارادوا ان يفضحوا ابن عمكم في ماجدتهِ . فقال رجل من بني حية : عندي مائة ناقة سوداء ومائة ناقة حمراء ادماء وقام آخر فقال : عندي عشرة احصنة على كل حصان منهم فارس مدجج لا يرى منهُ الاَّ عيناه . وقال حسان بن جبلة الحيري : قد علمتم ان ابي قد مات وترك كلاءً كثيرًا فعليَّ كل خمر او لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة . ثم قام اياس فقال : عليَّ مثل جميع ما اعطيتم كلكم . كل ذلك وحاتم لا يعلم شيئًا ما فعلوا . وذهب حاتم الى مالك بن جبار ابن عمٍّ لهُ بالحيرة كان كثير المال فقال : يا ابن العمّ اعني على مفاخرتي ثم انشد :

يا مال احدى خطوب الدهر قد طرقت يا مال ما انتم عنها بزحزاح
يا مال جاءت حياض الموت واردة من بين عمرٍ فخضناه وضحضاح

فقال لهُ مالك : ما كنت لاخرب نفسي ولا عيالي واعطيك مالي . فانصرف عنهُ واتى ابن عمٍّ لهُ يقال لهُ وهم بن عمرو وكان حاتم يومئذٍ معادلهُ لا يكلمهُ فقالت لهُ امرأته : ايْ وهْ هذا والله ابو سفانة حاتم قد طلع . فقال ما لنا ولحاتم اثبتي النظر . فقالت ها هو . قال ويحك هو لا يكلمني فما جاء بهِ اليّ . فنزل حاتم فسلم عليهِ . فرد سلامه وحياه ثم قال له : ما جاء بك يا حاتم . قال خاطرت على حسبك وحسبي . قال في الرحب والسعة هذا مالي (وكانت عدته يومئذٍ تسعماية بعير) فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل او تصيبها ما تريد . فقالت امرأته : يا حاتم انت تخرجنا عن مالنا وتفضح صاحبنا تعني زوجها . فقال اذهبي عني فوالله ما كان الذي غمك ليردني عما قصدت . وقال حاتم

الا ابلغا وهمَ بن عمروٍ رسالةً ... فانك انت المرء بالخير اجدرُ
رأيتك اوفى الناس منا قرابةً ... وغيرك منهم كنت احبو وانصرُ
اذا ما اتى يومٌ يفرق بيننا ... بموتٍ فكن ياوهم من يتأخرُ

ثم قال اياس بن قبيصة : احملوني الى الملك . وكان بهِ نقرس . فحمل حتى ادخل عليهِ . فقال : انعم صباحًا ابيت اللعن . فقال النعمان : وحياك الهك . فقال اياس امدّ اخنانك بالمال والخيل وتجعل بني ثعل في قعر الكنانة . أظنّ اخنانك ان يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا ان بني حية بالبلد . فان شئت والله ناجزناك حتى يطفح الوادي دمًا . فليحضروا مجادهم (مناخرتهم) غدًا بجمع العرب . فعرف النعمان الغضب في وجههِ وكلامهِ فقال له يا احلمنا لا تغضب فاني مأكفيك . وارسل النعمان الى سعد بن حارثة والى اصحابه : انظروا ابن عمكم حاتمًا فارضوه فوالله ما انا بالذي اعطيكم مالي تبذرونه وما اطيق بني حية . فخرج بنو لام الى حاتم فقالوا له : اعرض عن هذا المجاد ندع أرش انف ابن عمنا . قال لا والله لا افعل حتى تتركوا افراسكم ويقلب مجادكم . فتركوا ارش انف صاحبهم وافراسهم وقالوا : قبحها الله وابعدها فانما هي مقارف . فعمد اليها حاتم فعقرها واطعمها الناس وسقاهم الخمر . وقال حاتم في ذلك :

ابلغ بني لام بان خيولهم ... عقرى وان مجادهم لم يجدِ

ها انما مطرت سماؤكم دمًا ورفعت رأسك مثل راس الاصيد
ليكون جيراني اكالى بينكم نجلاً لكندي وسبي مزبد
وابن النجود اذا غدا متلاظماً وابن العذوّ رذي العجان الابرد
ولشابت عيني جدا متماوت وللفظ اوسيّ عوى لمقلد
ابلغ بني ثعل باني لم اكن ابدًا لافعلها طوال المسند
لا جئتهم فلاً واترك صحبتي نهبًا ولم تغدر بقائمة يدي

ملك الروم وحاتم الطائي

من اعجب ما حكي عن حاتم الطائي ان احد قياصرة الروم بلغتهُ اخبار حاتم فاستغرب ذلك . وكان قد بلغهُ ان لحاتم فرسًا من كرام الخيل عزيزة عنده فارسل اليهِ بعض حجابهِ يطلب منهُ الفرس هديةً اليهِ وهو يريد ان يمتحن سماحتهُ بذلك . فلما دخل الحاجب ديار طي سأل عن أبيات حاتم حتى دخل عليهِ . فاستقبلهُ ورحب بهِ وهولا يعلم انهُ حاجب الملك . وكانت المواشي حينئذٍ في المراعي فلم يجد اليها سبيلاً لقرى ضيفهِ فنحر الفرس واضرم النار . ثم دخل الى ضيفهِ يحادثهُ فاعلمهُ انهُ رسول قيصر وقد حضر يستميح الفرس . فساء ذلك حاتمًا وقال : هلاّ اعلمتني قبل الآن فاني قد نحرتها لك اذ لم اجد جزورًا غيرها بين يدي . فعجب الرسول من سخائهِ وقال : والله لقد رأينا منك اكثر مما سمعنا

حاتم وامرأتهُ ماوية

قيل ان حاتم الطائي لما كان متزوجًا بماوية بنت عفير كانت تلومهُ كثيرًا على اتلاف المال فلا يلتفت الى قولها ولا يكترث بهِ وكان لها ابن عم يقال لهُ مالك فقال لها يومًا ما تصنعين بحاتم فوالله ائن وجدَ مالاً ليتلفنهُ وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن اولاده عالة على قومك . فقالت ماوية صدقت انهُ كذلك . وكنّ يطلقن الرجال في الجاهلية . وذلك ان يقمن ضمن بيت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق حولتهُ الى المغرب وان كان من قبل المغرب حولتهُ الى المشرق وان كان من قبل اليمن حولتهُ الى الشام وان كان من قبل الشام حولتهُ الى

اليمن . فاذا رأى الرجل ذلك علم انها طلقتهُ فلم يأتها . ثم قال لها ابن عمها طلقي حاتمًا وانا اتزوجك فاني خير لك منهُ واكثر مالاً واقل تبذيرًا فلم يزل بها حتى طلقتهُ فأتاها حاتم وقد حولت باب الخباء . فقال حاتم لولدهِ يا عدي انرى ما فعلت امك فقال قد رأيت ذلك . فأخذ ابنهُ وهبط بطن وادٍ فنزل فيهِ فجاء قومٌ فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون وكانت عدتهم خمسين فارسًا فضاقت بهم ماوية ذرعًا وقالت لجاريتها : اذهبي الى ابن عمي وقولي لهُ ان اضيافًا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً فارسل لنا بشيء نقريهم ولبن نسقيهم وقالت لها انظري الى جبينهِ وفمهِ فان شافهك بالمعروف فاقبلي منهُ وان ضرب بلحيتهِ على زورهِ ولطم رأسهُ فاقبلي ودعيهِ . فلما انتهت وجدتهُ متوسدًا وطبًا من لبن فأيقظتهُ وابلغتهُ الرسالة وقالت لهُ انما هي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم . فلطم رأسهُ بيدهِ وضرب بلحيتهِ وقال اقرئيها السلام وقولي لها : هذا الذي امرتك ان تطلقي حاتمًا لاجلهِ وما عندي لبن يكفي اضياف حاتم . فرجعت الجارية فاخبرتها بما رأت وما قال لها . فقالت لها : اذهبي الى حاتم وقولي لهُ ان اضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فارسل الينا بناقةٍ نقريهم ولبن نسقيهم . فاتت الجارية حاتمًا فصاحت بهِ فقال لبيك ماذا تريدين . فاخبرتهُ بما جاءت بسببهِ . فقال لها حباً وكرامة ثم قام الى الابل فاطلق اثنتين من عقالها وصاح بهما حتى اتيا الخباء ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح : هذا الذي طلقتك بسببهِ تترك اولادنا وليس لهم شيء . فقال لها ويحك يا ماوية الذي خلقهم وخلق العالم باسرهِ متكفلٌ بارزاقهم

جود حاتم الطائي

قالت نوار امرأة حاتم : اصابتنا سنة اقشعرت لها الارض واغبرَّ افق السماء . وضرب الجوع اطنابهُ حتى بتنا بالهلاك . فبقينا الليل على هذا الحال والموت يتهددنا ويتهدد اولادنا عبدالله وعديّ وسنانة . فقام حاتم الى الولدين وقمت انا الى الابنة وما سكتوا الاَّ بعد هدأةٍ من الليل . واقبل يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت . فلما اسود الدجى اذا بصوت قد سمع ويد حركت الباب . فقال من هذا . قالت جارتك فلانة اتيتك من عند صبيةٍ يتعاوون كالذئاب فما وجدت سندًا سواك يا ابا عديّ . فقال عليَّ بهم فقد اشبعك الله واياهم . فاقبلت المرأة

تحمل اثنين ويمشي ورائها اربعة كانها نعامة حولها رئالها . فقام الى فرسهِ فنحره . ثم كشط عن جلدهِ ودفع المدية الى المرأة وقال لها : شأنكِ . فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل . ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتًا بيتًا فيقول : هبوا ايها القوم عليكم بالنار . فاجتمعوا والتنع في ثوبهِ متنحيًا ينظر الينا بدون ان يذوق طعامًا هو احوج اليهِ منا . فاصبحنا وما على الارض من الفرس الاَّ عظمٌ وحافر . فانشأ حاتم يقول

مهلاً نوارُ اقلي اللوم والعذلاَ ... ولا تقولي لشيءٍ فات ما فعلاَ
ولا تقولي لمالٍ كنت مهلكهُ ... مهلاً وان كنت اعطي الانس والجبلاَ
يرى البخيلُ سبيل المال واحدةً ... انٍ الجوادَ يرى في مالهِ سبلاَ

ولحاتم الطائي وقد استنشدته ماوية

اماويَّ قد طال التجنب والهجرُ ... وقد غدرتني من طلابكم العذرُ
اماوي ان المال غادٍ ورائحٌ ... ويبقى من المال الاحاديث والذكرُ
اماوي اني لا اقول لسائلٍ ... اذا جاء يومًا حلَّ في مالنا نذرُ
اماوي اما مانعٌ فمبينٌ ... واما عطاءٌ لا ينهنههُ الزجرُ
اماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... اذا حشرجت نفسٌ وضاق بها الصدرُ

ومنها

اماوي ان يصبح حداي بقفرةٍ ... من الارض لا ماءٌ هناك ولا خمرُ
تري ان ما اهلكت لم يك ضرَّني ... وان يدي مما بخلتُ بهِ صفرُ
اماوي اني ربَّ واحد امهِ ... احيرت فلا قتلٌ عليهِ ولا اسرُ
وقد علم الاقوام لو ان حاتمًا ... اراد ثراء المال كان لهُ وفرُ
واني لا آلو بمالٍ صنيعةً ... فاولهُ زادٌ وآخره ذخرُ
ينكُّ بهِ العاني ويؤكل طيبًا ... وما ان تعربهِ القداح ولا الخمرُ
ولا اظلم ابن العمِّ ان كان اخوتي ... شهودًا وقد اودى باخوتهِ الدهرُ
عنينا زمانًا بالتصعلك والغنى ... كما الدهر في ايامهِ العسرُ واليسرُ
كسبنا صروف الدهر لينًا وغلظةً ... وكلاًّ سقاناه بكاسهما الدهرُ
فما زادنا بغيًا على ذي قرابةٍ ... غنانا ولا ادى باحسابنا الفقرُ
فقدمًا عصيت العاذلات وسلطت ... على مصطفى مالي اناملي العشرُ

وما ضرّ جارًا يا ابنة العم فاعلمي ... يجاورني الاّ يكون له ستر
بعينيّ عن جاراتِ قولي غفلةٌ ... وفي السمع مني عن حديثهمِ وقرُ

وقال احدهم في حاتم

وحاتم طيءٍ ان طوى الموت جسمهُ ... فنشرُ اسمهِ في الجود عاش مخلدا

وقال آخر

لما سألتك شيئًا ... بدلت رشدًا بغيّ
ممن تعلمت هذا ... الا تجود بشيّ
اما مررت بعبدٍ ... لعبدِ حاتم طيّ

وصادف ابن الكلبيّ حاتمًا فانشدهُ :

وعاذلةٍ هبت بليل تلومني ... وقد غاب عيوق الثريا فغرّدا
تلوم على اعطائي المال ضلة ... اذا ضلّ بالمال البخيل وصردا
تقول الا امسك عليك فانني ... ارى المال عند الممسكين معبدا
ذريني وشأني ان مالكِ وافرٌ ... وكل امرئٍ جارٍ على ما تعودا
اعاذل لا آلوك الاّ خليقتي ... فلا تجعلي فوقي لسانك مبردا
ذريني يكن مالي لعرضي جنة ... يقي المال عرضي قبل ان يتبددا
اربني جوادًا مات هزلاً لعلني ... ارى ما ترين او بخيلاً مخلدا
والاّ فكفني بعض قولك واجعلي ... الى رأي من تلحين رأيك مسندا
الم تعلمي اني اذا الضيف نابني ... وعزّ القرى اقري السديف المرهدا
أسوّدُ سادات العشيرة عارفًا ... ومن دون قومي في الشدائد مذودا
وألفى لاعراض العشيرة حافظًا ... وحتهم حتى اكونَ المسوّدا
يقولون لي اهلكت مالك فاقتصد ... وما كنت لولا ما تقولون سيدا
كلوا الآن من رزق الاله وايسروا ... فان على الرحمن رزقكمُ غدا
سأذخرُ من مالي دلاصًا وسابحًا ... واسمرَ خطيًّا وعضبًا مهندا
وذلك يكفيني من المال كلهِ ... مصونًا اذا ما كان عندي متلدا

وانشده ايضًا :

الا سبيلٌ الى مالٍ يعارضني ... كما يعارض ماء الابطح الجاري

الا أُعان على جودي بميسرةٍ فلا بردُ لدى كفيَّ اقتاري

وانشد ايضًا :

اما والذي لا يعلم الغيب غيره ويحيي العظام البيض وهي رميمُ
لقد كنت اطوي البطن والزاد يشتهى مخافة يومًا ان يقال لئيمُ
وما كان بي ما كان والليل ملبسٌ رواق له فوق الاكام بهيمُ
الفُّ بجلسي الزاد من دون صحبتي وقد آب نجمٌ واستقل نجومُ

وانشدُ ايضًا :

وقائلة اهلكت بالجودِ مالنا ونفسك حتى ضرَّ نفسك جودها
ففلت دعيني انما تلك عادتي لكلِّ كريم عادةٌ يستعيدها

وانشد حاتمٌ يخاطب امرأتهُ ماوية بنت عبدالله

ايا ابنة عبدالله وابنة مالكٍ ويا ابنة ذي البردين والفرس الوردي
اذا ما صنعت الزادَ فالتمسي له اكيلاً فاني لستُ آكلهُ وحدي
اخًا طارقًا او جارَ بيتٍ فانني اخاف مذمَّات الاحاديث من بعدي
واني لعبدُ الضيفِ ما زال ثاويًا وما فيَّ الاَّ تلك من شيمةِ العبدِ

يزيد بن حاتم وربيعة الرأي

قيل ان ربيعة الرأي قدم مصر فاتى يزيد السلمي فلم يعطهِ شيئًا ثم عطف على يزيد بن حاتم فشغل عنهُ لامرٍ ضروري فخرج وهو يقول :

اراني ولا كفران لله راجعًا بخفيَّ حنينٍ من نوال ابن حاتم

فلما فرغ بن حاتم من ضرورتهِ سأل عنهُ فقيل لهُ انهُ خرج وهو يقول كذا وانشد البيت فارسل من يجد في طلبهِ فاتى بهِ فقال كيف قلت فانشد البيت فقال يزيد : شغلنا عنك وعجلت علينا . ثم امر بخفيهِ فخلعا من رجلهِ وملئا مالاً وقال : ارجع بهما بدلاً من خفي خفنين

مديح حاتم بعد الوفاة

خرج اليهِ رجل من الشعراء يمدحهُ فلما بلغ مصر وجده قد مات فقال فيهِ :

لئن مصر فانتني بما كنت ارتجي واخلفني منها الذي كنت آملُ
فما كل ما يخشى الفتى بمصيبةٍ ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
وما كان بيني لو لقيتك سالمًا وبين الغنى الاَّ ليالٍ قلائل

حاتم الطائي بعد الوفاة

يحكى عن حاتم الطائي انهُ لما مات دفن في رأس جبل وعملوا على قبرهِ حوضين من حجر بن و رسوم بنات محلولات الشعور من حجر . وكان تحت ذلك الجبل نهر جارٍ . فاذا نزلت الوفود يسمعون الصراخ في الليل من العشاء الى الصباح . فاذا اصبحوا لم يجدوا احدًا غير البنات المصورة من الحجر

فلما نزل ذو الكراع ملك حمير بذلك الوادي خارجًا عن عشيرتهِ بات تلك الليلة هناك . وتقرَّب من ذلك الموضع فسمع الصراخ فقال : ماهذا العويل الذي فوق هذا الجبل فقالوا لهُ ان هذا قبر حاتم الطائي وان عليهِ حوضين من حجر ورسوم بنات من حجر محلولات الشعور . وكل ليلة يسمع النازلون في هذا المكان هذا العويل والصراخ . فقال ذو الكراع ملك حمير يهزأ بحاتم الطائي : يا حاتم نحن الليلة ضيوفك ونحن خماص . (قال) فغلب عليهِ النوم . ثم استيقظ وهو مرعوب وقال : يا عرب الحقوني وادركوا راحلتي . فلما جاءوا وجدوا الناقة تضطرب فذبحوها وشووا لحمها واكلوا . ثم سألوه عن سبب ذلك فقال : غفلت عيني فرأيت في منامي حاتم الطائي وقد جاءني بسيف وقال : جئتنا ولم يكن عندنا شيء . وضرب ناقتي بالسيف . فلو لم تحصلوها وتنحروها لماتت . فلما اصبح الصباح ركب ذو الكراع راحلة واحد من اصحابهِ واردفهُ خلفهُ . فلما كانوا وسط النهار رأوا راكبًا على راحلةٍ وفي يدهِ راحلة اخرى . فقالوا لهُ من انت . فقال انا عدي بن حاتم الطائي . ثم قال ابن ذو الكراع امير حمير . فقالوا لهُ هذا هو . فقال اركب هذه الناقة عوضًا عن راحلتك فان ناقتك قد ذبحها ابي لك . قال ومن اخبرك . قال اتاني الليلة في المنام وقال لي : يا عدي ان ذا الكراع ملك حمير استضافني فنحرت لهُ ناقتهُ فادركهُ بناقة بركيها فاني لم يكن عندي شيء . فاخذها ذو الكراع وتعجب من كرم حاتم حيًا وميتًا

القسم الرابع

في نوادر الخليفة المهدي

ابو دلامة والمهدي

ولد لابي دلامة ابنة ليلاً فاوقد السراج وجعل يخيط خريطة من شقيق فلما اصبح طواها بين اصابعهِ وغدا بها الى المهدي واستأذن عليهِ وكان لا يمنعهُ الدخول فانشد

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قومٌ لقيل اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا من شعاع الشمس في درج ... الى السماء فانتم اكرم الناسِ

قال لهُ المهدي احسنت والله ابا دلامة فما الذي غدا بك الينا . قال ولدت لي جارية يا امير المؤمنين . قال فهل قلت فيها شعرًا . قال نعم قلت

فما ولدتك مريم ام عيسى ... ولم يكفلك لقمان الحكيمُ
ولكن قد تضمك ام سوء ... الى لهاتها وابٌ لئيمُ

فضحك المهدي وقال : فما تريد ان اعينك بهِ في تربيتها . قال تملأ هذهِ يا امير المؤمنين وانهار اليهِ بالخريطة بين اصبعيهِ . فقال المهدي وما عسى ان تحمل هذه . قال من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير فمر ان تملأ مالاً . فلما نشرت اخذت عليهِ صحن الدار فدخل فيها اربعة آلاف درهم . فضحك المهدي حتى استلقى على قفاه

ابو دلامة والمهدي

وكان المهدي قد كسى ابا دلامة ساجًا فاخذ بهِ وهو سكران فاتى بهِ الى المهدي فامر بتمزيق الساج عليهِ وان يسجن في بيت الدجاج . فلما كان في بعض

الليل وصحا ابو دلامة من سكره ورأى نفسه بين الدجاج صاح يا صاحب البيت فاستجاب له السجان وقال : مالك يا عدو الله . قال ويلك من ادخلني مع الدجاج . قال اعمالك الخبيثة اتى بك امير المؤمنين وانت سكران فامر بتمزيق ساجك وحبسك مع الدجاج . قال له ويلك اوقد لي سراجًا وجئني بدواة وورق فكتب ابو دلامة الى المهدي :

أمن صهباء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها النفوس وتشتهيها ... اذا برزت ترقرق في الزجاج
امير المؤمنين فدتك نفسي ... علامَ حبستني وخرقت ساجي
افاد الى السجون بغير ذنب ... كأني بعض عمال الخراج
ولو مغنم حبست لهان ذاكم ... ولكني حبست مع الدجاج
دجاجات يطيف بهن ديكٌ ... ينادي بالصياح اذا يناجي
وقد كانت تخبرني ذنوبي ... بأني من عذابك غير ناجي
على اني وان لاقيت شرًّا ... لخيرك بعد ذاك الشر راجي

ثم قال اوصلها الى امير المؤمنين فاوصلها اليه السجان فلما قرأها امر باطلاقه وادخله عليه فقال له اين بتَّ الليلة ابا دلامة . قال مع الدجاج يا امير المؤمنين . قال فما كنت تصنع . قال كنت اقوقي معهنَّ حتى اصبحت فضحك المهدي وامر له بصلة جزيلة وخلع عليه كسوة شريفة

المهدي وابو دلامة الشاعر

لما اتصل بالمهدي خبر وفاة والده بمكة المكرمة اشتد منه الحزن واغرورقت عيناه بالدموع وقال ان رسول الله قد بكى عند فراق الاحبة ولقد فارقت عظيماً وقلدت جسيماً وبينما كان المهدي جالسًا للتعزية بوالده والتهنئة بما يعقبه دخل عليه ابو دلامة فانشد

عيناي واحدة ترى مسرورةً ... باما مها جذلى واخرى تطرفُ
تبكي وتضحك من وبسوءها ... ما انكرت وبسرها ما تعرفُ
فيسوءها موت الخليفة محرمًا ... وبسرها اذ قام هذا الأرأفُ

فاجزل له العطاء وكان اول من وصله

المهدي والاعرابي

قيل ان المهدي قعد قعوداً عاماً للناس فدخل رجل في يده نعل ومنديل فقال يا امير المؤمنين هذه نعل رسول الله قد اهديتها اليك . قال هاتها فدفعها اليه فقبل باطنها ورفعها على عينيه وامر للرجل بعشرة آلاف درهم . فلما اخذها وانصرف قال لجلسائه : اترون اني لم اعلم ان رسول الله (صلعم) لم يرها فضلاً عن ان يكون لبسها . ولو كذبناه لقال للناس اتيت امير المؤمنين بنعل رسول الله فردّها عليّ فكان من يصدقه اكثر ممن يدفع خبره اذ كان من شأن العامة واشكالها النصرة للضعيف على القوي فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذي فعلنا انجح وارجح

كرم المهدي

نزل المهدي بمنزل بعيساباذ لما بناها وامر ان يكتب له ابناء المهاجرين وابناء الانصار فكتبوا ودعي بنقبائهم وجلس مجلساً عاماً لهم ففرق ثلاثة آلاف الف درهم فاغنى كل فقير وجبر كل كسير وفرج عن كل مكروب . ثم قامت الخطباء ودخل الشعراء فانشدوه ففرق فيهم خمسمائة الف درهم . فكثر الداعي له في الطرقات والبوادي وقام في هذا اليوم مروان بن ابي حفصة فانشد :

ما يلمع البرق الا حنّ مغتربُ ... كانه من دواعي شوقه وصبُ
ما انسَ لا انسَ غيثاً ظلّ وابلهُ ... عليّ من راحةِ المهديّ ينسكب
شمنا فما اخلفتنا من مخائلهِ ... سحابةً صوبها الاوراق والذهب
صدقت يا خير مأمون ومعتمدٍ ... ظني باضعاف ما قد كنت احتسب
اعطيت سبعين الفاً غير متبعها ... مناً ولست بمنان بما تهب
فدلاح للناس بالمهديّ نور هدىً ... يضيء والصبح في الظلماء يحتجب
خليفةُ طاهر الاثواب معتصمٌ ... بالحق ليس له في غيره ارب

المهدي والواقدي

قال الواقدي : دخلت على المهدي بخبرة ودفتر وكتب عني اشياء احدثه بها ثم نهض وقال : كن مكانك حتى اعود اليك ودخل دار الحريم ثم خرج متنكرًا ممتلئًا غضبًا فلما جلس قلت : يا امير المؤمنين خرجت على خلاف الحال التي دخلت عليها . قال نعم دخلت علي الخيزران فوثبت اليّ ومدت يدها وخرقت ثوبي وقالت لي ياقشاش واي خير رأيت منك . وانما اشتريتها من نخاس ورأت مني ما رأت وعقدت لابنيها بولاية العهد ويحك وانا قشاش . قال فقلت يا امير المؤمنين قال رسول الله (صلعم) انهن يغلبن الكرام و يغلبهن اللئام وقال : خيركم خيركم لاهلهِ وانا خيركم لاهلي . وقال : خلقت المرأة من ضلع اعوج ان قومته كسرته . وحدثته من هذا الباب بكل ما حضرلي فسكن غيظه واسفر وجهه وامر لي بالفي دينار . وقال اصلح بهذه من حالك وانصرفت . فلما وصلت الى منزلي واتاني رسول الخيزران فقال تقرأك السلام سيدتي وتقول : ياعم قد سمعت جميع ما كلمت بهِ امير المؤمنين فاحسن الله جزاءك وهذا الفا دينار الا عشرة بعثت بها اليك لاني لم احب ان اساوي صلة امير المومنين . ووجهت لي باثواب

المهدي واحد العبيد

اهدى لهُ بعض العبيد عصيدة فاشترى الضيعة التي فيها ذلك العبد والعبد بالف دينار واعتقه ووهبه الضيعة واقدمه المهدي بغداد ثم ردهُ المدينة لمنام رآه

المهدي والمؤمل

قال المؤمل بن اميل : قدمت على المهدي وهو بالري وهو اذ ذاك ولي عهد فامتدحته بابيات فامر لي بعشرين الف درهم فكتب بذلك الى المنصور وهو بمدينة السلام يخبره فكتب الى كاتب المهدي ان توجه اليّ بالشاعر . فطلبت فلم يقدر عليّ . وكتب الى ابي جعفر انهُ قد توجه الى مدينة السلام فاجلس المنصور قائدًا من قواده على جسر النهروان وامره ان يتصفح الناس رجلاً

رجلاً فجعل لا يمر بهِ قافلة الا تصفح من فيها . حتى مرت بهِ القافلة التي فيها المؤمل بن اميل فتصفحهُ فلما سالهُ من انت قال انا المؤمل بن اميل المحاربي الشاعر احد زوار المهدي . قال اياك طلبت . قال المؤمل فكاد قلبي ينصدع خوفاً من ابي جعفر فقبض عليّ وسلمني الى الربيع . فدخل على ابي جعفر وقال : هذا الشاعر قد ظفرنا بهِ . قال ادخلوهُ اليّ . فدخلت اليهِ وسلمت عليهِ تسليم مروّع . فرد السلام وقال : ليس هاهنا الاَّ خيرًا أأنت المؤمل بن اميل . قلت نعم يا أمير المؤمنين . قال اتيت غلامًا غرًّا فخدعتهُ . قلت نعم اصلح الله امير المؤمنين اتيت غلامًا غرًّا كريمًا فخدعتهُ فانخدع . قال فكأن ذلك اعجبهُ . فقال انشدني ما قلت فيهِ فانشدتهُ :

هو المهديُّ الا ان فيهِ ... مشابهةً صورة القمر المنيرِ
مشابهةً ذا وذا فيهما اذا ما ... انارا يشكلان على البصير
فهذا في الظلام سراج ليل ... وهذا في النهار ضياء نور
ولكن فضل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا اميرٌ ... وما ذا بالامير ولا الوزير
ونقص الشهر يحمدُ ذا وهذا ... منيرٌ عند نقصان الشهور
فيا ابن خليفة الله المصفى ... بهِ تعلو مفاخرة الفخور
لئن فقت الملوك وقد توانوا ... اليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك ابوك حتى ... بقول ما بين كاب او حسير
وجئت مصلياً تجري حثيثاً ... وما لك حين تجري من فتور
فقال الناس ما هذان الا ... كما بين الفتيل من النقير
فان سبق الكبير فاهل سبق ... لهُ فضل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدًى كبير ... فقد خلق الصغير من الكبير

فقال لهُ المنصور والله لقد احسنت ولكن هذا لا يساوي عشرين الف درهم وابن المال قلت ها هو ذا . فقال يا ربيع امض معهُ فاعطهِ الف درهم وخذ منهُ الباقي ففعل الربيع ما امرهُ المنصور . ثم ان المهدي ولي الخلافة بعد ذلك وولى ابن يونان المظالم فكان يجلس الناس بالرصافة فرفعت اليهِ قصة فلما وصلت اليهِ

قصتي ضحك . فقال له ابن يونان اصلح الله امير المؤمنين ما رأيتك ضحكت من شيء الا من هذه القصة . فقال نعم هذه رقعة اعرف قصتها . ردوا عليه عشرين الف درهم فردوها اليّ فاخذتها وانصرفت

جود المهدي

خرج المهدي ذات يوم متنزهًا الى الانبار . وبينا هو في مجلسه دخل عليه الربيع ومعهُ قطعة من جراب فيه كتابة برماد وخاتم من طين عجن بالرماد وهو مطبوع بخاتم الخلافة فقال : يا امير المؤمنين ما رأيت اعجب من هذه الرقعة جاءني بها اعرابي وهو ينادي هذا كتاب امير المؤمنين المهدي دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع فقد امرني ان ادفعها اليه وهذه الرقعة . فاخذها المهدي وضحك وقال : صدق وهذا خطي وهذا خاتمي افلا اخبركم بالقصة . قلنا رأي الامير اعلى منا في ذلك . قال خرجت امس الى الصيد في غب سماء فلما اصبحت هاج علينا ضباب شديد وفقدت اصحابي حتى ما رأيت منهم احدًا واصابني من البرد والجوع والعطش ما لا يعلمه الا الله وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من ابي يحكيه عن ابيه قال اذا اصبح واذا امسى : بسم الله وبالله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقي وشفي وكفي من الحرق والغرق والفرَق والهدم وميتة السوء . فلما قلتها رفع لي ضوء نار فقصدتها فاذا بهذا الاعرابي في خيمة لهُ يوقد نارًا بين يديه . فقلت ايها الاعرابي هل من ضيافة . قال انزل فنزلت فقال لزوجته مات ذلك الشعير فاتت به فقال اطحنيه فابتدأت تطحنه فقلت له اسقني ماء فاتاني بسقاء فيه مذقة من لبن اكثره ماء فشربت منها شربة ما شربت اطيب منها واعطاني حلسًا له فوضعت راسي عليه ونمت ثم انتبهت فاذا هو قد وثب الى شاة فذبحها فاذا امرأته تقول له ويحك قتلت نفسك وصبيتك انما كان معاشك من هذه الشاة فذبحتها فباي شيء تعيش . فقلت لا عليك هات الشاة فشققت جوفها واستخرجت كبدها بسكين في خفي فشرحتها ثم طرحتها على النار فاكلت ثم قلت له هل عندك شيء اكتب فيه . فجاءني بهذه القطعة . فاخذت عودًا من الرماد الذي كان بين يديه فكتبت له هذا الكتاب وختمته بهذا الخاتم وامرته ان

ليجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها اليه فاذا في الرقعة خمسمائة الف درهم . فقال لا والله ما اردت الا خمسين الف درهم ولكن جرت يدي بخمسمائة الف درهم ولا انقص والله منها درهماً واحداً ولو لم يكن في بيت المال غيرها احملوها معهُ . فما كان الا قليلاً حتى كثرت ابلهُ وصار متزلاً من المنازل ينزلهُ كل من اراد الحج من الانبار الى مكة المكرّمة وسمي مضيف امير المؤمنين المهدي

المهدي والمختبئين

لما فرغ المهدي من بناء عيسى باد ركب في جماعة يسيرة لينظر البلد . فدخلهُ مفاجأةً واخرج من كان هناك من الناس وبقيا رجلان خفيا عن ابصار الاعوان فرأى المهدي احدهما وقد دهش بالعقل فقال من انت . قال أنا أنا . فقال ويلك من انت . قال لا ادري . قال الك حاجة . قال لا لا . قال اخرجوه اخرج الله نفسك . فدُفع في قفاه . فلما خرج قال للغلام لهُ اتبعهُ من حيث لا يعلم فسل عن امره ومهنتهِ فاني اخالهُ حائكاً فخرج الغلام على اثره . ثم رأى الآخر فاستنطقهُ فاجاب بقلبٍ جريء ولسان سليط . فقال من انت . قال رجلٌ من ابناء رجال دعوتك . قال من جاء بك الى هاهنا . قال جئت لانظر الى هذا البناء الحسن فانتبع بالنظر واكثر الدعاء لامير المؤمنين بطول المدة وتمام النعمة ونماء العز والسلامة . قال افلك حاجة . قال نعم خطبت ابنة عمٍّ لي فردني ابوها وقال لا مال لك والناس يرغبون في المال وانا بها مشغوفٌ ولها وامق . قال قد امرت لك بخمسين الف درهم . قال جعلني الله فدائك يا امير المؤمنين لقد وصلت فاجزلت الصلة ومننت فاعظمت المنة فجعل الله باقي عمرك اكثر من ماضيهِ وآخر ايامك خيراً من اولها ومتعك بما انعم بهِ عليك وامتع رعيتك بك . فامر ان تعجل لهُ الصلة ووجه بعض خاصتهِ وقال : اسأل عن مهنتهِ فاني اخالهُ كاتباً . فرجع الرسولان معاً فقال الاول وجدنا الاول حائكاً . وقال الآخر وجدت الرجل كاتباً فقال المهدي لم تخف عليَّ مخاطبة الكاتب والحائك

المهدي وشعبة الشاعر

كان شعبة شاعرًا متشاغلاً بالعلم لا يكسب شيئًا من الدنيا وكان له اخوة يقومون بامورهِ . واشترى احد اخوتهِ من السلطان طعامًا فخسر بهِ فحبس . فتقدم شعبة على المهدي وكان لهُ على اخيهِ مئة آلاف دينار . فلما دخل قال . يا امير المؤمنين انشد قتادة وسماك بن حرب لأُمية بن ابي الصلت شعرًا في عبدالله بن جدعان التيمي :

أأذكر حاجتي ام قد كفاني ... حياؤك ان شيمتك الحياء
وعلمك بالحقوق وانت فرعٌ ... له الحسب المهذب والسناء
كريم لا يغيره صباحٌ ... عن الخلق الجميل ولا المساء
بارضك كل مكرمة بناها ... بنو تيمٍ وانت لها سماء
اذا اثنى عليك المرء يومًا ... كفاه من تعرضهِ الثناء

فقال لا يا ابا بسطام لا نذكرها قد عرفناها وقضيناها لك ادفعوا اليهِ اخاه ولا تأخذوا منهُ شيئًا

المهدى وابرهيم بن طهمان

كان لابرهيم بن طهمان جراية من بيت المال فاخرة وكان يسخر بذلك . فسئل يومًا في مجلس الخليفة . فقال لا ادري . فقالوا تأخذ في كل يوم كذا وكذا ولا تحسن مسألةً . فقال اذا اخذت على ما أُحسن ولو آخذ على مالا أُحسن لفني بيت المال ولا يفنى مالا ادري . فاعجب امير المؤمنين جوابهُ وامر لهُ بجائزة فاخرة وزاد في جرايتهِ

المهدي وابو العتاهية الشاعر

قال اشجع السلمي الشاعر المشهور : اذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليهِ فدخلنا مع ابي العتاهية فأمرنا بالجلوس . فاتفق ان جلس بجنبي بشار بن برد وسكت المهدي فسكت الناس فسمع بشار حسًا فقال لي : من هذا . فقلت ابو العتاهية . فقال اتراه ينشد في هذا المحفل . فقلت احسبهُ سيفعل . قال فأمر المهدي فانشد :

انثة الخلافة منقادة اليو تجرر اذيالها
فلم تك تصلح الاّ له ولم يك يصلح الاّ لها
ولو رامها احد غيره لزلزلت الارض زلزالها
ولولم تطعه بناب القلوب لما قبل الله اعمالها

فقال لي بشار: انظر ويحك يا اشجع هل طار الخليفة عن فراشه . قال اشجع : فوالله ما انصرف احد عن ذلك المجلس بجائزة غير ابي العتاهية

القسم الخامس

في

نوادر الخليفة هرون الرشيد

ابرهيم الموصليّ عند الرشيد

دخل ابرهيم الموصليّ يوماً على الرشيد فانشده :

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري فليس الى ما تأمرين سبيلُ
فعالي فعال المكثرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
فكيف اخاف الفقر واحرم الغنى ورأي امير المؤمنين جميلُ

فقال : لله ابيات تأتينا بها ما احسن اصولها . واحسن فصولها . واقل فضولها . يا غلام اعطهِ عشرين الفاً . قال والله لا اخذت منها درهماً . قال ولمَ . قال لان كلامك يا امير المؤمنين خيرٌ من شعري . قال اعطوهُ اربعين الفاً

الرشيد والمفضل الضبي

قال الرشيد للمفضل الضبي قل ما احسن ما قيل في النوائب ولك هذا الخاتم الذي في يدي . قال قول الشاعر :

ينام باحدى مقلتيهِ ويتقي باخرى المنايا فهو يقظان نائمُ

فقال : ما الذي هذا على لسانك الاّ ذهاب الخاتم ورماه اليهِ فاشترتهُ ام جعفر بالف ومئتا دينار وبعثت بهِ اليهِ فقالت قد كنت اراك تعجب بهِ فالقاه الى الضبي وقال : خذهُ وخذ الدنانير فما كنا نهب شيئاً فنرجع فيهِ

ابن الجامع والجارية والرشيد

قال ابن جامع : انتقلت من مكة الى المدينة لشدةٍ لحقتني فاصبحت يومًا وما املك الاّ ثلاثة دراهم في كمي فاذا بجارية على كتفها جرّة تسعى بين يديّ وترنم بصوت شجي وتقول :

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم سراعًا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا مادنا الليل المضر بذي الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثلما نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

قال فاخذ الغناء بقلبي ولم يدر لي منهُ حرف فقلت يا جارية ما ادري اوجهك احسن ام غناؤك . فلو شئت اعدت . قالت حبًا وكرامة ثم اسندت ظهرها الى جدارٍ وانبعثت تغنيهِ فما دار لي منهُ حرفٌ فقلت لها لو تفضلت مرة اخرى . فارتدت الى الوراء وقالت اليس عجيبٌ ان احدكم يحيءُ الى الجارية عليها الضريبة فيشغلها . فضربت يدي الى الدراهم الثلاثة فدفعتها اليها فاخذتها وقالت تريد مني صوتًا احسبك تأخذ بهِ الف دينار والف دينار والف دينار ثم غنت فافهمته . ثم سافرت الى بغداد فآل الامر الى ان غنيت الرشيد بهذا الصوت فرمى لي بثلاثة اكياس فتبسمت . فقال مم تبسمت فاخبرتهُ خبر الجارية فعجب من اصابتها

هرون الرشيد والعباس بن الاحنف

قال هرون الرشيد في الليل بيتًا واراد ان يشفعهُ بآخر فامتنع القول عليهِ فقال : عليّ بالعباس بن الاحنف . فلما طرق زعر وخاف اهلهُ . فلما وقف بين يدي الرشيد قال : وجهت اليك لبيتٍ قلتهُ ورمت ان اشفعهُ فامتنع القول عليّ . فقال يا امير

المؤمنين دعني حتى ترجع نفسي اليّ فاني قد تركت عيالي على حالٍ من القلق عظيم ونالني من الخوف ما يتجاوز الحد والوصف فانتظر هنيهة ثم انشد الرشيد :

حناقٌ قد رأيناها فلم نر مثلها بشرا

فقال العباس :

يزيدك وجهها حسنًا اذا ما زدتها نظرا

فقال الرشيد زدني فقال :

اذا ما الليل مال عليـ لك بالاظلام واعتكرا
ودجّ فلم ترَ قمرًا فأبرزها ترى قمرا

فقال الرشيد : قد ازعجتك وافزعتك واقل الواجب ان نعطيك دينك فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه

الرشيد ويحيى البرمكي

كان يحيى يسامر الرشيد يومًا فقام رجل فقال يا امير المؤمنين عطبت دابتي . فقال يعطى خمسمائة درهم . فغمزه يحيى . فلما نزل قال يا يحيى اومأت اليّ بشيء حينما امرت بالدراهم فما هو . فقال مثلك لا يجري هذا المقدار على لسانه انما يذكر مثلك خمسة آلاف الف عشرة آلاف الف . قال فاذا سئلت مثل هذا كيف اقول . فقال تقول يشترى له دابة يفعل به فعل نظرائه

الرشيد وهيلانة وابن الأحنف

كان الرشيد شديد الحب لهيلانة وكانت ليحيى بن خالد فاستوهبها منه حتى غلبت على قلبه فاقامت عنده ثلاث سنين ثم ماتت فوجد عليها وجدًا شديدًا وامر العباس بن الاحنف ان يرثيها . فقال فيها :

يا من تباشرت القلوب بموتها قصد الزمان مضرتي فرماكِ
ابغي الانيس فلا ارى لي مؤنسًا الاّ التردد حيث كنت اراك
ملكٌ بكاك وطال بعدك حزنه لو يستطيع بملكه لفداك

يحمي الفؤاد عن النساء حفيظة كي لا يحلّ حمى الفؤاد سواك

فامر لهُ بأربعين الف درهم لكل بيت عشرة آلاف درهم وقال لو زدت لزدناك

الرشيد وبركة زلزل

وعمل ببغداد بركة للسبيل وكان يضرب بها المثل وانشد نفطويه يصفها :

لو ان زهيرًا وامرأ القيس ابصرا ملاحة ما تحويهِ بركة زلزل

لما وصفا سلمى ولا ام سالم ولا اكثرا ذكر الدخول فحومل

هارون الرشيد والكسائي

قال الكسائي : حضرت عند الرشيد فاخرج اليّ محمد الامين وعبد الله المأمون كأنهما بدران فقال لي كيف تراهما فقلت :

أرى قمريّ افق وفرعي كرامةٍ يزينهما عرق كريمٌ ومحتدُ

سليلي امير المؤمنين وحارزي مواريث ما ابقى النبي محمد

يسدان انفاق النفاق بهمة يؤيدها حزم ورايٌ وسؤدد

حياةٌ وخصبٌ للولي ورحمة وحرب لاعداءٍ وعيش مهند

ثم قلت فرع زكى اصلهُ وطاب غرسهُ وتمكنت فروعه وعذبت مشاربهُ اداهما ملك اغرُّ نافذ الامر واسع العلم عظيم الحلم . اعلاهما فعلوا سما بهما فسموا فهما يتطاولان بطولهِ ويستضيئان بنورهِ وينطقان ببيانهِ . فامتع الله امير المؤمنين بهما وبلغهُ الامل فيهما

القسم السادس

في

نوادر الامين والمأمون

الامين مع جعفر بن موسى

حكي ان جعفر بن موسى الهادي كانت له جارية عوادة اسمها البدر الكبير . ولم يكن في زمانها احسن منها وجهاً ولا اعدل قداً ولا الطف معنىً ولا اعرف بصناعة الغناء وضرب الاوتار . وكانت في غاية الجمال . ونهاية الظرف والكمال . فسمع بخبرها محمد الامين بن زبيدة والتمس من جعفر ان يبيعها له . فقال له جعفر انت تعلم انه لا يليق بمثلي بيع الجواري . والمساومة على السراري . ولولا انها تربية داري لارسلتها هديةً اليك ولم ابخل بها عليك . ثم ان محمداً الامين بن زبيدة توجه يوماً لقصد الطرب الى دار جعفر فاحضر له ما يحسن حضوره بين الاحباب وامر جارية البدر الكبير ان تغني له وتطربه . فاصلحت الآلات وغنت باطيب النغمات . فاخذ محمد الامين بن زبيدة في الشراب والطرب يامر السقائين ان يكثروا الشراب على جعفر حتى يسكروه . ثم اخذ الجارية معه وانصرف الى داره

فلما اصبح الصباح امر باستدعاء جعفر . فلما حضر قدم بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني له من داخل الستارة . فسمع جعفر صوتها فعرفها فاغتاظ لذلك ولكنه لم يظهر غيظاً لشرف نفسه وعلو همته ولم يبد تغيراً في منادمته . فلما انقضى مجلس الشراب امر محمد الامين بن زبيدة بعض اتباعه ان يملأ الزورق الذي ركب فيه جعفر البر من الدراهم والدنانير واصناف الجواهر والياقوت والثياب الفاخرة والاموال الباهرة . ففعل ما امر به حتى انه وضع في الزورق الف بدرة والف درة قيمة الدرة

عشرون الف درهم . ولم يزل يضع فيهِ اصناف التحف حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق ان يحمل شيئاً آخر وامر بحملهِ الى دار جعفر

ابو النواس والامين

قال ابو النواس يمدح الامين ويذكر فضل البرامكة

يا دار ما صنعت بك الايامُ لم يبق فيك بشاشةٌ تعتامُ
عدم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين والزمان عرام
ايام لا اخشى لزينب منزلاً الاَّ مخالسةَ عليَّ لمام
ولقد نهزت مع الرواةِ بدارهم واسمت سرح اللهو حيث اساموا
وبلغت ما بلغ امروءٌ بشبابهِ فاذا غضارة كل ذاك اثام
واذا المطيُّ بنا بلغن محمداً فظهورهنَّ على الرجال حرام
قرَّبننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمةٌ وذمام
رُفع الحجابُ لنا فبانَ لناظرٍ قمرٌ تقطعُ دونهُ الاوهام
ملك اغرُّ اذا نظرت بوجههِ لم يروِك التبجيل والاعظام

ابو النواس والامين وسليمان بن المنصور

حصلت عداوة بين ابي النواس وسليمان بن المنصور فامر الامين بحبس ابي النواس فلما طال حبسهُ كتب اليهِ بهذه الابيات :

تذكر امين الله والعهد يذكرُ مقالي وانشاديك والناس حضَّرُ
وثوري عليك الدرّ يادرّ هاشمٍ فيامن رأى درًّا على الدرّ ينثر
ابوك الذي لم تملك الارض مثلهُ وعمك موسى عدلهُ المتخير
ومن مثل منصور بن منصور هاشم ومنصور قحطانٍ اذا عد مفخر
وجدك مهدي الهدى وشقيقهُ ابو امك الادنى ابو الفضل جعفر
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلا وعبد مناف والداك وحمير
تحصنتِ الدنيا بحسنِ خليفةٍ هو الصبح الاَّ انهُ الدهر مسفر
يشبُّ اليهِ الجودُ من وجناتهِ وينظر من اعطافهِ حين ينظر

مضت لي شهورٌ مذحبست ثلثة كاني قد اذنبت ما ليس يغفر
فان اك لم اذنب فنيمَ عقوبتي وان كنت ذا ذنب فعفوك اكبر

فلما قرأ محمد الابيات قال : اخرجوه واجزوه ولو غضب اولاد المنصور كلهم

النضر والمأمون

قال النضر : دخلت ليلةً على المأمون للمسامرة بمرو وعليَّ قميصٌ مرقوع . فقال يا نضر ما هذا التقشف . قلت يا امير المؤمنين انا رجل كبير ضعيف وحرّ مرو شديد اتبدّلُ بهذه الثياب الخليقة . قال لا ولكنه تنسك . ثم تجاوبا في الحديث فقال المأمون : حدثني هشيمٌ عن النبي (صلعم) قال « اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد عن عوزٍ » . قلت صدق فوك عن هشيم يا امير المؤمنين حدثني عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن النبي (صلعم) قال « اذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد عن عوز » . وكان المأمون متكئاً فانتصب وقال كيف قلت يا نضر سِداد بكسر السين . فقلت يا امير المؤمنين السداد بفتح السين هنا لحنٌ . قال اولحنني يا نضر قلت لا يا امير المؤمنين ولكن لحن هشيم وكان لحاناً فتبع امير المؤمنين لفظة وقد تتبع الفقهاء . فقال ما الفرق بينهما . قلت السداد القصد في الدين والسبيل والسداد البلغة وكل شيءٍ سددت به شيئاً هو سداد . قال اوتعرف العرب هذا . قلت نعم هذا العربي يقول وهو من ولد عثمان بن عفان :

اضاعوني وايَّ فتىً اضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

فاطرق المأمون مليّاً ثم قال قبّح الله من لا ادب له . ثم قال انشدني يا نضر اخلب بيتٍ قالته العرب . فقلت قول ابن بيض في الحكم بن مروان :

تقول لي والعيون هاجعة اقم علينا يومًا فلم اقمِ
اي الوجوه انجعت قلتُ لها وايُّ وجهٍ الا الى الحكمِ
متى يقل حاجبًا يرادفهُ هذا ابن بيض بالباب يبتسم
قد كنت اسلمت فيك مقتبلاً وها انا ذا داخل فاعطني سلمي

فقال المامون لله درّك فكانما فتح لك قلبي انشدني الطف بيتٍ للعرب . قلت قول ابن ابي عروبة المدني :

اني وان كان ابن عمي غائبًا لمزاحمٌ من خلفهِ ووراثهِ
ومعينهُ نصري ولو كان امرءًا متزحزحًا في امره وسمائهِ
واكون والي امره فاصونهُ حتى يحق عليَّ وقت ادائهِ
واذا الحوادث اجحمت بسوائهم قربت صحيحتنا الى جربائهِ
واذا دعى باسي لاركب مركبًا صعبًا ركبت لهُ على سلسائهِ
واذا ارتدى ثوبًا كريمًا لم اقل ياليت ان عليَّ فضل ردائهِ

فقال احسنت يا نضر . انشدني اقنع بيتٍ قالتهُ العرب فانشدتهُ :

اني امرؤٌ لم ازل وذاك من ال لهِ اديبًا اعلم الادبا
اقسم بالله ما اطمئنت بي ال لدار وان كنت نازحًا طربا
لا اجتوي حلة الصديق ولا ابغي لنفسي شيئًا اذا ذهبا
اطلب ما يطلب الكريم من ال رزق بنفسي واحمل الطلبا
واجلب البرَّة الصفي ولا اجهد اخلاف غيرها طلبا
اني رأيت الفتى الكريم اذا رغبتهُ في صنيعهِ رغبا
والعبد لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئًا الاَّ اذا وهبا
مثل الحمار الموقع السوء لا يحسن شيئًا الاَّ اذا ضربا
ولم اجد عروة الخلائق ال لا الدين لما اختبرت والحسبا
لم يرزق الخافض المنيع ولا شدَّ بعنس رحلاً ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والر راجل من لا يزال مغتربا

قال احسنت يا نضر فعندك ضدها . قلت نعم احسن منها . قال هات فانشدتهُ

يد المعروف غنم حيث كانت تحملها كفور او شكور

قال احسنت يا نضر . ما تملك . قلت اريضة تمر وانصابها . قال اولا نزيدك مع ذلك مالاً . فقلت اني اليهِ لمحتاج . فاخذ قرطاسًا فكتب ولم ادر ما يكتب . ثم قال : كيف تقول من التراب اذا امرت ان يترب قلت (اتربهُ) . قال من الطين قلت (طنه) . قال فهو ما ذا . قلت مترب ومطين . فقال هذا احسن من الاولى ثم قال للغلام أتربهُ وطنه (أي هبهُ ارضًا وطينًا) . ثم قام وصلى بنا العشاء فلما فرغ قال لخادمهِ تسير معهُ الى الفضل بن سهل . فلما وصلنا اليهِ وقرأ الورقة

قال يا نضر ان امير المؤمنين قد امر لك بخمسين الف درهم فما كان السبب . فافدتهُ ولم اكذب . فقال ولحنت امير المؤمنين . قلت لا ولكن لحن هشيم وكان لحاناً فتبع امير المؤمنين لفظتهُ وقد تتبع الفقهاء . فامر لي الفضل من عنده بثلاثين الف درهم اخرى فقبضت ثمانين الفاً بكلمة استفادها

المأمون وابن الأعرابي

قال المأمون لابن الاعرابي اخبرني عن احسن ما قيل في الشراب . فقال يا امير المؤمنين قولهُ :

تريك القذى من دونها وهي دونهُ اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

قال اشعر منهُ الذي يقول يعني ابا نواس :

فتمشت في مفاصلهم كتمشي البرء في السقم
فعلت في البيت اذ مزجت مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى ساري الظلام بها كاهتداء السفر بالعلم

فقلت فائدة يا امير المؤمنين . فقال اخبرني عن قول هند بنت عتبة :

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

من طارق هذا . فنظرت في نسبها فلم اجد . فقلت يا امير المؤمنين لا اعرف طارقاً في نسبها . فقال انما ارادت النجم فانتسبت اليهِ بجنسها من قولهِ تعالى (والسماء والطارق) فقلت فائدتان يا امير المؤمنين . فقال انا لؤلؤ هذا الامر وابن لؤلؤة ثم رمى اليَّ بعنبرةٍ كان يقلبها في يدهِ فبعتها بخمسة آلاف درهم

المأمون ومحمد بن الجهم

قال محمد بن الجهم دعاني المأمون فقال انشدني بيت مدحٍ نادر فانشدتهُ :

يجودُ بالنفس ان ضنَّ الجواد بها والجود بالنفس اقصى غاية الجود

فقال قد وليتك هذان . فانشدني بيت هجاء نادر فانشدتهُ :

قبحت مناظر فحين خبرتهُ حسنت مناظره بقبح المخبر

قال قد وليتك الدينور . فانشدني بيت مرثية نادرًا فانشدتهُ :

ارادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دلّ على القبر

فقال قد وليتك يا هوند فانشدني بيت غزل نادر فانشدته :

حبٌّ مجدٌّ وحبيبٌ يلعبُ والقلب ما بينهما معذَّب

تهنئة العباس للمأمون

ولما ولد جعفر بن المأمون هنأوه بصنوف التهاني وكان فيمن دخل العباس بن الاحنف فمثل قائمًا بين يديهِ ثم انشأ يقول :

مدّ لك الله الحياة مدّا حتى ترا ابنك هذا جدّا

ثم يفدّا مثلما تفدّا كانهُ انت اذا تبدّا

اشبهُ منك قامةً وقدّا موزَّرًا بمجدهِ مردّا

فامر لهُ بعشرة آلاف درهم

كرم المأمون

قال القاضي يحيى بن اكثم وقد رآه وقع في يومٍ واحد بثلثمائة الف دينار وعرض عليهِ من القصص ما يزيد عن الحد فوقع في الجميع ولم يضجر . فقلت يا امير المؤمنين

كانك في الكتاب وجدت لاءً محرَّمة عليك فلا تحلُّ

فما تدري اذا اعطيت مالاً ايكثر من عطائك ام يقلُّ

فقال لهُ يا قاضي انما تطلب الدنيا لتملك فاذا ملكت فلتوهب

القسم السابع

نوادر متفرقة في الكرم

الهادي واسحاق الموصلي

ذكر اسحاق الموصلي ان الهادي قال له انشدني واطربني بانشادك ما شئت فأنشدته :

فيا حبها زدني جوًى كل ليلة ويا ملوة الايام موعدك الحشرُ
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى وزرتك حتى قيل ليس له صبرُ

فاستطابه وامر ان ادخل بيت المال وآخذ منه ما اردت فأخذت منه سبع بدرٍ وانصرفت

جعفر بن ابي طالب وابو هريرة

قال ابو هريرة . ما وددت اُمًا تلدني غير ام جعفر بن ابي طالب . تبعته يومًا وانا جائعٌ فلما بلغ الباب التفت فرآني فقال لي ادخل فدخلت ففكر حينًا فما وجد في بيته شيئًا الّا وعاء فيه قليل من السمن فأنزله من رف لهم ففتحه بين ايدينا فجعلنا نلعق ما كان فيه من السمن وهو ينشد ويقول :

ما كلف الله نفسًا فوق طاقتها ولا تجود يدٌ الّا بما تجدُ

سوار القاضي وعبد الله بن طاهر

دخل سوار القاضي على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان فقال اصلح الله الامير وانشد :

لنا حاجة والعذر فيها مقدّم حقيق بمعناها مضاعفة الاجرِ
فان نقضها فالحمد لله وحده وان عاق مقدور ففي اوسع العذرِ

قال له وما حاجتك يا عبد الله . قال كتاب لي ان رأى امير المؤمنين اكرمه الله ان ينفذه في خاصته كتب الى موسى بن عبد الملك في تعجيل ارزاقي . قال او غير ذلك يا ابا عبد الله . نعجلها لك من ارزاقنا فاذا وددت مخيرًا بين ان تأخذ او ترد . فأنفذ سوار يقول :

فبابك ايمن ابوابهم ودارك مأهولة عامره
وكفك حين ترى المجتدي ن أندى من الليلة الممطره
وكلبك آنس بالمعتفين من الام بابنتها الزائره

﴿ أبو دلامة ووالي الكوفة ﴾

كتب ابو دلامة الى عيسى بن موسى وهو والي الكوفة رقعة فيها هذه الابيات :

اذا جئت الامير فقل سلامٌ عليك ورحمة الله الرحيم
فأما بعد ذاك فلي غريم من الانصار قبح من غريم
لزوم ما علمت لباب داري لزوم الكلب اصحاب الرقيم
له مائة علي ونصف اخرى ونصف النصف في صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن وصلت بها شيوخ بني تميم

فلما قرأ عيسى بن موسى هذه الابيات بعث اليه بمائة الف درهم

﴿ ابو دلامة وابو دلف ﴾

لقي ابو دلامة ابا دلف في مصاد له وهو بالعراق فأخذ بعنان فرسه وانشد :

اني حلفت لئن رأيتك سالمًا بقرى العراق وانت ذو وفر
لتصلينّ على النبي محمد ولتملئن دراهماً حجري

فقال اما الصلاة على النبي محمد فصلى الله عليه وسلم واما الدراهم فلما نرجع ان شاء الله تعالى . قال له جعلت فداك لا تفرق بينهما . فاستلفها وصبت في حجري حتى اثقلته

زياد ورجل من بني ضبة

نظر زياد الى رجل من ضبة يأكل اكلاً قبيحاً وهو اقبح الناس وجهاً فقال يا اخا ضب كم عليك . قال سبع بنات انا اجمل منهنّ ومن آكل مني . فضحك زياد وقال : لله درك ما الطف سؤالك افرضوا لكل واحد مائة وخادماً وعجلوا لمن بأرزاقهنّ فخرج الضبي وهو يقول :

اذا كنت مرتاد السماحة والندى ... فاد زياداً اواخاً لزيادِ
يجبك امروء يعطي على الحمد ماله ... اذا ضنّ بالمعروف كل جوادِ
وما لي لا اثني عليك وانما ... طريقي من معروفكم وتلادي

دعبل وبعض امراء الرقة

وقف دعبل ببعض امراء الرقة فلما مثل بين يديه قال : اصلح الله الامير اني لا اقول كما قال صاحب معن :

بأي الخانين عليك اثني ... فاني عند بنصرفي مسولُ
ابالحسنى وليس لها ضياء ... عليّ فمن يصدق ما اقولُ
ام الاخرى وليست لها بأهل ... وانت لكلّ مكرمة فعولُ

ولكنني اقولُ :

ما اذا اقول اذا اتيت معاشري ... صفرًا يدي من عند اكرم مجزلِ
ان قلت اعطاني كذبت وان اقل ... ضن الامير بما لهِ لم يبخلِ
ولانت اعلم بالمكارم والعلا ... من ان اقول فعلت ما لم تفعلِ
فاختر لنفسك ما اقول فانني ... لا بد مخبرهم وان لم أُسئلِ

قال قاتلك الله وامر له بعشرة آلاف درهم

سنان ابو هرم

وهو سيد غطفان ماتت امهُ وهي حامل وقالت اذا انا مت فشقوا بطني فان سيد غطفان فيهِ فلما ماتت شقوا بطنها فاستخرجوا منهُ سناناً وفي بني سنان يقول زهير :

قوم ابوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم او مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا انس اذا أمنوا ... مرزؤون بهالبل اذا قصدوا
محسدون على ما كان من نعمٍ ... لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

﴿ كعب بن مامة الأيادي ﴾

اشهر ما جاد به انه كان يوماً مع رفيقه السعدي وقد اشتد الظما فآثره على نفسه واعطاه ما عنده من الماء فنجا السعدي ومات كعب ضحية كرمه ومروءته وفيه يقول حبيب الشاعر:

يجود بالنفس اذ ضنّ البخيل بها ... والجود بالنفس اقصى غاية الجودِ

ولحبيب ايضاً يمدح كعب وحاتم الطائي:

كعبٌ وحاتمٌ اللذان تقسما ... خطط العلا من طارفٍ وتليدِ
هذا الذي خلف السحاب ومات ذا ... في الجهد مبتة خضرم صنديدِ
الاّ يكن فيها الشهيد فقومه ... لا يسمحون به بالف شهيدِ

عبد الله بن العباس والحسين بن علي

حبس معاوية عن الحسين بن علي صلاته حتى ضاقت عليه حاله. فقيل لو وجهت الى ابن عمك عبدالله فانه قدم بنحو من الف الف درهم. فقال الحسين وابن تقع الف الف من عبدالله فوالله لهو اجود من الريح اذا عصفت واسخى من البحر اذا زخر. ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية عنه صلاته وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة الف درهم. فلما قرأ عبدالله كتابه وكان رقيق الفؤاد لين العطف انهملت عيناه. ثم قال ويلك يامعاوية ما اجترحت يدك من الاثم حين اصبحت ابن المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال الى قهرمانه: احمل الى الحسين نصف ما املكه من فضة وذهب وثياب ومواشي واخبره اني شاطرته مالي فان اقنعه ذلك والاّ فارجع واحمل اليه الشطر الآخر. فقال له القيم فهل المؤن التي عليك من اين تقوم بها.

قال اذا بلغنا دللنك على امرٍ يقيم حالك . فلما اتى الرسول برسالتهِ الى الحسين قال انا لله حملت والله على ابن عمي وما حسبتهُ يجود علينا بهذا كلهِ واخذ المال جميعهُ

عبيد الله بن العباس واحد الانصار

جاءه رجل من الانصار فقال : يا ابن عم رسول الله وُلد لي في هذه الليلة مولود واني سميتهُ باسمك تبركًا مني بهِ وان امهُ ماتت . فقال عبيدالله بارك الله لك في الهبة واجزل لك الاجر على المصيبة ثم دعا بوكيلهِ فقال : انطلق الساعة فاشتري المولود جاريةً تحضنهُ وادفع اليهِ مائتي دينار للنفقة على تربيتهِ ثم قال للانصاري : عد الينا بعد ايام فانك جئتنا وفي العيش يبسٌ وفي المال قلة . قال الانصاري لو سبقت حاتمًا بيومٍ واحدٍ ما ذكرتهُ العرب ابدًا ولكنهُ سبقك فصرت لهُ تاليًا

سعيد بن العاص ومعاوية ومروان

كان معاوية بديلاً بينهُ وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة فكان مروان يعارضهُ فلما دخل معاوية قال لهُ : كيف تركت ابا عبد الملك اي مروان . قال تركتهُ منفذًا لامرك مصلحًا لعملك . قال معاوية انهُ كصاحب الخبزة كفي انضاجها فاكلها . قال كلاَّ يا امير المؤمنين انهُ من قوم لا يأكلون الا ما حصدوا ولا يحصدون الا ما زرعوا . قال فما الذي باعد بينك وبينهُ . قال خفتهُ على شرفي وخافني على ملكهِ . قال فاي شيءٍ كان لهُ عندك . قال اصوهُ حاضرًا واسن غائبًا . قال يا ابا عواد تركتنا في هذه الحروب . قال حملت الثقل وكفيت الحزم . قال فما ابطأ بك . قال غناؤك ابطأ بي عنك وكنت قريبًا لو دعوت لاجبناك ولو امرت لاطعناك . قال ذاك ظننا بك . فاقبل معاوية على اهل الشام فقال : يا اهل الشام هؤلاء قومي وهذا كلامهم . ثم قال اخبرني عن مالك فقد نبئت انك تجري فيهِ . قال يا امير المؤمنين لنا مال يخرج لنا منهُ فضلٌ فاذا كان ما خرج قليلاً انفقناه على قلتهِ وان كان كثيرًا فكذلك غيرانا لا ندخر منه شيئًا عن معسر ولا طالب ولا محتاج ولا نأثرُ عليهِ شيئًا من المآكل اللذيذة والمناظر البهيجة

قال فكم يدوم لك هذا . قال من الصنة نصفها . قال فما تصنع في باقيها . قال نجد من يسلفنا ويسارع في معاملتنا . قال ما احد احوج ان يصلح من شأنه منك . قال ان شأننا لصالح يا امير المؤمنين ولو زدت في مالي مثله ما كنت الا بمثل هذا الحال . فامر له معاوية بخمسين الف درهم وقال : اشتر بها ضيعة تعينك على مروءتك . فقال سعيد بل اشتري بها حمداً وذكراً باقياً اطعم بها وافك بها العاني وأواسي بها الصديق واصلح بها حال الجار . فلم تأت عليه ثلاثة اشهر وعنده منها درهم . فقال معاوية ما فضيلة بعد الايمان بالله هي ارفع في الذكر ولا انبه في الشرف من الجود وحسبك ان الله تعالى جعل الجود آخر صفاته

عبد الله بن معمر واحد اهالي البصرة

من جوده ان رجلاً اتاه من اهل البصرة مع جارية له نفيسة قد استأدبها بانواع الادب حتى برعت وفاقت في جميع الصفات الحميدة ثم ان الدهر قعد بسيدها ومال عليه وقدم عبدالله بن معمر البصرة من بعض وجوهه فقالت لسيدها : اني اريد ان اذكر لك شيئاً واخشى ان يكون فيه بعض الجفاء غير انه يسهل ذلك عليّ ما ارى من ضيق حالك وقلة مالك وزوال نعمتك وما اخافه عليك من الاحتياج وضيق الحال وهذا عبيدالله بن معمر قدم وقد علمت شرفه وقدرته وسعة كفه وجود نفسه فلو اذنت لي فاصلحت من شأني ثم تقدمت بي اليه وعرضتني عليه هدية رجوت ان يأتيك من مكافأته ما يغنيك الله به وينهضك ان شاء الله . (قال) فبكى وجداً عليها وجزعاً لفراقها ثم قال لها لولا ما نطقت بهذا ما ابتدأتك بوابداً . ثم نهض بها حتى اوقفها بين يدي عبيدالله فقال : اعزك الله هذه جارية ربيتها ورضيت بها لك فاقبلها مني هدية . فقال مثلي لا يستهدى لمثلك فهل لك في بيعها فاجزل لك الثمن عليها حتى ترضى . قال الذي تراه . قال يقسمك مني عشر بدر في كل بدرة عشرة آلاف درهم . قال والله يا سيدي ما امتد املي الى عشر ما ذكرت ولكن هذا فضلك المعروف وجودك المشهور . فامر عبيدالله باخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه وقال للجارية ادخلي الحجاب . فقال سيدها اعزك الله لو اذنت لي في وداعها . قال نعم فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان :

ابوح بحزنٍ من فراقك موجعٍ افاسي بهِ ليلاً يطول تفكري
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن بفرقتنا شيءٌ سوى الموتِ فاعذري
عليك سلام لا زيارة بيننا ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر

قال عبدالله بن معمر قد شئت ذلك فخذ جاريتك وبارك الله لك في المال . فذهب بجاريتهِ ومالهِ فعاد غنياً

يزيد بن المهلب واحد بني ضبة

قدم على يزيد بن المهلب قومٌ من قضاعة من بني ضبة فقال رجلٌ منهم :

والله ما ندري اذا ما فاتنا طلبٌ اليك من الذي نتطلبِ
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد احداً سواك الى المكارم ينسبِ
فاصبر لعادتنا التي عودتنا او لا فارشدنا الى من نذهبِ

فامر له بالف دينار فلما كان في العام المقبل وفد عليهِ فقال :

مالي ارى ابوابهم مهجورة وكأنّ بابك مجمع الاسواقِ
حابوك ام هابوك ام شاموا الندى بيدك فاجتمعوا من الآفاقِ
اني رأيتك للمكارم عاشقاً والمكرمات قليلة العشاقِ

فامر له بعشرة آلاف درهم

ابن طوق واحد الشعراء

عرض رجلٌ لابن طوق وقد خرج في طلب النزهة فناوله رقعة فيها جميع حاجتهِ ومصدرة بهذا البيت :

جعلتك دنياي فان انت جدت لي بخير والاّ فالسلام على الدنيا

فقال والله لاصدقن ظنك فاعطاه حتى اغناه

عبد الله بن طاهر ودعبل الشاعر

عرض دعبل بن علي الشاعر لعبدالله بن طاهر الخراساني وهو راكبٌ في حراقة له في دجلة فاشار اليهِ برقعة فامر باخذها فاذا فيها :

عجبت لحراقة بن الحسـ ـن كيف تسير ولا تغرقُ

وبحران من تحتها واحدٌ وآخر من فوقها مطبق
واعجب من ذاك عيدانها اذا مسها كيف لا تورقُ

فامر له بخمسة الاف درهم وجارية وفرس

وخرج عبد الله بن طاهر فتلقاه دعبل برقعة فيها هذه الابيات :

طلعت قناتك بالسعادة فوقها معقودة بلواء ملك مقبل
تهتز فوق طريدتين كانما تهنو بناقلها جناحا اجدل
ربح البخيل على احتمال عرضهِ بندى يديك ووجهك المتهلل
لو كان يعلم ان نيلك عاجل مافاض منه جدول في جدول

فامر له بخمسة الاف

هشام ونصيب بن رياح

دخل نصيب بن رياح على هشام فانشده :

اذا استبق الناس العلا سبقتهم يمينك عفوًا ثم حلت شمالك

فقال هشام : بلغت غاية المدح فسلني . فقال يا امير المؤمنين يداك بالعطية اطلق من لساني بالمسئلة . قال لا بد ان تفعل . قال لي ابنة نفضت عليها من سوادي فكسدها فلو اسعفها امير المؤمنين بشيء يجعله لها . قال فاقطعها ارضًا . وامر لها بحليّ وكسوةٍ فنفقت السوداء

ليلى الاخيلة والحجاج

دخلت ليلى الاخيلية على الحجاج فانشدته :

اذا ورد الحجاج ارضًا مريضة تتبع اقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هزّ القناة سقاها

فقال لها لا تقولي غلام ولكن قولي همام ثم قال : اي النساء احب اليك لا نزلك عندها . قالت ومن نساؤك ايها الامير . قال ام الجلاس ابنة سعيد بن العاص الاموية وهند ابنة اسماعيل خارجة الفزارية وهند ابنة المهلب

ابن ابي جفنة العتكية . قالت الحبشية احب اليّ . فلما كان من الغد دخلت عليهِ . قال يا غلام اعطها خمسمائة . قالت ايها الامير احسبها ابلاً . قال قائلٌ انما امر لك بشاء . قالت الامير اكرم من ذلك . قال اجعلوها ابلاً ولا تخيبوا ظنها بنا

الحسن بن سهل وعلي بن جبلة

قال الحسن بن رجاء الكاتب : قدم علينا علي بن جبلة الى عسكر الحسن بن سهل والمأمون هناك عند خديجة ابنة الحسن بن سهل ونحن إذ ذاك نجري على نيف وسبعين الف ملاح ونحن في غاية من الانهماك فنزل بي فقلت لهُ : قد كثر شغل الامير . فقال الا تخبرنهُ بقدومي . قلت اجل . فدخلت على الحسن بن سهل في وقت ظهورهِ فاعلمتهُ مكانهُ فقال : الا ترى ما نحن فيهِ . قلت لست بمشغولٍ عن الامر . فقال يعطى عشرة آلاف الى ان نتفرغ لهُ . فاعلمت علي بن جبلة فقال لي كلمة لهُ :

اعطيتني يا وليّ الحق مبتدءًا عطية كافأت حمدي ولم ترني
ما شمت برقك حتى نلت ريقهُ كأنما كنت بالجدوى تبادرني

المعتصم وابو تمام

دخل ابو تمام الطائي على المعتصم بعد فتوحهِ عمورية والفوز على محاربيهِ وامتدحهُ بقصيدةٍ بليغة اولها :

السيف اصدقُ انباءً من الكتبِ في حدّهِ الحدُّ بين الجدّ واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهنّ جلاء الشكّ والريبِ
والسلمُ في شهبِ الارماح لامعةً بين الخميسين لافي السبعة الشهبِ

وهي قصيدة طويلة عددها ثلثة وسبعون بيتًا فاعطاهُ جائزة عليها ثلثة وسبعين الف دينار على كل بيتٍ الف دينار

امتداح ابي البختري على كرمه

كان وهب بن منبه ابو البختري كثير العطاء اليف الندى وفيهِ قال الشاعر :

فهلاً فعلت وقاك المليـ ـك فينا فعال ابي البختري

تتبع اخوانهُ في البلاد فاغنى المقلّ عن المكثر

كثيّر وعمر بن عبد العزيز

دخل كثيّر على عمر بن عبد العزيز فاستأذن في الانشاد . فقال قل ولا تقل الاّ حقاً فقال :

وَليتَ فلم تشتم علياً ولم تخف بريًّا ولم تقبل اشارة مجرم
وصدقت بالفعل المقال مع الذي اتيت فامسى راضيًا كل مسلم
وقد لبست لبس الملوك ثيابها ولاحت لك الدنيا بوجه ومعصم
وتومضُ احيانًا بعينٍ مريضةٍ وتبسم عن مثل الجمان المنظم
فاعرضت عنها مشمئزًّا كأنما سقتك شرابًا من سمامٍ وعلقم
وقد كنت في اجبالها في ممنّعٍ وفي بحرها من مزبد الموج مفعم
فلما اتاك الله غصبًا ولم يكن لطالب دنيا بعدها من تكلم
تركت الذي يغني وان كان مونقًا واكثرت ما يبقي برأيٍ مصمم
سما لك همٌّ في الفؤاد موّرقٌ بلغت بهِ اعلى البناء المقدم
فما بين شرق الارض والغرب لم يكن منادٍ ينادي من فصيحٍ واعجم
يقول امير المؤمنين ظلمتني بأخذٍ لدينا او باخذ لدرهم
ولا بسط كفٌّ بامرئٍ غير مجرم ولا السفك منهُ ظالمًا ملء محجم
فاربح بها من صفقة لمبايعٍ واعظم بها اعظم بها ثم اعظم

فقال لهُ يا كثير انك تسئل عما قلتهُ . ثم اجازهُ باثمن العطايا

مروان الشاعر والمتوكل

امر المتوكل لمروان بن ابي الجنوب الشاعر بمائة وعشرين الفًا وخمسين ثوبًا ورواحل كثيرة فقال ابياتًا في شكره فلما بلغ قولهُ :

فامسك ندى كفيك عني ولا تزد فقد خفت ان اطغي وان اتجبرا

فقال والله لا امسك حتى اغرقك بجودي وامر لهُ بضياعٍ تقوّم بالف الف

يزيد بن المهلب والحلاق

حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقاً يحلق رأسهُ فجاؤوه بحلاق فحلق رأسهُ فامر لهُ بخمسة آلاف درهم . فدهش الحلاق وقال : آخذ هذه الخمسة آلاف وامضي الحمام فلان اخبرها اني قد استغنيت . فقال اعطوه خمسة آلاف اخرى . فقال امرأتي طالق ان حلقت رأس احد بعدك . وصادف ان الحجاج امر بسجن يزيد على خراج وجب عليهِ مقداره مائة الف درهم . فجمعت لهُ وهو في السجن . فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب : استأذن لي عليهِ . فقال انهُ في مكان لا يمكن الدخول عليهِ فيهِ . فقال الفرزدق : انما اتيت متوجعاً لما هو فيهِ ولم آتِ ممتدحاً فاذن لهُ فلما ابصره قال :

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم ... وقال ذوو الحاجات اين يزيدُ

فما قطرت بالشوق بعدك قطرةٌ ... ولا اخضرَّ بالمردين بعدك عودُ

وما لسرورٍ بعد عزك بهجة ... وما لجوادٍ بعد جودك جودُ

فقال يزيد للحاجب ادفع اليهِ المائة الف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيهِ ما يشاء . فقال الحاجب للفرزدق هذا الذي خشيتهُ حين منعتك من الدخول عليهِ . ثم دفعها اليهِ فاخذها وانصرف

يزيد بن المهلب والعجوز

مر يزيد بن المهلب بعد خروجهِ من السجن بعجوز اعرابية فذبحت لهُ عنزًا فقال لابنهِ ما معك من النفقة . قال مائة دينار . قال ادفعها اليها . فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك . قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا ارضي الاَّ بالكثير . وان كانت لا تعرفني فانا اعرف نفسي

ابو جعفر وازهر الشاعر

وفد ازهر الشاعر على ابي جعفر فقال لهُ : ما حاجتك . قال جئتك طالبًا . فامر لهُ باثني عشر الف درهم وقال : لا تأتنا بعد طالبًا . فاخذها وانصرف . ولما كان بعد سنة اتاه . فقال لهُ ابو جعفر : ما حاجتك يا ازهر . قال . جئت مسلمًا

فقال لا والله بل جئت طالبًا وقد امرنا لك باثني عشر الفًا فلا تأتنا طالبًا ولا مسلمًا . فاخذها ومضى ولما كان بعد سنة اتاه فقال : ما حاجتك يا ازهر قال : اتيت عائدًا . فقال لا والله بل جئت طالبًا وقد امرنا لك باثني عشر الفًا فاذهب ولا تأتنا بعد طالبًا ولا مسلمًا ولا عائدًا . فاخذها وانصرف . فلما مضت السنة اقبل . فقال له ما حاجتك يا ازهر . قال يا امير المؤمنين دعاء كنت اسمعك تدعو بهِ جئت لاكتبهُ فضحك ابو جعفر وقال : الدعاء الذي تطلبهُ غير مستجاب فاني دعوت الله بهِ ان لا اراك فلم يستجب لي وقد امرنا لك باثني عشر الفًا . وتعال اذا شئت فقد اعيتنا الحيلة فيك

السائل وعبيدالله

من جود عبيدالله بن عباس انهُ اتاه سائل وهو لا يعرفهُ فقال لهُ : صدِّق فاني نبئت ان عبيدالله بن عباسٍ اعطى سائلاً الف درهم فاعتذر اليهِ . فقال لهُ وابن انا من عبيدالله . قال ابن انت منهُ في الحسب ام في كثرة المال . قال فيهما . قال اما الحسب في الرجل فمروءتهُ وفعلهُ واذا شئت فعلت وكنت حسيبًا . فاعطاه الفي درهم واعتذر اليهِ من ضيق الحال . فقال لهُ السائل : ان لم تكن عبيدالله بن عباس فانت خير منهُ . وان كنت هو فانت اليومَ خيرٌ منك امس . فاعطاه الفًا اخرى . فقال السائل : هذه هزة كريم حسيب . والله لقد جذبت قلبي بكريم الخصال التي قلما توجد في سواك من الرجال

قال احمد بن مطير : انشدت عبدالله بن طاهرٍ ابياتًا كنت مدحت فيها بعض الولاة وهي :

لهُ يوم بؤسٍ فيهِ للناس ابؤسٌ ... وبوم نعيم فيهِ للناس انعمُ
فيقطر يوم الجودِ من كفهِ الندى ... ويقطر يوم البؤس من كفهِ الدمُ
فلو ان يوم البؤس لم يثن كفهُ ... عن الناس لم يصبح على الارض مجرمُ
ولو أن يوم الجود فرغ كفهُ ... لبذل الندى ما كان بالارض معدمُ

فقال لي عبدالله كم اعطاك . قلت خمسة آلاف . قال فقبلتها . قلت نعم . قال لي اخطأت . فما ثمن هذه الاَّ مائة الف

العتبي وعمه

قال العتبي : سمعت عمي ينشد لابي عباس الزبيري :

وكل خليفة وولي عهدٍ لكم يا آل مروان الفداء
امارتكم شفاء حيث كانت وبعض امارة الاقوام داء
فانتم تحسنون اذا ملكتم وبعض القوم ان ملكوا اساؤوا
هم ارضٌ لارجلكم وانتم لايديكم وارجلهم سماء

فقلت لهُ كم اعطى عليها . قال عشرين الفاً

خزيمة وعكرمة الفياض

كان في ايام خلافة سليمان بن عبدالملك رجل يقال لهُ خزيمة بن بشر من بني اسد مشهور بالمروءة والكرم والمواساة . وكانت نعمتهُ وافرة . فلم يزل على تلك الحاله من الكرم حتى احتاج الى اخوانهِ الذين كان يواسيهم ويتفضل عليهم . فآسوهُ حيناً ثم ملُّوه . فلما لاح منهم ذلك اتى امرأتهُ وقال لها : يا ابنة العم رأيت من اخواني غير ما عهدتهُ فيهم وقد عزمت علي لزوم بيتي الى ان يأتيني الموت . ثم انهُ اغلق بابهُ واقام يقتوت بما عندهُ حتى نفذ جميعهُ وبقي حائرًا في امرهِ . وكان يومئذ عكرمة الفياض والياً على الجزيرة . فبينما هو جالس في ديوانهِ وعندهُ جماعة من اهل البلد من معارفهِ اذ جرى ذكر خزيمة بن بشر . فسألهم عكرمة عن حالهِ فقالوا لهُ : انهُ في اشقى حالٍ من الفقر وقد اغلق بابهُ ولزم بيتهُ . فقال عكرمة الفياض : افما وجد خزيمة بن بشر مواسيًا او مكافيًا . فقالوا لهُ لا . فامسك عكرمة عن ذلك . وكان بمنزلة عظيمة من الكرم وسمي الفياض لزيادة كرمهِ وجوده . فانتظر الى الليل وعمد الى اربعة آلاف دينار جعلها في كيس ثم ركب دابتهُ وخرج سرًّا من عند اهلهِ لا يصحبهُ الاَّ غلامٌ واحد يحمل المال فلم يزل سائرًا حتى وصل الى باب خزيمة فنزل عن دابتهِ الى ناحية وامسكها لغلامهِ واخذ منهُ الكيس واتى بهِ وحدهُ الى الباب وقرعهُ . فخرج خزيمة فقال لهُ عكرمة وقد انكر صوتهُ : خذ هذا اصلح بهِ شأنك . فتناولهُ خزيمة فرآه ثقيلاً فوضعهُ وقبض على ذيل عكرمة وقال لهُ : اخبرني من انت جعلت فداك . فقال لهُ عكرمة : ماجئتك في مثل هذا الوقت واريد ان تعرفني . فقال لهُ خزيمة :

والله لا اقبلهُ ما لم تخبرني من انت . فقال لهُ عكرمة : انا جابر عثرات الكرام . فقال خزيمة . زدني ايضاحًا . فقال لهُ عكرمة : لا والله . وانصرف . فدخل خزيمة بالكيس الى امرأتهِ وقال لها : ابشري فقد اتى الله بالفرج فقومي اسرجي . فقالت . لا سبيل الى السراج لانهُ ليس لنا زيت . فبات خزيمة يلمس الكيس فيجد خشونة الدنانير . ولما رجع عكرمة الى منزلهِ سألتهُ امرأتهُ فيمَ خرج بعد هدأة من الليل منفردًا . فاجابها : ما كنت لاخرج في وقت كذا واريد ان يعلم احد بما خرجت اليهِ الاَّ الله فقط . فقالت لهُ : لابد لي ان اعلم ذلك وصاحت وناحت والحت عليهِ بالطلب . فلما رأى انهُ ليس لهُ بدٌّ قال لها : اخبرك بالامر فاكتميهِ اذًا . قالت لهُ : قل ولا تبال بذلك . فاخبرها بالقصة على وجهها . اما ما كان من خزيمة فانهُ لما اصبح صالح غرمائهُ واصلح شأنهُ وتجهز للسفر يريد الخليفة سليمان بن عبدالملك . فدخل الحاجب واخبر سليمان بوصول خزيمة بن بشر . وكان سليمان يعرفهُ جيدًا بالمروءة والكرم فاذن لهُ . فلما دخل خزيمة وسلم عليهِ بالخلافة قال لهُ سليمان : يا خزيمة ما ابطاك عنا . قال . سوء الحال يا امير المؤمنين . قال : فما منعك النهضة الينا . قال خزيمة : ضعفي يا امير المؤمنين وقلة ما بيدي . قال : فمن انهضك الآن . قال خزيمة لم اشعر يا امير المؤمنين بعد هدأة من الليل الاَّ والباب يطرق فخرجت فرأيت شخصًا وكان منهُ كيت وكيت . واخبرهُ بقصتهِ من اولها الى آخرها . فقال لهُ : اما عرفتهُ . فقال خزيمة . ما سمعت منهُ يا امير المؤمنين الاَّ حين سألتهُ عن اسمهِ قال : انا جابر عثرات الكرام . فتلهف سليمان بن عبد الملك على معرفتهِ وقال . لو عرفناه لكافئناه على مروءتهِ . ثم قال : عليَّ بالكاتب فحضر اليهِ . فكتب لخزيمة الولاية على الجزيرة وجميع عمل عكرمة واجزل لهُ العطاء واحسن ضيافتهُ . وامرهُ بالتوجه من وقتهِ الى الولاية فقبل الارض خزيمة وتوجه من ساعتهِ الى الجزيرة . فلما قرب منها خرج عكرمة وكان قد بلغهُ عزلهُ واقبل لملاقاة خزيمة مع جميع اعيان البلد . وسلموا عليهِ وساروا جميعًا الى ان دخلوا بهِ البلد . فنزل خزيمة في دار الامارة وامر ان يؤخذ عكرمة ويحاسب . فحوسب ففضل عليهِ مال كثير فطالبهُ جزية منهُ . فقال لهُ عكرمة : والله ما الى درهم منهُ سبيل ولا عندي منهُ دينارًا فامر خزيمة بحبسهِ وارسل يطالبهُ بالمال . فارسل عكرمة يقول لهُ : اني

لست ممن يصون مالهُ بعرضهِ فاصنع ما شئت . فامر خزيمة بقيدهِ وضربهِ . فكبل بالحديد وضرب وضيق عليهِ . فاقام كذلك شهرًا فاضناه ذلك واضرَّ بهِ . فبلغ امرأتهُ ضرُّهُ فجزعت لذلك واغتمت غمًّا شديدًا . فدعت جاريةً لها ذات عقلٍ وقالت لها : اذهبي الساعة الى باب خزيمة وقولي للحاجب : ان عندي نصيحة للامير فاذا طلبها منك فقولي : لا اقولها الاَّ للامير خزيمة . فاذا دخلت عليهِ فسليهِ الخلوة فاذا فعل فقولي لهُ : ما كان هكذا جزاء جابر عثرات الكرام منك بمكافئتك لهُ بالضيق والحبس والحديد ثم بالضرب . ففعلت جاريتها ذلك . فلما سمع خزيمة قولها قال : واسوأتاه جابر عثرات الكرام غريمي . قالت نعم . فامر لوقتهِ بدابتهِ فاسرجت وركب الى وجوه اهل البلد فجمعهم وسار بهم الى باب الحبس متغيرًا وقد اضناه الضرّ . فلما نظر عكرمة الى خزيمة ووجوه اهل البلد احشمهُ ذلك فنكس رأسهُ . فاقبل خزيمة واَكبَّ على رأسهِ فقبلهُ . فرفع عكرمة رأسهُ وقال : ما اعقب هذا منك . قال خزيمة : كريم فعالك بسوء مكافأتي . فقال لهُ عكرمة : يغفر الله لنا ولك . ثم ان خزيمة امر بقيودهِ ان تفك وان توضع في رجليهِ نفسهِ . فقال لهُ عكرمة : ما مرادك بذلك . قال مرادي ان ينالني من الضرّ ما نالك . فقال لهُ عكرمة اقسم عليك بالله ان لا تفعل . وبعد ذلك خرجا جميعًا وجاء الى دار خزيمة فودعهُ عكرمة واراد الانصراف فلم يمكنهُ من ذلك . ثم امر خزيمة بالحمام فاخلي ودخلا جميعًا . وقام خزيمة نفسهُ فتولى خدمة عكرمة . ثم خرج فخلع عليهِ وحمل اليهِ مالاً كثيرًا وسالهُ ان يسير معهُ الى امير المؤمنين سليمان بن عبد الملك . وكان يومئذٍ في الرحلة . فسار معهُ حتى قدما على سليمان . فدخل الحاجب واخبرهُ بقدوم خزيمة بن بشر . فراعهُ ذلك وقال في نفسهِ . والي الجزيرة يقدم علينا بدون امرنا مع قرب العهد بهِ . ما هذا الاَّ لحادث عظيم . فلما دخل عليهِ قال : ما ورائك يا خزيمة قال . خيرٌ يا امير المؤمنين . قال فما اقدمك . قال يا امير المؤمنين اني ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان اسرك لما رأيت من شوقك الى رؤيتهِ . قال ومن هو . قال عكرمة الفياض . فاذن لهُ في الدخول فدخل وسلم عليهِ بالخلافة . فرحب بهِ وادناه من مجلسهِ وقال لهُ : اكتب حوائجك وما تختاره في رقعة . فكتبها فقضيت على اتم وجهٍ . ثم امر لهُ بعشرة آلاف دينار واضاف لهُ شيئًا كثيرًا من التحف والظرف

وولاّه على الجزيرة وارمينية وما جاورها وقال له : امر خزينة بيدك ان شئت عزلتهُ . قال : بل ردّه الى عملهِ مكرّمًا يا امير المؤمنين . ثم انهما انصرفا جميعًا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافتهِ

المرأة الكريمة

بينما كان عبدالله بن عباس قادمًا من الشام يقصد الحجاز عرج على منزل فطلب من غلمانهِ طعامًا فلم يجدوا . فقال لوكيلهِ : اذهب في هذه البرية فلعلك تجد راعيًا او حيا فيهِ لبن او طعام . فمضى بالغلمان فوقعوا على عجوزٍ في حي . فقالوا لها : عندك طعام نبتاعهُ . قالت : اما طعام البيع فلا ولكن عندي ما يكفيني واولادي . قالوا فأين اولادك . قالت في رعيٍ لهم وهذا اوان عودتهم . قالوا فما اعددت لك ولهم . قالت . خبزةً مبتلةً بالماءِ . قالوا وما هو غير ذلك . قالت لا شيء . قالوا فجودي لنا بشطرها . فقالت اما الشطر فلا اجود بهِ واما الكل فخذوه . فقالوا لها : تمنعين النصف وتجودين بالكل . فقالت نعم لان اعطاء الشطر نقصة واعطاء الكل كمال وفضيلة . فاني امنع ما يضعني وامنح ما يرفعني . فاخذوها ولم تسألهم من هم ولا من اين جاءوا . فلما وصلوا الى عبدالله واخبروه بخبرها عجب من ذلك . ثم قال لهم احملوها اليّ الساعة فرجعوا اليها وقالوا لها انطلقي معنا الى صاحبنا فانهُ يريدك . فقالت ومن صاحبكم . قالوا عبدالله بن عباس . قالت هو والله عنوان الشرف واسماه فما يريد مني . قالوا مكافأتك . قالت اوّاه والله لو كان ما فعلت معروفًا ما اخذت لهُ بدلاً فكيف وهو يجب على الخلق ان يشارك فيهِ بعضهم بعضًا . فلم يزالوا بها حتى اخذوها اليهِ . فسلمت عليهِ فردّ عليها السلام وقرب مجلسها ثم قال لها : ممن انتِ . قالت من بني كلب . قال : فكيف حالك . قالت اسهر الليل واهجع اكثر الليل وارى قرة العين في شيءٍ . فلم يكن من الدنيا شيءٌ الاّ وقد وجدتهُ . قال فما اذخرت لبنيك اذا حضروا . قالت : اذخر لهم ما روي عن حاتم طي حيث قال:

ولقد ابيت على الطوى واظلهُ حتى انال بهِ كريم المأكل

فازداد عبدالله تعجبًا وقال : لو جاءكِ بنوكِ وهم جياع ما كنت تصنعين . قالت : يا هذا لقد عظمت عندك هذه الخبزة حتى اشغلت بها بالك . دع عنك هذا فانهُ يفسد النفس ويؤثر في العواطف . فقال عبدالله عليّ باولادها فاحضروهم فلما

دنوا منهُ رأوا امهم وسلموا فادناهم اليهِ وقال : اني لم اطلبكم وامكم لمكروهٍ وانما احب ان اصلح من شأنكم . فقالوا ان هذا قلَّ ان يكون الاَّ عن سؤَّال او مكافأة لفعل قديم فقال ليس شيءٌ من ذلك ولكن جاورتكم الليلة فوددت وضع شيء من مالي عندكم . قالوا يا هذا نحن في خفض عيش وكنانٍ من الرزق فوجههُ نحو من يستحق . وان اردت النوال مبتدءًا من غير سؤَّال فتقدم فمعروفك مشكور وبرّك مقبول . فقال نعم هو ذاك وامر لهم بعشرة آلاف درهم وعشرين ناقة . فقالت العجوز لاولادها : ليقل كل واحدٍ منكم شيئًا وانا اتبعكم فى شيءٍ منهُ . فقال الاكبر :

شهدت عليك بطيب الكلام وطيب الفعالِ وطيب الخبر

وقال الاوسط :

تبرعت بالجود قبل السؤَّال فعال عظيم كريم الخطر

وقال الاصغر :

وحق لمن كان ذا فعلهُ بان يسترقَّ رقاب البشر

وقالت العجوز :

فعمرك الله من ماجدٍ ووقيت كل الردى والحذر

جود ملك

قيل ان الملك خسرو بن برو بزكان يحب اكل السمك وكان يومًا جالسًا في المنظرة وشيرين عنده فجاء صيادٌ وعنده سمكة كبيرة واهداها لخسرو ووضعها بين يديهِ . فامر لهُ باربعة آلاف درهم . فقالت شيرين : بئس ما صنعت . فقال الملك لمَ . فقالت لانك اذا اعطيت بعد هذا لاحدٍ من حشمك هذا القدر قال قد اعطاني مثل عطية الصياد . قال لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك ان يرجعوا في هباتهم وقد فات الامر . فقالت شيرين انا ادبر هذا الحال . فقال وكيف ذلك . فقالت تدعو الصياد وتقول لهُ هذه السمكة ذكر هي ام انثى . فان قال ذكر فقل انما طلبت انثى . وان قال انثى فقل انما طلبت ذكرًا . فنودي الصياد فعاد . وكان الصياد ذا ذكاءٍ وفطنة . فقال لهُ خسرو : هذه السمكة ذكر ام انثى . فقبل الصياد الارضَ وقال لهُ هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا انثى . فضحك خسرو من كلامهِ وامر لهُ باربعة آلاف

درهم . فمضى الصياد الى الخازن وقبض منهُ ثمانية آلاف درهم ووضعها في جرابٍ كان معهُ وحملها على عنقهِ وهمَّ بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد . فوضع الصياد الجراب عن كاهلهِ وانحنى على الدرهم فاخذهُ والملك وشيربن ينظران اليهِ . فقالت شيربن لخسرو اراَيت خسة هذا الرجل وسفالتهِ سقط منهُ درهم واحد فالقى عن كاهلهِ وانحنى على الدرهم فاخذهُ ولم يسهل عليهِ ان يتركهُ ليأخذهُ غلام من غلمان الملك . فجرد خسرو من ذلك وقال : صدقت يا شيربن . ثم امر باعادة الصياد وقال لهُ : يا ساقط الهمة لست بانسان وضعت هذا المال عن عنقك لاجل درهم واحدٍ واسفت ان نتركهُ في مكانهِ . فقبل الصياد الارض وقال : اطال الله بقاءك ايها الملك انني لم ارفع ذلك الدرهم لخطره عندي وانما رفعتهُ عن الارض لان على وجههِ صورة الملك وعلى الوجه الآخر اسم الملك . فخشيت ان يأتي احد بغير علم يضع عليهِ قدميهِ فيكون ذلك استخفافًا باسم الملك واكون انا المؤاخذ بهذا فعجب خسرو من كلامهِ واستحسن ما ذكرهُ فامر لهُ باربعة آلاف درهم فعاد الصياد ومعهُ اثنا عشر الف درهم . وامر خسرو منادياً ينادي لا يتدبر احد برأي النساء فانهُ من تدبر برأيهنَّ خسر درهمهُ

الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء

بينما كان عمر بن الخطاب جالسًا في بعض الايام وعنده اكابر الصحابة . واهل الرأي والاهابة . وهو في القضايا يحكم بين الرعايا . اذ اقبل عليهِ شاب من احسن الشباب . نظيف الاثواب . يكتنفهُ شابان من احسن الشباب ايضًا . وقد جذباه وسحباه . واوقفاه بين يدي امير المؤمنين ولبياه . فلما وقفوا بين يديهِ . نظر اليهما واليهِ . فقالا يا امير المؤمنين نحن اخوان شقيقان . جديران باتباع الحق حقيقان كان لنا اب شيخ كبير . حسن التدبير . معظم في قبائلهِ . منزه عن رزائلهِ . معروف بفضائلهِ . ربانا صغارًا . واولانا منًا غزارًا . كما قيل في المعنى :

لنا والدٌ لو كان للناس مثلهُ * ابٌ آخرٌ اغناهمُ بالمناقب

فخرج اليوم الى حديقة لهُ يتنزه في اشجارها . ويقتطف يانع اثمارها . فقتلهُ هذا الشاب . وعدل عن طريق الصواب . فنسأل لك القصاص عما جناه . والحكم فيهِ

بما امرك الله . فنظر عمر الى الشاب وقال لهُ . قد سمعت فما الجواب . والغلام مع ذلك ثابت الجنان . خالٍ عن الاستيحاش . فخلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع . فتبسم عن مثل الجمان وتكلم بافصح لسان وحيى بكلمات حسان . ثم قال يا امير المؤمنين والله لقد وعيا في ما ادعياه وصدقا فيما نطقا واخبرا بما جرى وعبرا عما طرا وسأنهي قصتي بين يديك والامر فيها اليك اعلم اني عربي من العرب العرباء نبتُّ في منازل البادية وصحبت اسود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل والمال والولد فافضت بي بعض طرائقها الى المسير بين حدائقها نياق اليَّ حبيبات عليَّ عزيزات بينهنَّ فحل كريم الاصل كثير النسل مليح الشكل حسن النتاج يمشي بينهنَّ كأنهُ ملك عليهِ تاج . فدنت النوق الى حديقة قد ظهر من الحائط شجرها . فتناولتها بمشفرها . فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر . وتسوَّر الحائط وزفر . وفي يدهِ اليمنى حجر . يتهادى كالليث اذا خطر . فضرب الفحل بذاك الحجر فأصابهُ فقتلهُ واباده . فلما رأيت الفحل سقط الى جنبهِ وانقلب . توقدت فيَّ جمرات الغضب . فتناولت ذلك الحجر بعينهِ فضربتهُ بهِ . فكان سبب حتفهِ ولقي سوء منقلبهِ . والمرءُ مقتول بما قتل بهِ . بعد ان صاح صيحة عظيمة . وصرخ صرخة اليمة . فاسرعت هاربًا من مكاني . فلم اكن باسرع من هذين الشابين فامسكاني . واحضراني كما تراني . قال عمرو قد اعترفت . بما اقترفت . وتعذر الخلاص ووجب القصاص . ولات حين مناص . فقال الشاب سمعًا وطوعًا لماحكم الامام . ورضيت بما اقتضتهُ شريعة الاسلام . ولكن لي اخ صغير كان لهُ اب خبير . خصهُ قبل وفاتهِ بمالٍ جزيل . وذهب جليل . واحضرهُ بين يديَّ . وسلم امره اليَّ . واشهد الله عليَّ . وقال . هذا لاخيك عندك . فاحفظهُ جهدك . فاتخذت لذلك مدفنًا . ووضعتهُ فيهِ ولا يعلم بذلك احد الا انا . فان حكمت الآن بقتلي ذهب الذهب . وكنت انت السبب وطالبك الصغير بحقهِ . يوم يقضي الله بين خلقهِ . وان انتظرتني ثلاثة ايام اقمت من يتولى امر الغلام . وعدت وافيًا بالذمام . ولي من يضمنني على هذا الكلام . فاطرق عمر ساعة ثم نظر الى من حضر . وقال من يقوم على ضمانهِ . والعود الى مكانهِ . فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين . واشار الى ابي ذرٍّ دون الحاضرين وقال هذا

يكفلني . وهو الذي يضمنني . فقال عمر اتضمنهُ يا ابا ذر على هذا الكلام . قال نعم اضمنهُ الى ثلاثة ايام . فرضي الشابان بضمان ابي ذر . وانتظراه ذلك القدر . فلما انقضت مدة الامهال وكاد وقتها يزول او زال . حضر الشابان الى مجلس عمر والصحابة حولهُ كالنجوم حول القمر . وابو ذر قد حضر . والخصم ينتظر . فقال ابن الغريم يا ابا ذر وكيف يرجع من قد فرّ . فلا تبرح من مكاننا . حتى تني بضماننا فقال ابو ذر . وحق الملك العلام . ان انقضى تمام الايام . ولم يحضر الغلام . وفيت بالضمان . واسلمت لنفسي وبالله المستعان . فقال عمر والله ان تأخر الغلام لافعلن في ابي ذر ما اقتضتهُ شريعة الاسلام . فهملت عبرات الحاضرين . وارفضت زفرات الناظرين . وعظم الضجيج وتزايد الكلام . فعرض كبار الصحابة على الشابين اخذ الدية . لكف الاذية . فاصرًا على عدم القبول . وايما الاَّ الاخذ بثار المقتول . فبينما الناس يموجون تلهفًا لما مرَّ . ويصيحون تأسفًا على ابي ذر . اذ اقبل الغلام . ووقف بين يدي الامام وسلم عليهِ اتمَّ سلام . ووجههُ يتهلل مشرقًا . ويتكلل عرقًا . وقال قد اسلمت الصبي الى اخوالي . واطلعتهم على مكان مالهم واموالي ثم اقتحمت هاجرات الحرّ . ووفيت وفاء الحر الاغر . فعجب الناس من صدقهِ ووفائهِ واقدامهِ على الموت واجترائهِ . فقال من غدر لم يعف عنهُ من قدر ومن وفى رحمهُ الطالب وغناه وتحققت ان الموت اذا حضر لم ينج منهُ احتراس . وبادرت كي لايقال ذهب الوفاء من الناس . فقال ابو ذر والله يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام ولم اعلم من اي قوم . ولا رأيتهُ قبل ذلك اليوم . ولكنهُ نظر الى من حضر فقصدني وقال هذا يضمنني فلم استحسن رده . وابت المروَّة ان تخيب قصده اذ ليس في القصد من بأس . كي لايقال ذهب الفضل من الناس . فقال الشابان عند ذلك يا امير المؤمنين قد وهبنا لهذا الغلام دم ابينا فلتبدل وحشتهُ باينا . كي لايقال ذهب المعروف من الناس . فاستبشر الامام بالعفو عن الغلام وعجب من صدقهِ ووفائهِ واستغزر مروءة ابي ذر دون جلسائهِ واستحسن اعتماد الشابين في اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثناء وتمثل بهذا البيت

من يصنع الخير لم يعدم جوائزهُ لايذهب العرف بين الله والناس

ثم عرض عليهما امير المؤمنين ان يصرف لهما من بيت المال دية ابيهما فقالا يا امير

المؤمنين انما عفونا عنهُ ابتغاء لوجه الله . ومن نيتهُ كذا . لا يتبع احسانهُ منٌّ ولا اذى

مرثية ابي الحسن الانباري للوزير ابي ظاهر

لما استعرت الحرب بين عز الدولة بن بويه وابن عمر عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة ابي طاهر محمد بن بقية فسملهُ وشهرهُ وعلى رأسهِ برنس . ثم طرحهُ للفيلة فقتلتهُ . ثم صلبهُ عند دارهِ بباب الطاق وعمرهُ نيف وخمسون سنة . ولما صلب رثاه ابو الحسن محمد بن عمران يعقوب الانباري احد العدول ببغداد بهذه القصيدة الغراء فلما وقف عليها عضد الدولة قال . وددت لو اني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيَّ

علوٌّ في الحياة وفي الممات ... لحقٌّ تلك احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود ندالك ايام الصلات
كأنك قائمٌ فيهم خطيبًا ... وكلهم قيامٌ للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفاء ... كمدهما اليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الارض عن ان ... يضمَّ علاك من بعد الوفاة
اصاروا الجوَّ قبرك واستعاضوا ... عن الاكفان ثوب الساقيات
لعظمك في النفوس بقيت ترعى ... بحراسٍ وحفاظٍ ثقات
وتوقد حولك النيران ليلاً ... كذلك كنت ايام الحياة
ركبت مطية من قبل زيدٍ ... علاها في السنين الماضيات
وتلك قضية فيها تأسٍ ... تباعد عنك تعيير العداة
ولم ارَ قبل جزعك قطُّ جزعًا ... تمكن من عناق المكرمات
أسأت الى النوائب فاستثارت ... فانت قتيل ثأرِ النائبات
وصير دهرك الاحسان فيهِ ... الينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشر سعدًا فلما ... مضيت تفرقوا بالمنحسات
غليل باطن لك في فؤادي ... يخفف بالدموع الجاريات
ولو اني قدرت على قيامٍ ... بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الارض من نظم القوافي ... ونحت بها خلاف النائحات

ولكني اصبر عنك نفسي مخافة ان اعدّ من الجناة
ومالك تربة فاقول تسقى لانك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى برحمـات غوادٍ رائحـاتِ

وقال فيهِ حين انزل عن الصليب :

لم يلحقوا بك عارًا اذ صلبت بلى باؤوا باسمك ثم استرجعوا ندما
وايقنوا انهم في فعلهم غلطوا وانهم نصبوا من سؤددٍ علما
فاسترجعوك وواروا منك طود علا بدفنه دفنوا الافضال والكرما
لئن بليت فلا يبلى ندالك ولا تنسى وكم هالكٍ ينسى اذا قدما
تقاسم الناس حسن الذكر فيك كما ما زال مالك بين الناس يقتسما

جود عبيدالله بن العباس

من جوده انهُ اتاه رجل وهو في داره فوقف بين يديهِ وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدًا وقد احتجت اليها . فنظر اليهِ عبيد الله واحدق فيهِ بصره فلم يعرفهُ فقال ما يدك عندنا . قال رأيتك واقفًا بزمزم وغلامك يملأ من مائها والشمس ضربت اشعتها عليك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال نعم اني اذكر لك ذلك ثم قال لغلامهِ ما عندك . قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم . قال ادفعها اليهِ وما اراهاتني بحق يدٍ عندنا

علي بن ابي طالب والاعرابي

كان علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ يقول من كان لهُ اليَّ حاجة فليرفعها لي في كتاب لاصون وجههُ عن المسألة . ففي ذات يوم جاء اعرابي فقال . يا امير المؤمنين ان لي اليك حاجة يمنعني من ذكرها الحياء . فقال خطها في الارض . فكتب (اني فقير) . فقال يا قنبر اكسهِ حلتي فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان نلت حسن الثنا قد نلت مكرمةً وليس تبغي بما قدمتهُ بدلا
ان الثناء ليحيي ذكر صاحبهِ كالغيث يحيي نداهُ السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار . فقال يا امير المؤمنين لو فرقتها على الناس لاصلحت بها من شأنهم فقال رضي الله عنه . مه يا قنبر فاني سمعت رسول الله (صلعم) يقول اشكروا لمن اثنى عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه

ابن عامر والرجل

اراد ابن عامر ان يكتب لرجل بخمسين الف درهم فجرى القلم بخمسمائة الف درهم فراجعه الخازن في ذلك فقال : انفذه فما بقي الا نفاذه فان خروج المال احب الي من الاعتذار . فنظر اليه الخازن . فقال اذا اراد الله بعبد خيرًا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وانا اردت شيئًا واراد الجواد الكريم ان يعطي عبده عشرة اضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وامره النافذ

خالد بن يزيد والشاعر

قصد شاعرٌ خالد بن يزيد فانشده شعرًا يقول فيه :

سألت الندى والجود حرّان انتما فقالا يقينًا اننا لعبيدُ
فقلت ومن مولاكما فتطاولا اليّ وقالا خالدٌ ويزيد

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك فانشد يقول :

كريمٌ كريمُ الامهات مهذب تدفقُ يمناهُ الندى وشمائله
هو البحرُ من اي الجهات اتيتهُ فلجتهُ المعروف والجودُ ساحله
جواد بسيط الكفّ حتى لو انهُ دعاها لقبض لم تجبهُ انامله

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك . فانشد

تبرعتَ لي بالجود حتى نعشتني واعطيتني حتى حسبتك تلعبُ
وانبت ريشًا في الجناحين بعد ما تساقط مني الريش او كاد يذهبُ
فانت الندى وابن الندى واخو الندى حليف الندى ما للندى عنك مذهبُ

فقال يا غلام اعطه مائة الف درهم وقل له ان زدتنا زدناك . فقال : حسب الامير ما سمع وحسبي ما اخذت وانصرف

خالد بن عبيدالله واحد الشعراء

قدم احد الشعراء على خالد بن عبيدالله وهو راكب للغزو فقال لهُ قد قلت فيك بيتين من الشعر قال انشدنيهما فقال

يا واحد العرب الذي ... ما في الانام لهُ نظير
لو كان مثلك آخرٌ ... ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام اعطهِ عشرين الف دينار فاخذها وانصرف

بذل الدراهم لجمع الدرهمين

دخل رجل على المهدي وامتدحهُ فامر لهُ بخمسين الف درهم فسأَلهُ ان يأذن لهُ في تقبيل يدهِ فاذن لهُ فقبلها وخرج فما انتهى الى الباب حتى فرق المال باسره فعوتب على ذلك فاعتذر وانشد يقول

لمست بكفي كفهُ ابتغي الغنى ... ولم ادرِ انَّ الجود من كفهِ يعدي

حسن الوفاء

كان الوزير محمد المهلبي قبل اتصالهِ بالسلطان ركيك الاحوال فسافر متطلبًا ما يسد بهِ اوده واشتهى اللحم يومًا ولم يكن عنده درهم يشتري بهِ لحمًا فانشأَ متاسفًا يقول

الا موتٌ يباع فاشتريهِ ... يخلصني من الامر الكريهِ
الا موتٌ لذيذ الطعم يأتي ... فهذا العيش ما لا خير فيهِ
اذا ابصرت قبرًا من بعيد ... وددت لو انني ممن يليهِ

فسمعهُ رفيق كان معهُ فرقَّ لهُ واشترى لهُ بدرهم ما سدَّ رمقهُ وحفظ الابيات وتفارقا فراق الزمان ثم بعد مدة قصد رفيقهُ بغداد وكتب للوزير برقعة بعثها اليهِ

الا قل للوزير فدتهُ نفسي ... فقال مذكرًا ما قد نسيهِ
اتذكرُ اذ تقول لضنك عيشٍ ... الا موتٌ يباع فاشتريهِ

فلما وقف الوزير على ذلك بعث للرجل بسبعمائة درهم وكتب لهُ على الرقعة (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبةٍ انبتت سبع سنابل في كل سنبلةٍ مئة حبة) ثم دعاه وخلع عليهِ وقربهُ اليهِ

ابن العباس وعمر بن الخطاب

ذكر ابن العباس قال خرجت ليلةً حالكة قاصدًا دار امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ . فما وصلت الى نصف الطريق الاَّ ورأيت شخصًا اعرابياً جذبني بثوبي وقال الزمني يا عباس . فتأملت الاعرابي فاذا هو امير المؤمنين عمر وهو متنكر . فتقدمت اليهِ وسلمت عليهِ وقلت لهُ الى اين يا امير المؤمنين قال اريد جولة بين احياء العرب في هذا الليل الدامس . فتبعتهُ فسار وانا ورائهُ وجعل يجول بين خيام الاعراب و بيوتهم ويتأملها الى ان اتينا على جميعها واوشكنا ان نخرج منها فنظرنا واذا هناك خيمة وفيها امراة عجوز وحولها صبية يعولون عليها و يبكون وامامها قدر تشتعل من تحتها النار وهي تقول للصبية رويدًا رويدًا بنيّ قليلاً ينضج الطعام فتأكلون . فوقفنا بعيدًا من هناك وجعل عمر يتأمل العجوز تارةً وينظر الى الاولاد اخرى

ولما طال الوقت قلت يا امير المؤمنين ما الذي بوقفك سربنا فقال والله لا ابرح حتى أراها قد صبت للصبية فأكلوا واكتفوا . فوقفنا وقد طال وقوفنا جدًا ومللنا المكان خوفًا ان تستريب بنا العيون . والصبية لا يزالون يصرخون و يبكون والعجوز تقول لهم مقالتها « رويدًا رويدًا بنيّ قليلاً ينضج الطعام فتأكلون » فقال لي عمر ادخل بنا عندها نسأَلها فدخل ودخلت وراءهُ . فقال لها السلام عليك يا خالة . فردت عليهِ السلام أحسن رد . فقال ما بالُ هؤلاء الصبية يتصارخون و يبكون . فقالت لهُ لما هم فيهِ من الجوع . فقالَ لها ولمَ لم تطعميهم مما في القدر . فقالت لهُ وما ذا في القدر لأُطعمهم ليس هو الا علالة فقط الى ان يضجروا من العويل فيغلبهم النوم . وليس لي شيءٌ لأُطعمهم . فتقدم عمر الى القدر ونظرها فاذا فيها حصى وعليها الماء يغلي فتعجب من ذلك وقالَ لها ما المراد بذلك فقالت أَوهمهم ان فيها شيءٌ يطبخ فيؤكل فأُعللهم بهِ حتى اذا ضجروا وغلب النوم عيونهم ناموا . فقالَ لها ولماذا أَنتِ هكذا . فقالت لهُ أنا مقطوعة لا اخ لي ولا زوج ولا قرابة . فقال لها لمَ لم تعرضي امركِ على امير المؤمنين عمر بن الخطاب فيجعل لكِ شيئًا من بيت المال . فقالت لهُ لا حيا الله عمر ونكس اعلامهُ والله انه ظالمني

فلما سمع عمر مقالتها ارتاع من ذلك وقالَ لها يا خالة بما ذا ظلمكِ عمر بن الخطاب. قالت له نعم والله ظلمنا ان الراعي عليهِ ان يفتش عن كل حالٍ من رعيتهِ لعلهُ يوجد فيها من هو مثلي ضيق اليد كثير الصبية ولا معين ولا مساعد لهُ فيتولى لوازمهُ و يسمح لهُ من بيت المال بما يقوتهُ وعيالهُ او صبيتهُ . فقال لها ومن يعلم عمر بحالك وما أنتِ بهِ من الفاقة مع كثرة الصبية كان يجب عليك ان تتقدمي وتعلميهِ. فقالت لا والله ان الراعي الحرَّ يجب عليهِ ان يفتش عن احتياجات رعيتهِ خصوصاً وعموماً فلعل ذلك الشخص الفقير الحال الضيق اليد غلبهُ حياؤه ومنعهُ من التقدم الى راعيهِ ليعلمهُ بحالهِ فعلى عمر السؤالُ عن حال فقراء رعيتهِ اكثر من تقدم الفقير الى مولاه لاعلامهِ بحالهِ والراعي الحرُّ اذا أهمل ذلك فيكون هذا ظلماً منهُ . وهذه سنة الله ومن تعداها فقد ظلم. فعند ذلك قالَ لها عمر صدقت يا خالة ولكن عليَّ الصبية والساعة آتيك

ثم خرج وخرجت معهُ وكان قد بقي من الليل ثلثهُ الاخير . فمشينا والكلاب تنبحنا وأنا أطردها وأذبها عني وعنهُ الى ان انتهينا الى بيت الذخيرة ففتحهُ وحدهُ ودخلهُ وأمرني فدخلت معهُ فنظر يميناً وشمالاً فعمد الى كيس من الدقيق يحتوي على مائة رطل و ينيف فقالَ لي يا عباس حول على كتفي فحملتهُ اياه. ثم قال لي احمل أنت هاتيك جرة السمن وأشار لي الى جرة هناك فحملتها وخرجنا وأقفل الباب وسرنا وقد انهار من الدقيق على لحيتهِ وعينيهِ وجنبيهِ. فمشينا الى ان انصفنا وقد أتعبهُ الحمل لان المكان كان بعيد مسافة. فعرضت نفسي عليهِ وقلت لهُ بأبي وأمي يا امير المؤمنين حول الكيس عنك ودعني أحملهُ. فقال لا والله أنت لا تحمل عني جرائمي وظالمي يوم الدين واعلم يا عباس ان حمل جبال الحديد وثقلها خير من حمل ظلامة كبرت او صغرت ولا سيما هذه العجوز تعلل اولادها بالحصى يا لهُ من ذنب عظيم عند الله سر بنا وأسرع يا عباس قبل ان تضجر الصبية من العويل فيناموا كما قالت

فسار وأسرع وأنا معهُ وهو يلهث من التعب الى ان وصلنا خيمة العجوز . فعند ذلك حول كيس الدقيق عن كتفهِ ووضعت جرة السمن امامهُ. فتقدم هو بذاتهِ وأخذ القدر وأركب ما فيها ووضع فيها السمن وجعل بجانبهِ الدقيق ثم نظر فاذا النار قد كادت تطفأ فقال للعجوز أعندكِ حطب. قالت نعم يا بني واشارت لهُ اليهِ.

فقام وجاء بقليل منهُ وكان الحطب اخضر فوضع منهُ في النار ووضع القدر على الاثافي وجعل ينكس رأسهُ الى الارض وينفخ بفمهِ تحت القدر فوالله اني رأيت دخان الحطب يتصاعد من خلال لحيتهِ وقد كنس بها الارض اذ كان يطأطئ راسهُ ليتمكن من النفخ

ولم يزل هكذا حتى اشتعلت النار وذاب السمن وابتدأ غليانهُ فجعل يحرك السمن بعودٍ في يدهِ الواحدة ويخلط من الدقيق مع السمن في يدهِ الاخرى الى ان أنضج والصبية حولهُ يتصارخون. فلما طاب الطعام طلب من العجوز اناءً فأتتهُ بهِ فجعل يصب الطبيخ في الاناء وينفخهُ بفمهِ ليبردهُ ويلقم الصغار. ولم يزل يفعل هكذا معهم واحدًا بعد واحد حتى أتى جميعهم وشبعوا واكتفوا. وقاموا يلعبون ويضحكون مع بعضهم الى ان غلب عليهم النوم فناموا. فالتفت عمر عند ذلك الى العجوز وقال لها يا خالة أنا من قرابة امير المؤمنين عمر وسأذكر لهُ حالكِ فآتيني غدًا صباحًا في دار الامان فتجديني هناك فارجي خيرًا. ثم ودعها وخرج وخرجت معهُ فقال لي يا عباس اني حين رأيت العجوز تعلل صبيانها بحصي حسبت ان الجبال قد زلزلت واستقرت على ظهري حتى اذا جئت بما جئت وأطعمتهم ما طبخت لهم واكتفوا وجلسوا يلعبون ويضحكون فحينئذ شعرت ان تلك الجبال قد سقطت عن ظهري. ثم اتى عمر داره وأمرني فدخلت معهُ وبتنا ليلتنا. ولما كان الصباح أتت العجوز فاستغفرها وجعل لها ولصبيتها راتبًا شهريًا فشهريًا

المروءة والوفاة

سقط القائد فديرال يوم اشتدت نيران الحرب في فرجينا امام صفوف الاعداء مثخنًا بالجراح مخضبًا بالدماء يصرخ مستغيثًا لجرعة ماء. فعطف عليهِ جندي من عساكر الاعداء اسمهُ جمس مور من ولاية برك شمالي كارولينا واتاه بالماء. ونيران المدافع وكراتها تتساقط كالامطار الغزيرة من الفريقين فاخذ اصحاب جمس يحذرونهُ من الخطر ويردعونهُ عن ان يلقي بيدهِ الى التهلكة. فلم يلتفت اليهم وظلَّ يسرع الى عدوه المستغيث في معمعة الموت الاحمر حتى بلغ اليهِ وكأس الماء بيده فسقاه. وكان مع ذلك القائد الصريع ساعة ذهبية فقدمها للمنعم اليهِ. فأبى ذاك اخذها. فسأل القائد فديرال عن اسمهِ. فقال لهُ انهُ جمس مور. ثم رجع مور الى مركزه ولم يرَ احدهما

الآخر بعد ذلك . ثم جرح جس مور وفقد بعض اعضائهِ في احدى وقائع فرجينيا فرجع الى بيتهِ في ولاية برك ثم مضى عليهِ سنين عديدة وفي هذه المدة بلغهُ خبر من القائد فديرال الذي سقاه كأس الماء في ساحة الحرب انهُ وهب لهُ عشرة آلاف دينارًا جزاء لصنيعهِ يعطاها مدة اربع سنين اي يعطى كل سنة الفين وخمسمائة دينار

المتوكل وعبيد الله بن يحيى

ابطأ عبيد الله بن يحيى عن الديوان فارسل اليهِ المتوكل يتعرف خبره فكتب اليهِ

عليلٌ من مكانين من الافلاسِ والدينِ
ففي هذين لي شغلٌ وحسبي شغلُ هذينِ

فبعث اليهِ بألف دينار

المستعطي بالحلم

دخل ابن دعبل على بشر بن مروان لما ولي الكوفة فقعد بين السماطين ثم قال ايها الامير اني رأيت رؤيا فاذن لي في قصها . فقال قل . فقال

اغفيت قبل الصبح نوم مسهدٍ في ساعةٍ ما كنت قبل انامها
فرأيت انك جدت لي بوصيفة موسومة حسنٌ عليَّ قيامها
وبيدرة حملت اليَ وبغلةٍ شهباء ناجيـة يصر لجامها

قال لهُ بشر بن مروان : كل شيء رأيت فهو عندي الاَّ البغلة فانها دهماء فارغة . قال صحيح ما تقول الاَّ اني غلطت

البطين الشاعر وابن يحيى الارميني

قال البطين الشاعر قدمت على ابن يحيى الارميني فكتبت اليهِ

رأيت في النوم اني راكبٌ فرسًا ولي وصيفٌ وفي كفي دنانيرُ
فقال قومٌ لهم حذق ومعرفة رأيت خيرًا وللاحلام تعبيرُ
رؤياك فسرّغدًا عند الامير تجد تعبير ذاك وفي الفال التباشيرُ
فجئت مستبشرًا مستشعرًا فرحًا وعند مثلك لي بالفعل تبشيرُ

فوقع لي في اسفل كتابي . اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين . ثم امر لي بكل شيء ذكرته في ابياتي ورأيته في منامي

التيميّ والفضل بن الربيع

دخل التيميّ الى الفضل بن الربيع في يوم عيد فانشده

لعمرك ما الاشراف في كل بلدة ... وان عظموا للفضل الا صنائعُ
ترى عظماء الناس للفضل خشعًا ... اذا ما بدى والفضل كلهُ خاشعُ
تواضع لما زاده الله رفعةً ... وكل جليل عنده متواضعُ

فأمر لهُ بعشرة آلاف درهم

الصانع وصائغ الخليفة

حكي ان رجلاً من ابناء الناس كانت لهُ يدٌ في صناعة الصياغة وكان واحد اهل زمانهِ . فساء حالهُ وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل الى بلدٍ آخر . فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانًا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثير يعملون الاشغال للسلطنة ولهُ سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك . فتوصل الصائغ الغريب الى ان بقي من احد الصناع الذين في دكان هذا المعلم واقام يعمل عندهُ مدة وكلما فرغ النهار دفع لهُ درهمين من فضة وتكون اجرة عملهُ تساوي عشرة دراهم فيكسب عليهِ ثمانية دراهم في كل يوم . فاتفق ان الملك طلب المعلم وناولهُ فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص في غاية من الحسن قد عملت في غير بلادهِ كانت في يد احد حظاياه فانكسرت فقال لهُ الحمها . فأخذها المعلم وقد اضطرب عليهِ في عملها . فلما اخذها واراها للصناع الذين عندهُ وعند غيرهِ فما قال لهُ احد انهُ يقدر على عملها . فازداد المعلم لذلك غمًّا ومضت مدة وهي عندهُ لا يعلم ما يصنع . فاشتد الملك على احضارها وقال . هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن ان يلحم سوارًا . فلما رأى الصائغ الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسهِ . هذا وقت المروءات اعملها ولا اؤاخذه بخلهِ عليَّ وعدم انصافهِ ولعلهُ يحسن اليَّ بعد ذلك فحطَّ يدهُ في درج المعلم واخذها وفك جواهرها وسبكها . ثم صاغها كما كانت

ونظم عليها جواهرها فعادت احسن مما كانت فلما رآها المعلم فرح فرحًا شديدًا . ثم مضى بها الى الملك فلما رآها استحسنها وادعى المعلم انها صنعتهُ . فأحسن اليهِ وخلع عليهِ خلعة سنية . فجاء وجلس مكانهُ فبقي الصانع يرجو مكافأتهُ عما عاملهُ بهِ فما التفت اليهِ المعلم . ولما كان النهار ما زاده على الدرهمين شيئًا . فما مضت الاَّ ايامٌ قلائل واذا الملك اختار ان يعمل زوجي اساور على تلك الصورة فطلبهُ ورسم شكل ما يحتاج اليهِ واكد عليهِ في تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء الى الصانع واخبرهُ بما قال الملك . فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبًا الى ان عمل الزوجين وهو لا يزيده شيئًا على الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معهُ . فرأى المصلحة ان ينقش على زوج منهما ابياتًا يشرح فيها حالهُ ليقف عليها الملك . فنقش في باطن احدهما هذه الابيات نقشًا خفيًا يقول

مصائب الدهر كفي ان لم تكفي فعفي
خرجت اطلب رزقي وجدت رزقي توفي
فلا برزقي احظى ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا وعالمٍ متخفي

وعزم الصانع على انهُ ان ظهرت الابيات للمعلم شرح لهُ ما عندهُ وان غمَّ عليهِ ولم يرها كان ذلك سبب توصلهِ الى الملك . ثم لفهما في قطنٍ وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم يرَ باطنهما لجهلهِ بالصنعة ولما سبق لهُ في القضاء فاخذهما المعلم ومضى بهما فرحًا الى الملك وقدمهما اليهِ . فلم يشك في انهما صنعتهُ فخلع عليهِ وشكره ثم جاء فجلس مكانهُ ولم يلتفت الى الصانع وما زاده في آخر النهار شيئًا عن الدرهمين . فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب . فحضرت وهما في يديها فاخذهما ليعيد نظره فيهما وفي حسن صنعتهما . فقرأ الابيات فتعجب وقال : هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب . فغضب عند ذلك وامر باحضار المعلم . فلما حضر قال لهُ : من عمل هذين السوارين . قال : انا ايها الملك . قال فما سبب نقش هذه الابيات . قال لم يكن عليهما ابيات . قال كذبت ثم اراه النقش وقال : ان لم تصدقني الحق لاضربن عنقك . فاصدقهُ الحق فامر الملك باحضار الصانع . فلما حضر سألهُ عن حالهِ فحكى لهُ قصتهُ وما

جرى لهُ مع المعلم . فرسم الملك بعزل المعلم وان تسلب نعمتهُ وتعطى للصانع وان يكون عوضًا عنهُ في الخدمة . ثم خلع عليهِ خلعة سنية وصار مندمًا سعيدًا . فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف بهِ حتى رضي عن المعلم الاول وصارا شريكين ومكثا على ذلك الى آخر العمر

احسان كريم الى عدوه

كان بين غسان بن عباد وبين علي بن موسى عداوة عظيمة وكان عليّ بن موسى ضامنًا اعمال خراج كضياع وغيره فبقيت عليهِ بقية مقدار اربعين الف دينار . فالح عليهِ المأمون بطلبها وشدد بها الى ان قال لعليّ بن صالح حاجبهِ . امهلهُ ثلاثة ايام فان احضر المال والاّ فاضربهُ بالسياط حتى يدفع المال او يتلف . فانصرف علي بن موسى من دار المأمون وقد ارتاع وهو لا يعرف وجهًا يتجه اليهِ . فقال لهُ كاتبهُ اذا عرجت على غسان بن عباد وعرفتهُ خبرك رجوت ان يعينك على امرك . فقال لهُ ان بيني وبينهُ من العداوة ما عرفت . فقال لهُ نعم ولكن الرجل ربحي كريم لا تمنعهُ العداوة التي بينكما عن فعل المعروف الذي هو من شيم الكرام . فقام علي بن موسى ومضى الى ان جاء ودخل مع كاتبهِ على غسان بن عباد . فلما رآه غسان قام اليهِ وتلقاه جميلاً ووفاه حقهُ في الخدمة وقال لهُ : دع الامر الذي بيني وبينك على حالهِ ولكن دخولك الى داري توجب حرمتهُ بلوغ ما رجوتهُ مني فاذكر ان كان لك حاجة . فقص كاتبهُ عليهِ القصة . فقال لهُ غسان ارجوان يكفيك الله تعالى حقيقة امرك ولم يزد على ذلك شيئًا . فقام علي بن موسى من عنده وهو نادم على قصده غسان ويئس من امره وقال لكاتبهِ ما افدتني بدخولي على غسان سوى تعجيل الشماتة والهوان . فلم يصل علي بن موسى الى داره حتى حضر اليهِ كاتب غسان ومعهُ البغال وعليها المال فتقدم علي بن موسى وتسلمهُ وبات فرحاً مسرورًا . وعند الصباح بكر الى دار امير المؤمنين ليدفع المال فوجد غسان قد سبقهُ هناك ودخل على المأمون وقال لهُ يا امير المؤمنين ان لعلي بن موسى بحضرتك حرمة وخدمة وسابق اصل وقد لحقهُ من الخسران في ضمانهِ ما تعارفهُ الناس وقد توعدتهُ من الضرب بالسياط ما اطار عقلهُ واذهب لبهُ . فان رأى امير المؤمنين ان ان يجزيني من حسن كرمهِ ببعض ما عليهِ فهي صنيعة بي من احسانهِ . ولم يزل

يتلطف بالمأمون حتى حطّ عنهُ نصف ما عليهِ واقتصر منهُ بالنصف عشرين الف دينار . فقال غسان للمأمون سمعًا وطاعة ولكن على ان يجدد امير المؤمنين لهُ الضمان ويخلع عليهِ لكي تقوى نفسهُ ويعرف بها مكان الرضا عليهِ من امير المؤمنين ابقاه الله . فاجاب المأمون الى ذلك . فقال لهُ غسان ان شاء امير المؤمنين فليحمل الدواة الى حضرتهِ لتوقيع ما سمح بهِ في ما قال . قال افعل فحملت الدواة الى المأمون وقدمها عنان لهُ فوقع حينئذٍ لعلي بن موسى وخرج علي بن موسى والخلع على كتفيهِ والتوقيع بيده . فلما حضر الى دارهِ حمل من المال عشرين الف دينار وارسلها الى غسان وشكرهُ على جميل فعلهِ . فقال غسان لكاتبهِ . والله ما شفعت بهِ عند امير المؤمنين الا لتتوفر عليهِ العشرون الف دينار وينتفع بها هو فامضِ بها اليهِ وردها فلست والله اخذها فهي لهُ . فلما رجع الكاتب الى علي بن موسى مولاه وبلغهُ ما قال عرف عند ذلك قدر ما فعلهُ غسان من الجميل . ولم يزل يخدمهُ ويوقره الى آخر العمر

الاصمعي واحد الكرماء

حكى الاصمعي قال قصدت في بعض الايام رجلاً كنت آتيهِ احيانًا كثيرة لكرمهِ وجودهِ فلما آتيت دارهُ وجدت على بابهِ بوابًا فمنعني من الدخول اليهِ وقال لي . والله يا اصمعي ما اوقفني على بابهِ لامنع مثلك الا لرقة حالهِ وقصور يدهِ وما هو فيهِ من الضيق . فقلت لهُ اريد ان اكتب لهُ رقعة اتوصلها اليهِ . فقال سمعًا وطاعة فاحضر لي قرطاسًا وقلماً ودواة فأخذت وكتبت لهُ شعرًا

اذا كان الكريم لهُ حجابٌ فما فضل الكريم على اللئيم

ثم طويت الرقعة ودفعتها الى الحاجب وقلت لهُ : اوصل هذه الرقعة اليهِ . ففعل ومضى بالرقعة قليلاً ثم عاد اليّ بالرقعة عينها وقد كتب تحت شعري جوابًا شعرًا

اذا كان الكريم قليل مالٍ تحجب بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار . فتعجبت من سخائهِ مع قلة ما بيده فقلت في نفسي والله لاتحفنّ هارون الرشيد بهذا الخبر . فانطلقت حتى آتيت

قصر الخلافة فاستأذنت ودخلت فسلمت عليهِ بالخلافة . فلما رآني قال لي من اين يا اصمعي . قلت من عند رجل من اكرم الاحياء من بعد امير المؤمنين . قال ومن هو . فدفعت لهُ الصرة وسردت عليهِ الخبر . فلما رأى الصرة قال هذه من بيت مالي ولا بد لي من الرجل . فقلت والله يا امير المؤمنين اني استحي ان اكون سبب روعهِ بارسالك اليهِ . فقال لا يغمك ذلك . ثم التفت الى بعض خاصتهِ وقال لهُ امضِ مع الاصمعي فاذا اراك دارًا فادخل وقل لصاحبهِ : اجب امير المؤمنين وليكن دعاؤك لهُ بلطافةٍ من غير ان تزعجهُ . (قال الاصمعي) فمضينا ودعونا الرجل فجاء ودخل على امير المؤمنين وسلم بالخلافة . فقال لهُ هارون الرشيد الست انت الذي وقفت لنا بالامس وشكوت لنا رقة حالك وقلت انك في ضيق شديد من الاحتياج فرحمناك ووهبنا لك هذه الصرة لتصلح بها حالك وقد قصدك الاصمعي ببيتٍ من الشعر فدفعتها لهُ . فقال نعم يا امير المؤمنين والله ما كذبت فيما شكوتهُ لامير المؤمنين من رقة حالي وشدة احتياجي ولكنني استحييت من الله تعالى ان اعيد قاصدي الاَّ كما اعادني امير المؤمنين . فقال هارون الرشيد : لله در بطن اتاك فما ولدت العرب اكرم منك . ثم بالغ باكرامهِ وخلع عليهِ وجعلهُ من خاصتهِ

والي البصرة والخيزران

لما ولي محمد بن سليمان البصرة اهدى الى الخيزران مائة وصيف بيد كل وصيف جامٌ من ذهب مملوءًا مسكًا . فقبلت ذلك وكتبت اليهِ وقالت « عافاك الله ان كل ما وصل الينا منك ثمن رأينا فيك فقد بخستنا بالقيمة وان كان وزن ميلك الينا فظننا فيك فوقهُ »

اكرام ثلاثة اصدقاء مخلصين بعضهم بعضاً

نقل عن الواقدي قال : كان لي صديقان احدهما هاشمي وكنا في الصداقة كنفس واحدة . فنالتني ضيقة شديدة وقد حضر العيد . فقالت لي امرأتي يا مولاي اما نحن فقد نصبر على البؤس والشدة واما صبياننا هؤلاء فقد تقطع قلبي عليهم حزنًا ورحمةً لانهم يرون صبيان جيراننا ومعارفنا وقد تزينوا في العيد وهم فرحون . فلا بأس

اذا احتلنا في ما يمكنا ان نصرفهُ في كسوتهم . فرأيت كلامها صوابًا وقد قطعت فؤادي من هذا الحديث . ففكرت في الحيلة وكتبت الى صديقي الهاشمي اسأله التوسعة عليَّ بما يمكنهُ ويحضر . فوجه اليَّ كيسًا فيهِ الف درهم . فما استقرَّ قرارهُ حتى كتب لي صديقي الآخر يشكو اليَّ مثلما شكوت أنا الى صديقي الهاشمي . فوجهت اليهِ بالكيس على حالهِ وخرجت الى المسجد وأنا مستحيٍ من امرأتي . فلما دخلت عليها وقد علمت بما فعلت لم تعنفني . فبينما أنا كذلك اذ دخل عليَّ صديقي الهاشمي ومعهُ الكيس وهو باقٍ بختمهِ فقال : اصدقني عما فعلتهُ بما وجهت بهِ اليك . فاخبرتهُ بالحكاية على حقيقتها . فقالَ انك ارسلت تطلب مني التوسعة وأنا والله ثم والله لا املك شيئًا سوى هذا الكيس الذي بعثت بهِ اليك . ثم اني بعد ما ارسلتهُ لك كتبت الى صديقنا أسألهُ المؤاساة ان كان يمكنهُ فوجه اليَّ الكيس بذاتهِ وهو بختمي وها أنا ذا اتيت بهِ اليك . وبحيث اننا كلنا في ضيق ولا يوجد عند احدنا غير هذا الكيس فهلم نقتسمهُ . ثم انهُ فتحهُ واخرج منهُ مئة درهمٍ للمرأة وفرق على كلٍّ منا أنا وصديقي ثلاث مئة الف درهم واخذ هو مثلنا ثلاث مئة . وبلغ المأمون ذلك فارسل استدعاني وسألني عن القضية فشرحتها لهُ كما هي فاستدعى صديقيَّ وامر لكلٍّ منا بألفي دينار ولامرأتي بالف دينار .

قيل في اسحق بن عبد الرحمن

كان في بغداد رجل من اهل السخاء رفيع القدر رقيق الجانب قال فيهِ احد الشعراء

نفى الجوعَ من بغداد اسحق ذو الندى ... كما قد نفى جوع الحجاز اخوهُ
وما يك من خيرٍ اتوهُ فانما ... فعال عزيزٍ قبلهم فعلوهُ
هو البحر بل لو حلَّ بالبحر وفدهُ ... ومن يجتدبهِ ساعةً نزفوهُ

رثاء اسحق بن عزيز

انشد الزبير الشاعر يرثي اسحق بن عزيز

ولئن بكى جزعًا عليك لقد بكت ... جزعًا عليهِ مكارم الاخلاقِ

يا خير من بكت المكارم فقدهُ لم يبقَ بعدك للمكارم باقِ
لو طاف في شرق البلادِ وغربها لم يلق الاَّ ماجدًا لك لاقِ
بخلت بما حوت الاكفُّ وانما خلق الاله يديك للانفاقِ
ما بتَّ من كرم الطبائعِ ليلةً الاَّ لعرضك من نوالك واقِ

عمارة بن حمزة وايوب المكي

بعث ايوب المكي بعض اولاده الى عمارة بن حمزة فادخلهُ الحاجب . قال ثم دنا الى سترٍ مسبلٍ فقال ادخل فدخلت فاذا عمارةُ مضطجع محوّل وجههُ الى الحائط . فقال لي الحاجب اذكر حاجتك . فقلت لعلهُ نائم . قال لا . فقلت جعلني الله فداك اخوك يقرئك السلام ويذكر دينًا عليهِ ويقول بهظني وسد وجهي ولولاه كنت موضع رسولي تسأل امير المؤمنين قضاءهُ عني . فقال وكم دين ابيك . قلت ثلثمائة الف درهم . فقال وفي مثل هذا القدر أُكلم امير المؤمنين يا غلام احملها معهُ . وما التفت اليَّ ولا كلمني بغير هذا

عمارة والفضل بن الربيع

قال الفضل بن الربيع كان ابي يأمرني بملازمة عمارة . فاعتل عمارة وكان المهدي سيء الرأي فيهِ . فقال لهُ يومًا يا امير المؤمنين ان مولاك عمارة عليل وقد افضى الى بيع فرشهِ وكسوتهِ . قال غفلتُ عنهُ وما كنت اظن انهُ بلغ الى هذه الحالة احمل اليهِ خمسمائة الف درهم يا ربيع واعلمهُ ان لهُ عندي بعدها ما يحب . فحملها ابي من ساعتهِ وقال لي اذهب بها الى عمك وقل لهُ اخوك يقريك السلام ويقول اذكرت امير المؤمنين امرك فاعتذر عن غفلتهِ عنك وامر لك بهذه الدراهم وقال لك عندي بعدها ما تحب . فاتيتهُ بالمال ووجههُ الى الحائط فسلمت . فقال لي من انت . فقلت ابن اخيك الفضل بن الربيع . فقال مرحبًا بك وابلغتهُ الرسالة . فقال قد كان طال لزومك لنا وقد كنا نحسب ان نكافيك على ذلك ولم يمكنا قبل هذا الوقت انصرف فهي لك . فهبتهُ ان اردها عليهِ فتركت البغال على بابهِ وانصرفت الى ابي فاعلمتهُ . فقال يا بنيَّ خذها بارك الله لك فيها عمارة ليس ممن يهب فيرد . وكان اول مالٍ ملكتهُ

الحجاج والرجل

خطب الحجاج فاطال فقام رجل فقال : الصلاة فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك . فامر بحبسهِ فاتاه قومهُ وزعموا انهُ مجنون وسألوه ان يخلي سبيلهِ . فقال ان اقر بالجنون خليتهُ . فقال معاذ الله لا ازعم ان الله ابتلاني وقد عافاني . فبلغ ذلك الحجاج فعفا عن صدقهِ

عفو عبد الملك

تغيظ عبد الملك بن مروان على رجاء بن حياة فقال : والله لئن امكنني الله منهُ لافعلنَّ بهِ كذا وكذا . فلما صار بين يديهِ قال لهُ رجاء بن حياة : يا امير المؤمنين قد صنع الله ما احببت فاصنع ما احبَّ الله . فعفا عنهُ وامر لهُ بصلة

مدعي النبوّة والملك

حكي ان رجلاً ادعى النبوة في ايام احد الملوك فلما حضر بين يديهِ قال لهُ : انت نبيٌّ . قال نعم . قال والى من بعثت . قال اليك . قال اشهد انك سفير احمق . قال انما ببعث لكل قوم مثلهم . فضحك الملك وامر لهُ بشيءٍ

الحجاج والشيخ

خرج الحجاج يومًا للتنزه فصرف عنهُ اصحابهُ وانفرد بنفسهِ فلاقى شيخًا من بني عجل فقال لهُ : من اين انت يا شيخ . قال من هذه القرية . قال ما رأيكم بحكام البلاد . قال كلهم اشرار يظلمون الناس ويختلسون اموالهم . قال وما قولك في الحجاج . قال هذا انجس الكل سوَّد الله وجههُ ووجه من استعملهُ على هذه البلاد . قال الحجاج : اتعرف من انا . فقال لا والله . قال انا الحجاج . قال انا فداك وانت تعرف من انا . قال لا . قال انا زيد بن عامر مجنون بني عجل أُصرع كل يوم مرة في مثل هذه الساعة . فضحك الحجاج واجازه

قيس بن سعد والاعرابي

قيل لقيس بن سعد : هل رأيت قط اسخى منك . قال نعم : نزلنا بالبادية على

امرأة فحضر زوجها فقالت : انهُ نزل بك ضيفان . فجاء بناقة فنحرها وقال : شأنكم . فلما جاء الغد جاء بأُخرى ونحرها وقال : شأنكم . فقلت : ما اكلنا من التي نحرت لنا البارحة الاَّ اليسير . فقال اني لا اطعم اضيافي الغابَّ . فاقمنا عندهُ اياماً والسماء تمطر وهو يفعل كذلك . فلما أردنا الرحيل وضعنا في بيتهِ مائة دينار وقلنا للمرأة : اعتذري لنا منهُ . ومضينا . فلما تواسط النهار اذا رجل يصيح خلفنا : قفوا ايها الركب اللئام اعطيتمونا ثمن القرى . لتأخذنها والاَّ طعنتكم برمحي . فاخذناها وانصرف

جحظة البرمكي

قال ابو الحسن المعروف بجحظة البرمكي :

أنا ابن اناس موَّل الناس جودهم ... فاضحوا حديثاً للنوال المشهرِ
فلم يخل من احسانهم لفظ مخبرٍ ... ولم يخل من تقريظهم بطن دفترِ

وصف المعروف والكرم

قال رجل من فزارة يصف المعروف والكرم :

والا يكن عظمي طويلاً فانني ... لهُ بالخصال الصالحات وصولُ
ولا خير في حسن الجسوم ونبلها ... اذا لم تزن حسن الجسوم عقولُ
اذا كنت في القوم الطوال علوتهم ... بعارفةٍ حتى يقال طويلُ
وكم قد رأينا من فروعٍ كثيرة ... تموتُ اذا لم تجنهنَّ أُصولُ
ولم أَر كالمعروف اما مذاقهُ ... فحلوٌ واما وجههُ فجميل

وقال ابو دلف العجليّ :

اجود بنفسي دون قومي رافعاً ... لما نابهم قدماً واغشى الدواهيا
واقتحم الامر المخوف اقتحامهُ ... لادرك مجداً او أعاود ثاويا

المتوكل وابراهيم بن المدبر

قال ابراهيم بن المدبر : مرض المتوكل مرضاً خيف عليهِ منهُ . ثم عوفي وأَذن للناس في الوصول اليهِ فدخلوا على طبقاتهم كافة ودخلت معهم . فلما رآني استدناني

حتى قمت وراء الفتح ونظر اليّ مستنطقًا فانشدته :

يومٌ اتانا بالسرورْ فالحمد لله الكبيرْ
اخلصت فيهِ شكره ووفيت فيهِ بالنذور
لما اعتللت تصدعت شعب القلوب من الصدور
من بين ملتهب الفؤا دِ و بين مكتئب الضمير
يا عدّتي للدين والـ ـدنيا وللخطب الخطير
كانت جفوني شرّة الـ آماق بالدمع الغزير
لو لم أمت جزعًا لعم رُك انني عين الصبور
يومي هنا لك كالسنيـ ـن وساعتي مثل الشهور
يا جعفر المتوكل الـ عالي على البدر المنير
اليوم عاد الدين غضّ م العود ذا ورق نضير
واليوم اصبحت الخلا فةُ وهي ارسى من ثبير
قد حالفتك وعاقدتـ ـك على مطاولة الدهور

فقال المتوكل للفتح : ان ابراهيم ينطق عن نية خالصة وودٍّ محض وما قضينا حقهُ . فتقدم بان يحمل اليهِ الساعة خمسون الف درهم

ابو سعيد وابو تمام الشاعر

قال ابو تمام يمدح ابا سعيد وكان قد اجازه واكرم مثواه :

ابا سعيدٍ وما وصفي بمنهمـ على المعالي وما شكري بمحترمـ
لئن جحدتك ما اوليت من حسن اني لفي اللؤم احظى منك في الكرم
امسي ابتسامك والالوان كاسفة تبسم الصبح في داج من الظلم
كذا اخوك الندى لو انهُ بشر لم يلف طرفة عين غير مبتسم
رددت رونق وجهي في صحيفتهِ ردّ الصقال بهاء الصارم الخذم
وما ابالي وخير القول اصدقهُ حقنت لي ماء وجهي اوحقنت دمي

الواثق وحسين بن الضحاك

حدث ابراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيد

فصاد صيدًا حسنًا من الأوزّ والدراج وطير الماء وغير ذلك . ثم رجع فتغذى ودعا بالجلساء والمغنين وطرب وقال : من ينشد . فقام الحسين بن الضحاك فانشد :

سقى الله بالفاطول مسرح طرفكا ... وخص بسقياه مناكب قصركا

حتى انتهى الى قوله :

تحين للدراج في جنباته ... وللعزّ آجالٌ قدرن بكفكا
حتوفًا اذا وجهتهن قواضبًا ... عجالاً اذا اغريتهن بزجركا
ابحت حماماً مصعدًا ومصوبًا ... ومارمت في حاليك مجلس لهوكا
تصرف فيه بين نأي ومسمع ... ومشمولة من كف ظبي لسقيكا
قضيت لبانات وانت مخيمٌ ... مريح وان شطت مسافة عزمكا
وما نال طيب العيش الا مودعٌ ... ولا طاب عيش نال مجهود كدكا

فقال الواثق : ما بعد الراحة ولذة الدعة شيء . فلما انتهى الى قوله

خلقت امين الله للخلق عصمةً ... وأمنًا فكلٌ في ذراك وظلكا
وثقت بمن سماك بالغيب واثقًا ... وثبت بالتأييد اركان ملككا
فاعطاك معطيك الخلافة شكرها ... وأسعد بالنقوى سريرة قلبكا
وزادك من اعمارنا غير منةٍ ... عليك بها اضعاف اضعاف عمركا
ولا زالت الاقدار في كل حالة ... عداة لمن عاداك سلمًا لسلمكا
اذا كنت من جدواك في كل نعمة ... فلا كنت ان لم أفن عمري بشكركا

فطرب الواثق وضرب الارض بمخصرة كانت في يده وقال : لله درك يا حسين ما اقرب قلبك من لسانك . فقال يا امير المؤمنين جودك ينطق المفحم بالشعر والجاحد بالشكر . فقال له لن تنصرف الا مسرورًا وأمر له بخمسين الف درهم

المتوكل وابراهيم بن العباس

لما عقد المتوكل لولاة العهود من ولده ركب بسرّ من رأى ركبة لم ير احسن منها وركب ولاة العهود بين يديه والاتراك بين ايديهم الطبرزينات المحلاّة بالذهب ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانخيات وسائر السفن . وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العروس واذن للناس فدخلوا اليه . فلما تكاملوا بين يديه

مثل ابراهيم بن العباس بين الصفين فاستأذن في الانشاد فاذن له فانشد

ولما بدا جعفرٌ في الخميس م بين المطلِّ وبين العروس
بدا لابسًا بهما حلةً أُزيلت بها طالعات النحوس
ولما بدا بين احبابهِ ولاة العهود وغرس النفوس
غدا قمرًا بين اقمارهِ وشمسًا مكللة بالشموس
لايقاد نارٍ واطفائها ويومٍ انبقٍ ويوم عبوس

ثم اقبل على ولاة العهود فقال

اضحت عرى الاسلام وهي منوطةٌ بالنصر والاعزاز والتأييدِ
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ كنفوا الخلافة من ولاة عهودِ
قمرٌ توافت حولهُ اقمارهُ فخففن مطلع سعدهِ بسعودِ
رفعتهم الايام وارتفعوا بها فسعوْا باكرم انفسٍ وجدودِ

الملك المؤيد وصفي الدين الحليّ

حمل الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل الى صفي الدين الحليّ تحفًا وكسوات البيت ومهانهُ . فقال يمدحهُ ويشكر فضلهُ :

جزاك الله من حسناك خيرًا وكان لك المهيمن خير راعِ
فقد قصرت بالاحسان لفظي كما طولت بالانعام باعي
فأخرني الحياء وليس يدري جميع الناس ما سبب امتناعي
فاشكر حسن صنعك في اتصالٍ وخطوي نحو ربعك في انقطاع
وقافية شبيهة الشمس حسنًا تردد بين كفي والبراعِ
لها فضلٌ على غرر القوافي كما فضل البقاع على البقاعِ
غدت تثني على عليالك لما ضمنت لربها نجح المساعي
فدمت ولا برحت مدى الليالي سعيد الجدّ ذا امرٍ مطاعِ

البحتري وابو تمام

قال البحتري : قال لي ابو تمام بلغني ان بني حميد اعطوك مالاً جليلاً فبمَ مدحتهم فأنشدني شيئًا منهُ . فانشدتهُ فقال لي : كم اعطوك . فقلت كذا . فقال لي لقد ظلموك وما وفوك حقك والله فان بيتًا منها خير مما اخذت . ثم اطرق قليلاً

فقال : لعمري لقد مات الكرم وذهب الناس وغاضت المكارم وكسدت اسواق الادب . انت والله يا بني امير الشعراء غداً بعدي . فقمت فقبلت رأسهُ ويديهِ ورجليهِ وقلت : والله ان هذا القول اسرُّ اليَّ مما وصل منهم

طاهر بن محمد والبحتري

من اخبار البحتري انهُ كان بحلب شخص يقال لهُ طاهر بن محمد الهاشمي مات ابوهُ وخلف لهُ مقدار مائة الف دينار فانفقها على الشعراء والزوَّار في سبيل الله . فقصدهُ البحتري من العراق فلما وصل الى حلب قيل لهُ انهُ قعد في بيتهِ لديون ركبتهُ . فاغتم البحتري لذلك غماً شديداً وبعث المدح اليهِ مع بعض مواليهِ . فلما وصلتهُ ووقف عليها بكى ودعا بغلامٍ لهُ وقال : بعْ داري . فقال لهُ اتبيع دارك وتبقى على رؤوس الناس . فقال لا بدَّ من بيعها . فباعها بثلاثمائة دينار فاخذ صرَّة وربط فيها مائة دينار وانفذها الى البحتري وكتب اليهِ معها رقعة فيها هذه الابيات

لو يكون الحباء حسب الذي أنـ ـمتَ لدينا بهِ محلٌّ واهلُ
لحويتُ اللجين والدرَّ واليا قوتَ حتواً وكان ذاك يقلُّ
والاديبُ الاريب يسمح بالعذ رِ اذا قصرَ الصديقُ المقلُّ

فلما وصلت الرقعة الى البحتري ردَّ الدنانير وكتب اليهِ :

بأبي انت والله للبرِّ اهلُ والمساعي بعدٌ وسعيك قبلُ
والنوال القليل يكثر ان شا ءَ مرجيك والكثير يقلُّ
غير اني رددت برَّك اذ كا نَ رباً منك والربا لا يحلُّ
واذا ما جزيت شعراً بشعرٍ قضي الحق والدنانير فضلُ

فلما عادت الدنانير اليهِ حلَّ الصرة وضمَّ اليها خمسين ديناراً أُخرى وحلف ان لا يردها عليهِ وارسلها . فلما وصلت الى البحتري انشأ يقول :

شكرتك ان الشكر للعبد نعمةٌ ومن يشكر المعروف فالله زائده
لكل زمانٍ واحدٌ يقتدى بهِ وهذا زمان انت لا شك واحده

رب المروءة والفقير

حكي ان احد اصحاب المروءة كان لهُ جار فقير . فبينما كان ذات يوم ماراً

بدار ذاك الرجل اذ سمع ابنتهُ تقول لامها : يا امي ليس عندنا الليلة ما نأكلهُ . فقالت لها امها صبرًا لعلَّ الله يشفق علينا فينقذنا من مخالب الجوع . فلما سمع الرجل ذلك بكى من الحنان وقال لابنةٍ لهُ : خذي هذه الدراهم الى بيت فلان جارنا ولا تدعي احدًا يراك او يعلم بما تفعلين . فذهبت الابنة الى بيت الفقير فرأت بنتهُ في الباب فاعطتها الصرة وقالت ساترةً وجهها : خذي هذه الدراهم . فسألتها عن اسمها فلم تجب فعادت الى امها بتلك الصرة . فقالت لها من اعطاك هذه : فقالت لا اعلم لان الذي دفعها اليَّ كان متنكرًا . فاخذت تدعي واهل البيت لذلك الرجل المحسن الذي بعثهُ الله اليهم من حيث لا يدرون

عنترة وشداد وسمية

غضب شداد يومًا على ابنهِ عنتر وكان قد وشى بهِ اليهِ احد حاسديهِ فهم بضربهِ وكان فتى صغيرًا فمنعتهُ سمية فلم يمتنع بل نزل عليهِ بسوطٍ كان في يدهِ . فلما رأت سمية ذلك فاض دمعها وتحدر وامسكت السوط بيدها فدفعها شداد في صدرها واراد ان يضربها . فالقت نفسها على عنتر فجذبها فوقع الرداء عن رأسها وبقيت مكشوفة الرأس منزعجة الحواس وقالت : والله ما امكنك من ضربهِ حتى تضربني قبلهُ . فرمى السوط من يدهِ وقال : ويلك يا سمية تهتكين نفسك لاجل هذا العبد ولا تدعيني اصل اليهِ وقد كنتِ قبلاً تحرضينني عليهِ فما الذي اوجب هذه المحبة . فخجلت سمية وانشدت تقول :

حاشا لربة بيتٍ منك صالحةٍ ... كفت يديك فعادت منك بالخجلِ
تنزه العبد عن امرٍ عنيت بهِ ... حاشا لعنتر من شينٍ ومن زللِ
هذا الشجاع الذي عاينت مشهدهُ ... يوم النزال كمثل الضيغم البطلِ
لولاه ما كان في الاحياء من رجلٍ ... يخلص المال من اعداك بالعجلِ
لما اتتنا خيول القوم غائرةً ... من آل قحطان مثل العارض الهطلِ
اجارنا وحمانا بعد ما ملكت ... منا البنات ونجانا من الوجلِ
فخلهِ فهو ليثٌ في عزيمتهِ ... يحمي الحريم ولا يخشى من الاجلِ
ليث الحروب ونار الحرب موقدةٌ ... يلقى الرجال بقلبٍ قدَّ مذ جبلِ
هذا الهزبرُ الذي عاينت مشهدهُ ... عند اختلاف القنا والطعن بالاسلِ
لولاه قد كانت الاعداء مالكة ... رقابنا وتشتتنا من الحللِ

ثم قالت له : لقد هاجمنا بنو قحطان فسبوا نسائنا وكادوا ان يقتلونا لولا عنترة البطل الهمام افيجمل في شرع المروءة ان نعامله على ما فعل بهذه المعاملة القاسية ثم انشدت

شداد لو ترني والوجه مكشوفُ ... وثقل ردفي وراء القوم مردوفُ
وعبلة اردفوها من ورا بطل ... ودمعها سائلٌ في الخد مذروفُ
نساء عبسٍ حيارى لا سبيل لها ... قناعهنّ عن الوجناتِ مكشوفُ
حتى العبيد الاولى من حولهم هربوا ... وكل عبدٍ تولىّ وهو ملهوفُ
فخاضها عنترٌ والشوس ثائرة ... وافقها بغبار الحرب ملفوفُ
وصاننا وحمانا بعد غربتنا ... مع الرجال وعرض الكل مقذوفُ

فرق قلبهُ لعنتر وفكهُ من الوثاق وقد عجب من كتمانهِ ذلك وانقيادهِ الى الكتاف ثم اعتذر له واطلقهُ

عنترة بن شدّاد عند كسرى

كان عنترة بن شداد عند كسرى انوشروان وكان مكرّمًا عنده فحسد بعضهم وهمّ بقتلهِ . فلما بلغ كسرى ذلك غضب وامر بقتل ذاك الرجل وقال لمن حولهُ : ان هذا يفدى بالوفٍ من البشر ويستحق ان يكرم ويعتبر . فامتثل عنترة بين يديهِ وقال : مولاي بالله لا تفعل فان احسانك قد سبق والعفو بمثلك اليق وانا قد عزمت على الرحيل وما اشتهي ان يذكرني احدًا الاّ بالجميل . فعجب كسرى من حسن ادبهِ وبش في وجههِ ثم عفا عن الرجل . وبعد قليل دخل كسرى الى بستان حافلٍ بالاشجار مزدانٍ باحاسن الازهار فنصب لهُ فيهِ خيمة فجلس وعنترة الى جانبهِ وقد قدم لهم الشراب وجهزت الاطعمة . فنهض المنذر وقال . انشدنا يا ابا الفوارس شيئًا من الشعر فانشد

يا ايها الملك الذي راحاتهُ ... قامت مقام الغيث في ازمانهِ
يا قبلة القصادِ يا تاج العلى ... يا بدر هذا العصر في كيوانهِ
يا مخجلاً ضوءَ السماء بجودهِ ... يا منقذ المحزون من احزانهِ
المظهر الانصافَ في ايامهِ ... بخصالهِ والعدلَ في بلدانهِ

يا ساكنين ديار عبسٍ انني ... لا قيت من كسرى ومن احسانهِ
ما ليس يوصف او يقدر او يفي ... اوصافهُ احدٌ بوصف لسانهِ
ملكٌ حوى رتب المعالي كلها ... بسموّ مجدٍ حلّ في ايوانهِ
مولىً بهِ شرف الزمان واهلهُ ... والدهر نال الفخر من تيجانهِ
فغدوت في ربع خصيبٍ عندهُ ... متنزهًا فيهِ وفي بستانهِ
ونظرت بركتهُ تفيض وماؤها ... يحكي مواهبهُ وجود بنانهِ
في مربعٍ جمع الربيع بربعهِ ... في كل فنٍّ لاح في افنانهِ
وطيورهُ من كل نوع انشدت ... جهرًا بانّ الدهر طوع عنانهِ
ملكٌ اذا ما جال في يوم اللقا ... وقف العدوّ محيرًا في شانهِ
والنصر من جلسائهِ دون الورى ... والسعد والاقبال من اعوانهِ
فلاشكرنّ صنيعهُ بين الورى ... واطاعن الفرسان في ميدانهِ

فطرب كسرى ومن حضر . وقال لهُ المنذر : حياك الله يا شاعر العرب ما ارق شعرك واعذب . ولما اراد عنترة الرحيل قال لهُ وكسرى : لو اعطيك يا عنتر على كل بيت الف دينار لكان قليلاً في مقابلة ابياتك الحسان . لان العطايا تنفد ومدحك يبقى على طول الزمان . فاطلب ما شئت واطلق في ميدان الطلب لسانك . فشكرهُ عنتر وقال : لقد كفيت ايها الملك بجودك عن طلب المال . ولكن اذا تلطف الملك وتكرم انطلق لسان العبد وتكلم . فاني قد بلغت باحسانك هذه الرتب العليا ولا اعود الاّ بما افتخر بهِ على الغير وازين بهِ ابنة عمي عبلة بنت مالك فأمر لهُ كسرى بتاجٍ من الذهب وجواهر كريمة وحلى

عنترة والاسد عند كسرى

لما أسر كسرى عنترة في احد حروبهِ واشار عليهِ الوزير بقتلهِ أمر ان يؤتى لهُ بأسد كان قد ذخره لمثل هذه الحال . وبينما كان عنتر ينتظر ذاك الاسد واذا بهِ قد اقبل رافلاً بالزناجير ومن حولهُ رجال كثيرة تقوده اليهِ . فهجم عليهِ عنتر مشهرًا الحسام وانشد يقول :

يا ليث احذر ان تكون جزوعا ... واجل عليّ فلست منك مروعا

اقبل اليّ فانني لا اثني عن قتل مثلك او اكون هلوعا
ان كنت تزعم ان وجهك عابسٌ فانا العبوس ولا اكون شنيعا
اليوم تضحى في النلات مجندلا وتخرُّ في هذا المكان سريعا

وما زال يحاوله حتى استمكن منهُ فاهوى عليهِ بسيفهِ فخرَّ صريعًا . فعجب كسرى من شجاعتهِ وقبلهُ بين عينيهِ ثم اطلقهُ وأمر لهُ باحسن الهدايا واجمل التحف

عنترة بن شداد وسمية

مر عنترة يومًا بارض بني غيلان وقد اشتد الحرُّ وسطعت الشمس فعكف على شجرة يستظلُّ بها مع اخيهِ شيبوب . فما لبث ان سمع انين حزن وقائلاً يقول : « قاتلك الله يا ما لك ما اقساك » ثم سمع صوتًا اقوى ورجلاً يترنم بهذه الابيات :

يا امّ داوي كبدي بالماء من حرِّ الظما
وابكي عليَّ انني قد ملَّ جسمي السقما
قد كان دمعي منجدي واليوم قد صار دما
وزاد جسمي سقما وذاب قلبي المـا
حمامة الوادي اهتفي وساعدي المتيما
نوحي عليَّ واصنعي على بلائي مأتما
بحرمة العهد الذي حفظت فيهِ الذمما
ان سألتك عبلة قولي لها قد عدما
واليوم يقضي نحبهُ شوقًا الى ذاك الحمى
يا عبلَ ما خلى الهوى من رسم جسمي علما
والجسم مني قد وهى والصبر مني انصرما
لما رأيت عبلةً مسبيةً سبي الاما
لكن بهذا قد قضى في حكمهِ ربُّ السما

فلما سمع عنترة ذلك ظن نفسهُ في حلم ومال الى الصوت ميل الآسف الحنون فرأى بجانب نهر امة سوداء بين يديها غلام شاب تارةً يغمض عينيهِ وطورًا يشير بيدهِ والامة قاعدة الى جانبهِ تبكي وتقبل وجههُ حزنًا وحنانًا فدنا منها عنتر وقال

يا امة الله ما بال هذا الفتى خامد الانفاس لايسمع مقالاً ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً . فقالت له الامة والله يا وجه العرب ما كانت هذه حالهُ وانما الايام تأتي بالعجب . فقال ومن يكون هذا الفتى . قالت عنتر واسم امهِ زبيبة وبينما كان يوماً يرعى الجمال اذ رأى فتاة حسناء تدعى عبلة فوقع حبهُ في قلبها . فهجم على احيائها يوماً الامير يقظان بن جياش بن مزاحم فقتل اهلها واخذها سبية لهُ وهو مقيم في ذاك السواري وغادر هذا المسكين هائماً حزيناً لايعرف هداه ولا يرى لهُ ناصراً على اعداه . فعجب عنترة من ذي المشابهة وتوارد الاسماء والحوادث ووعدها خيراً ومضى نحو ذاك الفارس واذا بهِ يشرب الخمر والجارية لديهِ تبكي وتنتحب وقد هممت ان تلقي نفسها حزناً الى الارض وهي تصيح باعلى صوتها « لن تنال ايها النذل مني منالاً . فوالله لاخنت ابن عمي عنترة ولو قطعتني اربًا »

فلما سمع عنتر كلامها خيل لهُ ان عبلة تنادبهِ من فمها فهجم عليهِ هجمة الاسد وقتلهُ شرَّ قتلة وانقذ الفتاة من شرهِ وردها الى حبيبها

مارية ام الحارث وحسان بن ثابت

قال حسان بن ثابت الشاعر يمدح مارية وآل جفنة بهذه الابيات

لله درُّ عصابة نادمتهم ... يوماً بجلق في الزمان الاولِ
اولاد جفنة حول قبر ابيهم ... قبر ابن مارية المعز المخولِ
يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسلِ
بيض الوجوه كريمة احسابهم ... شم الانوف من الطراز الاولِ
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لايسألون عن السواد المقبلِ

عفو عمرو بن الحارث

حارب عمرو بن الحارث قوماً من العرب وسبى نسائهم واولادهم وكان من جملة من سبى اخت عمرو بن الصعق العدواني فلم يشعر الاَّ واخوها قد وقف بهِ وانشد :

يا ايها الملك المهيب اما ترى ... صبحًا وليلاً كيف يختلفانِ

هل تستطيع الشمس ان يؤتى بها ليلاً وهل لك بالصباح يدان
فاعلم وايقن ان ملكك زائلٌ وكما تدين تدان عقد رهان

فوقعت هذه الابيات في قلبهِ وقال لهُ . أمنك الله على من لك عندي وامن كل الناس على من وقع لهم من السبايا وجنح عن عزمهِ

عروة بن الورد

ويلقب ايضاً بعروة الصعاليك لانهُ كان يعول الضعيف والمريض في دياره ويقضي حوائجهم ومن قولهِ في المعروف

ومكروب كشفت العار عنهُ بضربة صارمٍ لما دعاني
وقلت لهُ اتاك اتاك فانهض شجاع حين ينهض غير واني
فما انا عند هيجا كل يوم بمسلوبِ الفؤاد ولا جباني
يصافينا الكريم اذا التقينا ويبغضني اللئيم اذا رآني

زهير وبنو عامر

لما بلغ زهير خبر قتل ابنهِ شاس في احياء بني عامر زحف بعسكر جرار لمحاربتهم واخذ الثار . فلما بلغوا ديارهم تقدم الى الملك زهير ملاعب الاسنة غشم بن مالك امير بني عامر وقال : ايها الملك فيم اتيت ارضنا فان كنت زائراً فعلى الرحب والسعة . وان جئت متصيداً فاهلاً وسهلاً بك . فقال زهير لا والله ما جئتكم زائراً ولا متصيداً انما جئت لاخذ الثار ممن قتلوا ولدي شاساً . قال وما الذي غير ما بيننا من الوداد . قال قتل شاس ولدي في احيائكم . قال غشم ومن قتل ولدك واحرق عليهِ كبدك ومن اعلمك بذلك الخبر . قال عبد سالم بن مسهر . قال وهل تريد ان تأخذ البريء بالسقيم وتصدق فينا قول عبد زنيم . ولو فرضنا انهُ صادق فكم يجوز ارضنا ليلاً من سلاّل وسارق وربما ادرك ولدك رجل غريب ففعل بهِ مافعل ولم يخش محذوراً . فان شئت ان نعاملنا بالجفاء بعد الوداد والصفاء فمعاذ الله ان نغير ما بيننا وبينك من المحبة والوفاء فكن بنا متلطفاً وارحم الارامل والضعفاء . فلما سمع الملك زهير قولهُ رق لهم وعنا عنهم خوفاً من عاقبة البغي وعاد على اعقابهِ

الجود والاجواد

قيل لاعرابي : ما القرى . فقال نار يعلو شرفها وخيمة بوطأ كنفها . وقيل تلقى النزيل بالوجه الجميل . وقال الله تعالى في مدح قوم . « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً » وقال النبي (صلعم) . اذا نزل الضيف بقوم نزل برزقه واذا ارتحل عنهم ارتحل بذنوبهم . وقيل لبعضهم ما الكرم . فقال طعام مبذول ونائل موصول ووفاء لا يحول . وقال الامام علي . لان اخبز صاعاً او صاعين فادعو اليه نفر من اخواني احب اليَّ من ان اعتق رقبة . وقال الواثق يوماً لاحمد بن ابي داود تضجراً لكثرة حوائجه . قد خلت بيوت المال لطلباتك للائذين لك والمتوسلين اليك . فقال يا امير المؤمنين هي نتائج شكرها متصل بك وذخائر اجرها مكتوب لك ومالي من ذلك الاَّ ان اخلد المدح فيك . فقال احسنت وشفعه . وقيل للاحنف ما السخاء . قال الاحتيال للمعروف . قيل فما اللؤم قال الاستقصاء على الملهوف . وقيل السخي من كان بمالهِ متبرعاً وعن مال غيره متورعاً . وقيل للصوفي من الجواد من الناس . فقال الذي يؤدي ما افترض عليهِ . وقيل للحسن . من السخي . فقال من لو كانت الدنيا له فانفقها لرأى عليهِ بعد ذلك حقوقاً . وقال بعضهم الناس اربعة . (١) جوادٌ وهو الذي يعطي حظ دنياه وآخرته . (٢) بخيل وهو الذي لا يعطي واحداً منها . (٣) مسرف وهو الذي جعل مالهِ لدنياه . (٤) مقتصد وهو الذي اعطى كلاً بقدرهِ . وقال الله تعالى « وما تفعلوا من خير يعلمهُ الله » . وقال النبي (صلعم) . اهل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة . وقال . السخاء شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدلية في الدنيا فمن اخذ بغصن من اغصانها اداه الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار فمن اخذ بغصنٍ من اغصانها اداه الى النار . وقال ابن عباس . صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد متكأ . وقيل لاحد الحكماء . ما الذي يشبه فعل الله من افعال العباد فقال الاحسان الى الناس . وقال النبي (صلعم) . تجافوا عن ذنب السخي فان الله تعالى آخذ بيدهِ . وقال . سادة الدنيا في الدنيا الاسخياء وفي الآخرة الاتقياء . وقيل . من بذل الدراهم احبه الناس طوعاً او كرهاً . وقيل لحكيم . هل شيء خير من الدراهم . قال معطيها . وقيل للحسن كيف نزلت بالاطراف . فقال هي منازل

الاشراف يتناولون من ارادوا بالقدرة عليهِ ويتناولهم من ارادهم بالحاجة اليهم . وقيل لبعض من اتخذ دعوة اسرفت . فقال ليس في الشرف اسراف . وقال المزني : اذا اتاك ضيف فلا تدعهُ ينتظر ما ليس عندك وتمنعهُ ما هو عندك بل قدم اليهِ واحضر . وقيل : الضيف الى القليل العاجل احوج منهُ الى الكثير الآجل . وقال النبي (صلعم) لبعض نسائهِ : آكلي ضيفك فالضيف يستحي ان يأكل وحده . وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفهُ . ونزل ضيف بجعفر بن ابي طالب متنكرًا . فعاونهُ غلمانهُ عند نزولهِ . فلما اراد الارتحال لم يعنهُ غلامٌ فشكاهم فقال ان غلماننا لايعينون على الارتحال عنا . وقال ابن عون : ما رأيت اسخى بالطعام من الحسن وابن سيرين لان الحسن يقول : الطعام اهون من ان يحلف عليهِ وابن سيرين يقول : اقسمت لتأكلن . وقال ابن عباس : ما من داخل الا ولهُ حيرة فابدؤهُ بالسلام . وما من مدعوٍّ الى طعام الاَّ ولهُ حشمة فابدؤهُ بالملاطفة . وقيل محادثة الاخوان تزيد لذة الضيف الآكل . وقال النبي (صلعم) شركم من اكل وحده وضرب عبده ومنع رفده . قيل لاعرابي : ممن انت . قال ممن لايزجر وفودهم ولا يسر وقودهم . وسئل آخر . فقال : ممن يهتدي برأيهِ الصعب ويستدلُّ بنارهِ الركب . وقال احدهم يصيف قومًا كرامًا : لهم نار وارية الزناد قديمة الولاد تضيء لها البلاد ويجيء بها العباد . قال الاصمعي لبعض الاعراب : ما تعرفون من مكارم الاخلاق قال تضيء نارنا للضيف ولا تنبح كلابنا ونقريه وجوهنا قبل طعامنا . قال النبي (صلعم) من كان عليهِ يد فليكافئ عليها فان لم يفعل فليثنين عليهِ فان لم يفعل فقد كفر النعمة . وقال البحتري

بزيد تفضلاً وازيد شكرًا وذلك دابهُ ابدًا وداْبي

ولبعض الادباء :

لأملأنَّ لسان الشكر فيك فقد اطلقتهُ بفعال ملؤها كرم

بعث المنصور الى شيخٍ من بطانة هشام فاستحضرهُ وسألهُ عن تدبير هشام واحوالهِ فأقبل الشيخ يقول : فعل رحمهُ الله وقال يوم كذا رحمهُ الله . فقال المنصور . قم لعنك الله انطاء بساطي وتترحم على عدوي . فقال الشيخ ان نعمة عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها ممر الايام . فقال المنصور : ارجع الى حديثك فاني اشهد انك

غرس شريف وابن حرة كريم واجازه

لما قتل مسلمة بن عبد الملك يزيد بن المهلب امر بان يحضر الشعراء ليقولوا في ذلك . فلم يألوا ان ذكروه باقبح ما قدروا عليهِ ما خلا رجلاً من بني دارم فانهُ قال : لااذم رجلاً لا املك ربعاً ولا مالاً ولا اثاثاً الاَّ منهُ ولو قطعت اربًا اربًا ولقد رثيتهُ باحسن ما يرثي بهِ رجل وانشد الابيات . فجزاه سليمان خيرًا وقال : اذا اصطنع فليصطنع مثل هذا

وقال احدهم يمدح كريمًا اجازه

فان يك اربى عفو شكرك عن يدي ... اناس فقد اربى نداه على شكري

وقد اجاد ابو نواس في هذا المعنى

انت امرؤٌ جللتني نعماً ... اوهت قوى شكري فقد ضعفا

لاتسدين اليَّ عارفةً ... حتى اقوم بشكر ما سلفا

وقد ابدع البحتري في قولهِ

اخجلتني بندى يديك وسودت ... ما بيننا تلك اليد البيضاء

وقطعتني بالجود حتى انني ... متخوف ان لا يكون لقاء

وقال ايضًا ابا الفضل شكري منك في نصب ... اقصر فما لي في جدواك من ارب

لا افبل الدهر نيلاً لا يقوم لهُ ... شكري ولو كان مسديهِ اليَّ ابي

وقال الشمردلي يمدح كريمًا

اياديك لا تخفى مواقع صوبها ... فتعفو اذا ما ضيع الحمد والشكرُ

وهل تستطيع الارض من بعد ما انطوت ... على ريها انكار ما فعل القطرُ

وقال آخر

هب الروض لا يثني على الغيث نشره ... امنظره تخفي مآثر احسانا

ولغيره : لا يقبلون الشكر ما لم ينعموا ... نعماً يكون لها الثناء تبيعا

وللسموأل : تعيرنا انا قليل عديدنا ... فقلت لها ان الكرام قليلُ

وما ضرنا انا قليل وجارنا ... عزيز وجار الاكثرين ذليلُ

ولآخر فما بلغت ايدي المنيلين بسطةً ... من الطول الاَّ بسطة الشكر اطولُ

ولا رجحت في الوزن يومًا صنيعة ... على المرءِ الاَّ منة الشكر اثقلُ

لما جعل ابن الزيات في التنور قال له خادمه : يا سيدي قد صرت الى ماصرت وليس لك حامد . قال وما نفع البرامكة . قال ذكرك لهم الساعة . فقال صدقت . وقال اشجع يمدح قوماً كراماً

مدحناهم فلم ندرك بمدحٍ ما آثرهم ولم نترك مقالا

وقال ابن الحجاج الشاعر

هو البحر ان حدثت عن معجزاتهِ ضعفت عن استغراق تلك العجائب
وان رام شعري ان يحيط بوصفهِ احاط بشعري العجز من كل جانب

وقال نصيب الاصغر يمدح الفضل بن يحيى

ما لقينا من جود فضل بن يحيى ترك الناس كلهم شعراء

وقيل لذي الرمة . لمَ خصصت ملالاً بمدحك . قال لانهُ وطأ منجعي واكرم مجلسي فاستولى بذلك على شكري ومدحي

وقال احدهم يمدح كريماً

ان جدَّ معنىً فمن جدواه معتصرٌ او جلَّ لفظٌ فمن علياه مهتصرُ

وانشد المتنبي

واصبح شعري منهما في مكانهِ وفي عنق الحسناء يستحسن العقدُ

وذكر اعرابي رجلاً كريماً فقال . كأن الالسن والقلوب ربطت لهُ فما تعقد الاَّ على وده ولا تنطق الاَّ بحمده . وغاية المدح ان يمدحك من لا معرفة لهُ بك ضرورة الى مدحك وان يسلفك حسن الثناء من عسى ان لايصل منك الى نفع

وقال ابن ابي طاهر

وما انا في مدحي علياً بواحدٍ ولكنهُ في الفضل والجود واحدُ

ولابن الرومي

اذا امتدحوالم يخلو مجد غيرهم وهل يخل الاطواق ورق الحمائم

ولهُ ايضاً :انت زنت القلائد الزهر قدماً ضعف ما زانت القلائد جيدك

وانشد عمارة بن عقيل يمدح خالداً

ارى الناس طرَّاً حامدين لخالدٍ وما كلهم افضت اليهِ صنائعهُ
ولن يترك الاقوام ان يحمدوا الفتى اذا كرمت اعراقهُ وطبائعهُ

قال بعض الاكابر لابي هفان · مالك لا تمدحني فقال

لسان الشكر تنطقهُ العطايا ويخرس عند منقطع النوال

وسئل رجل عن بعض الاكابر · فقال اما ترى ازدحام الناس على بابهِ وكثرة قصادهِ وطلابهِ · وقال الشاعر

يزدحم الناس على بابهِ والمنهل العذب كثير الزحام

وقال اعرابي : قصدت فلانًا فوجدت بابهُ كعرصة المحشر يهوي اليهِ كل معشر فداره مجمع العفاة ومربع المكرمات حاضرة الجود والحسب وهب

دخل رجل على ابان بن الوليد فقال : اصلح الله الامير احفيت اليك الركاب وقطعت الهضاب واخلقت الثياب · فقال ابان · ما دعاك الى ذلك اقرابة ام جوار ام عشرة متقدمة ام صلة سابقة فقال لم يكن من ذلك شيء ولكني سمعت الناس ينشدون بيتًا قلتهُ فيك فعلمت فيك خيرًا وهو

وما شيمَ لي برق وان كان نازحًا فيخلف اذ بعض البوارق خلبُ

فامر لهُ بجمال ومال

وانشد بشار بن برد يمدح كريمًا

دعاني الى عمر جوده وقول العشيرة بحر خضم

ولولا الذي خبروا لم يكن لاحمد ريحانة قبل شم

وانشد الموسوي

دعاني اليك العزُّ حتى اجبتهُ ومن طلبتهُ جمة الماء اوردا

ولآخر : بلغت مرادي واطمأنت بي النوى وقال لي الورّاد اعشبت فانزل

وقال ابو النواس

تقول التي من بينها خف مركبي عزيز علينا ان نراك تسيرُ

اما دون مصر للفتى متطلبٌ بلى ان اسباب الغنى لكثيرُ

ذريني اكثر حاسديك برحلةٍ الى بلدٍ فيهِ الخصيبُ اميرُ

فتى يشتري حسن الثناء بمالهِ ويعلم ان الدائرات تدورُ

فما جازهُ جودٌ ولا حلَّ دونهُ ولكن يسيرُ الجود حيث يسيرُ

وقال آخر يمدح اميرًا

واذا المطيُّ بنا بلغنَ محمدًا فظهورهنَّ على الرجال حرامُ
قربننا من خير من وطئ الثرى فلها علينا حرمة وزمامُ

وقال المتنبي يمدح كافورًا ويثني على كرمهِ

قواصد كافورٍ توارك غيرهِ ومن ورد البحر استقلَّ السواقيا
فجاءت بهِ انسان عين زمانهِ وخلت بياضًا خلفها واماقيا

وانشد ابن الرومي

اريد مكانًا من كريم يصونني والاَّ فلي رزق بكل مكانِ

حصلت في عهد هشام مجاعة عظيمة . فدخل اليهِ وجوه الناس من الاحياء وفي جملتهم درواس بن حبيب العجلي وعليهِ جبة صوف مشتمل عليها بشملة قد اشتمل بها الصماء . فنظر هشام الى صاحبهِ نظرة لائم في دخول درواس اليهِ وقال : ايدخل عليَّ كل من اراد الدخول . وكان درواس مفوهًا فعلم انهُ عناه فقال درواس : يا امير المؤمنين ما اخل لك دخولي عليك ولقد شرفني ورفع قدري تمكني من مجلسك . وقد رأيت الناس دخلوا لامرٍ احجموا عنهُ فان اذنت في الكلام تكلمت . فقال هشام لله درك تكلم فما رأى صاحب القوم غيرك . فقال يا امير المؤمنين تتابعت علينا سنون ثلاث اما الاولى فاذابت الشحم واما الثانية فاكلت اللحم واما الثالثة فانتقت المخ ومصت العظم ولله في ايديكم اموال فان تكن لله فاعطفوا بها على عباد الله وان تكن لهم فعلامَ تحجبونها عنهم وان تكن لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين ولا يضيع اجر المحسنين . فقال هشام لله انت ما تركت واحدة من ثلاث . وامر بمائة الف دينار فقسمت في الناس . وامر لدرواس بمائة الف درهم . فقال يا امير المؤمنين أَلكل رجل من المسلمين مثلها . قال لا ولا يقوم بذلك بيت المال . فقال لا حاجة لي فيما ببعث على ذمك . فلما عاد الى دارهِ امر بذلك فبعث اليهِ فقسم تسعين الف درهم في تسعة من احياء العرب وابقى عشرة آلاف درهم فبلغ ذلك هشامًا فقال : لله دره ان صنيعة مثلهِ تبعث على الاصطناع

وقال ابن الرومي مفتخرًا

زني الناس حتى تعرفي عند وزنهم اذا رفع الميزان كيف اميلُ

وانشد جرير الشاعر

اذا سرّكم ان تمسحوا وجه سابقٍ جوادٍ فمدوا وابسطوا من عنانيا
ألا لا تخافا نبوتي في ملمةٍ وخافا المنايا ان تفوتكما بيا

قال اعرابي : اشد الاشياء مؤونة اخفاء الفاقة واشد من ذلك السؤال الى من يجبرها . وقال خالد بن صفوان . اشد من فوت الحاجة طلبها الى غير اهلها وقال الاعشى

حسب الكريم مذلة ونقيصة ان لا يزال الى لئيم يرغبُ

وقال آخر واني لارثي للكريم اذا غدا على حاجة عند اللئيم يطالبه

وقيل السؤال وان قلّ ثمرة لكل نوال وان جل وقال الشاعر

ما اعتاض باذل وجههِ بسؤالهِ عوضًا وان نال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال قرنتهُ رجح السؤال وخف كل نوال

وكان يجري على ابي العيناء رزق فتأخر عنهُ فتقاضاهُ مرارًا ثم تركهُ وقال . لا حاجة لي فيهِ فهو رقٌ لا رزقٌ وبلاءٌ لا عطاءٌ ومحنة لا منحة

وقال الشاعر

واذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً فابذلهُ للمتكرم المفضال

قال النبي (صلعم) اعتمد لحوائجك الصباح الوجوه فان حسن الصورة اول نعمة تنالك من الرجل . كلم اعرابي خالد بن عبدالله وتلجلج في كلامهِ فقال لا تلهني على الاختلاط فان معي ذل الحاجة ومعك عز الاستغناء . وقال سعيد بن العاص موطنان لا اعتذر من العي فيهما اذا سألت حاجةً لنفسي واذا كلمت جاهلاً . وسار الفضيل بن الربيع الى ابي عباد في نكبة يسألهُ حاجة فارتج عليهِ — فقال لهُ . يا ابا العباس بهذا اللسان خدمت خليفتين . فقال انّا نعودنا ان نسئل لا ان نسأل وانشد ابن الرومي

نذكر بالرقاع اذا نسينا ونذكر حين تمطلنا الكرامُ
فان الام لم ترضع صبياً مع الاشفاق لوسكت الغلامُ

قال الامام عمر بن الخطاب . اذا سألتمونا حاجةً فعاودونا فيها فانما سميت القلوب لتقلبها . وانشد بشار بن برد

هززتك لا اني وجدتك ناسيًا لامري ولا اني اردت التقاضيا

ولكن رأيت السيف من بعد سلهِ الى المرّ محتاجًا وان كان ماضيا

تواطأ ابو دلامة مع ام دلامة على ان يأتي هو المهدي فيمنعها وتأتي على الخيزران فتمنعهِ . فأتى ابو دلامة المهدي وهو يبكي وانشد

وكنا كروجٍ من قطافي مفازةٍ لدى خفض عيشٍ مورقٍ ناضرٍ رغدِ

فافردنا ريب الزمان بطرفهِ ولم نرَ شيئًا قط اوحش من فردِ

فقال لهُ ما بالك . فقال ماتت ام دلامة واني احتاج الى تجهيزها فدفع لهُ مالاً . واتت ام دلامة الخيزران وقالت . ان ابا دلامة مضى لسبيلهِ . فاغتمت وامرت لها بمال واعطتها ثيابًا وطيبًا . ولما دخل المهدي على الخيزران قالت لهُ . يا امير المؤمنين ان ابا دلامة مضى لسبيلهِ ابقى الله امير المؤمنين وام دلامة كانت عندي الساعة فاعطيتها التجهيز لزوجها . فقال المهدي ان ام دلامة مضت لسبيلها وكان عندي ابو دلامة الساعة واعطيتهُ نفقة تجهيزها . فعجبا ولم يصدقا حتى ذهبا اليهما فنظر المهدي فاذا بهما طريحين في ارض الدار فقال . لابد ان ام دلامة ماتت قبل زوجها . قالت بل ابو دلامة يا امير المؤمنين . قال وكيف ذلك وقد رأيتهُ الساعة . فلما اشتد الخصام قال المهدي . اقسم بشرفي ان لمن اطلعني على الحقيقة خمسة آلاف درهم . فنهض ابو دلامة وقال . ام دلامة ماتت قبلي يا امير المؤمنين . فضحك المهدي ودفع اليهِ المال

كان لابي الاسود جبة خز قد تقطعت فقال لهُ معاوية . ما تمل لبسها . فقال رب مملول لا يستطاع فراقهُ . فامر لهُ بمال

قصد ابو الحسن الوراق سيف الدولة في جملة الشعراء فناولهُ درجًا يوهم انهُ شعر لهُ فنشره سيف الدولة فقال ليس فيهِ شيء مكتوب فقال سيدي يكتب فيهِ لعبدهِ . فضحك وامر لهُ بمال

قسم عبدالله بن عبيد مالاً بين بنيهِ . فقال لهُ عبد صغير . اعطني اولاً . فقال لهُ ولم . قال لان الله تعالى يقول « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فبدأ بالمال وانا مالك . فاعطاه وقدمهُ

وسأل اعرابي عبدالملك . فقال لهُ سل الله . فقال سالتهُ فاحالني عليك . فضحك منهُ واعطاه

وقال الشاعر

واذا طلبتَ الى كريم حاجة فلقاؤه يكفيك والتسليم
واذا رآك مسلماً عرف الذي حملتهُ وكانهُ ملزومُ

قال شريح . من سأل حاجة فقد عرض نفسهُ على الرق فان قضاها المسئول استعبده بها وان رده رجع حرًّا وهما ذليلان هذا بذل اللؤم وهذا بذل السؤال . وقال سعيد بن العاص . ما رددت احداً عن حاجة الاَّ تبينت العز في قفاه والذل في وجهي . وادخل ابن السماك رجلاً الى الفضل بن الربيع فقال . ان هذا يذل لك ماء وجههِ فاكرم وجهك عن رده . وانشد ابو تمام

ما ماء كفك ان جادت وان بخلت من ماء وجهي اذا افنيتهُ عوضُ

وقيل العجب لمن يشتري العبيد بالاموال ولا يشتري الاحرار بالنوال والافضال . وقيل ليس للاحرار ثمن الاَّ الاكرام فاكرمهم تملكهم

وسئل خالد بن يزيد ما الجود . قال ان تعطي من سألك . فقال ابنهُ يا ابتِ هذا هو كد المسئلة انما الجود ان تعطي من سألك ومن لم يسالك

وقال محمد بن ابي عمران

أجرني من ذلِّ السؤال واعفني فكل عزيز في السؤال ذليلُ

وقيل اهنأُ المعروف عاجلهُ . وقال احدهم . اذا اوليتني نعمة فعجلها فان النفس مولعة بحب العاجل . وقال مروان بن ابي حفصة

فما نحن نخشى ان يخيب دعاؤنا لديك ولكن اهنأُ الجود عاجلهُ

اقام احدهم بباب ملك مدةً فلم يحظ منهُ بشيءٍ فكتب اربعة اسطر في رقعة . الاول . « الامل والضرورة اقدماني عليك » . الثاني . « ليس على العدم صبر » الثالث . « الرجوع بلا فائدة شماتة الاعداء » . والرابع . « إما (نعم) مثمرة واما (لا) مئيسة » . فكتب تحت كل سطر يعطى لكلٍّ منها اربعة آلاف درهم

وانشد المتنبي

ابا المسك هل في الكاس فضل انا لهُ فاني اغني منذ حينٍ وتشربُ
وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلبُ
اذا لم تنط بي ضيعة او ولايةً فجودك يكسوني وشغلك يسلبُ

ومدح المتنبي كريمًا قد نأى عنهُ فقال :

فان فارقتني امطارهُ فأكثر غدرانها قد نضب

وقال ابن الحجاج في كريم سألهُ :

نفسي تقي نفسك ما تشتكي لمثل هذا اليوم اعددتكا

فاجرِ على العادة في برّ من يجري على العادة في شكركا

وفد احد الشعراء على امير من العرب فلم يلتفت اليهِ فأنشد :

ماذا اقول اذا انصرفت وقيل لي ما ذا افدت من الجواد المفضلِ

فاختر لنفسك ما اقول فانني لابد مخبرهم وان لم أُسئلِ

فضحك الامير واجازه

قال اعرابي لمعاوية اقمني على البصرة . قال ما اريد بعاملها بدلاً قال اقطعني البحرين . قال ما لي الى ذلك سبيل . قال فمر لي بالف درهم . فأمر لهُ . فقيل لهُ قد بالغت اولاً ثم انحططت . فقال لولا طلبي كثيرًا ما اعطاني قليلاً

قال خالد بن عبد الله لاعرابي قال فيهِ :

اخالد بين الاجر والحمد حاجتي فايهما تأتي وانت جوادُ

سل ما بدا لك . فقال مائة الف درهم . قال اسرفت . قال الف درهم . فقال خالد لا ادري امن اسرافك التعجب ام من حطك . فقال اني سألتك على قدرك فلما أبيت سألت على قدري . فقال اذًا والله لانغلبني على معروفي . ودفع اليهِ ما طلب

قال عبد الله بن جعفر : لا تستحي من اعطاء القليل فان المنع اقل منهُ

مدح مطيع بن اياس معن بن زائدة فقال لهُ ان شئت اجزناك وان شئت مدحناك . فاستحيى مطيع ان يختار الثواب وكره العدول الى المدح فقال

ثنائي من امير خير كسبٍ لصاحب مغنمٍ واخي ثراءِ

ولكن الزمان اطال دائي وما مثل الدراهمِ من دواءِ

فضحك معن واجازهُ

قال بعض الخلفاء لسائل احنكم . فقال يد امير المؤمنين ابسط من لساني بالمسئلة . فاجزل لهُ العطية

دخل اشعري على الرشيد وسأله . فقال احنكم . فقال اشعري يحنكم بعد ابي موسى . فضحك منهُ واجازهُ

دخل اعرابي على بائع تمر بالكوفة فقال

رأيتك في النوم اطعمتني قواصر من تمرك البارحهْ
فقلت لصبياننا ابشروا برؤيا رأيت لكم صالحهْ
قواصر تأتيكم بكرةٍ والاَّ فتأتيكم رائحهْ
فقل لي نعم انها حلوةٌ ودع عنك لا انها مالحهْ

فاعطاه قوصرة تمر وقال . احب ان تتركني من هذه الرؤيا فان رؤيا يوسف صدقت بعد اربعين سنة

قال رجل لابن عباس اتيتك في حاجة صغيرة . فقال هاتها فالحر لا يصغر عن كبير اخيهِ ولا يكبر عن صغير

قيل لبعضهم اي الناس احب اليك . قال من اولاني معروفًا . قيل فان لم يكن . قال من اوليتهُ معروفًا . قال رجل لهشام ان الله تعالى جعل العطاء محبة والمنع مبغضةً فاعني على حبك . قال النبي (صلعم) من اتصلت نعم الله عليهِ كثرت حوائج الناس اليهِ فمن لم يحتمل تلك المؤن عرّض لزوال النعم . قال خالد بن عبد الله حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوا النعم فتتحول نقماً وافضل الاموال ما اكسب اجرًا واورث ذكرًا . قيل لحاتم كيف تجد الجود في قلبك . فقال اني لاجده كما يجده الناس ولكن احمل نفسي على خطط الكرام . وقيل من جاد بمالهِ فقد جاد بنفسهِ وان لم يجد بها فقد جاد بما لا قوام لهُ الاَّ بها

وصف رجل خالد بن عبدالله القسري بالشجاعة . فقال بعض من حضرهُ ان خالدًا لم يلق حربًا قط . فقال الصبر علي السخاء اشد من الصبر في الهيجاء

قال ابن ابي خالد . لا تعدّن نفسك شجاعًا حتى تكون جوادًا فانك ان لم تقوَ على ان تقاتل نفسك على البخل لم تقدر علي عدوّك بالقتل . وقيل السخي شجاع والبخيل شجاع الوجه . وقال ابو تمام

واذا رأيت ابا يزيدٍ في الوغا ويداه تبدي غارةً وتعيدا
ايقنت ان من السماح شجاعة تدمي وان من الشجاعة جودا

قالت امرأة لابنها . اذا رأيت المال مقبلاً فانفق فانهُ يحتمل واذا رأيتهُ مدبرًا فانفق فان ذهابهُ فيما تريد اجدى من ذهابهِ فيما لا تريد

قال وهب بن منبه : اتخذوا عند المساكين سيرًا فان لهم دولة يوم القيامة . كان محمد بن كعب اصاب مالاً فقيل لهُ ادخر لولدك من بعدك . فقال لا والله ادخر لنفسي وادخر ربي لولدي

وقال بشار بن برد في الجود

اخالد ان الجود يبقى لاهلهِ جمالاً ولا تبقي الكنوزُ على الكدِّ

وقال ابن مقبل

وايسر مفقودٍ واهون هالكٍ على الحي من لا يبلغ الحيَّ نائلهُ

قال احدهم : افضل الناس عيشًا من عاشت الناس في فضلهِ

قال المتنبي فيمن لا يكفهُ قول العاذل عن انفاق المال

وما ثناك كلام الناس عن كرمٍ ومن يسد طريق العارضِ الهطلِ

لما مات حاتم الطائي تشبه بهِ اخوهُ فقالت لهُ امهُ . لا تتعبنَّ فيما لا تنالهُ . فقال وما يمنعني وقد كان شقيقي واخي من امي وابي . فقالت اني لما ولدتهُ كنت كلما ارضعتهُ ابى ان يرضع حتى آتيهِ بمن يشاركهُ فيرضع الثدي الآخر وكنتُ اذا ارضعتك ودخل صبي بكيت حتى يخرج قال الشاعر

يلام ابو الفضل في جودهِ وهل يملك البحر ان لا يفيضا

كانت اخت حاتم سخية لا تبقي شيئًا . فحظر عليها اخوتها وحبسوها حتى ذاقت طعم الجوع والفقر . فظنوا انها قد وجدت الم الضيق والفقر فاطلقوها ودفعوا اليها صرَّة . فأتتها سائلة . فقالت دونك الصرة فقد نابني من الجوع مالا امنع بعده سائلاً ابدًا

مدح رجل هشام بن عبدالملك . فقال يا هذا انهُ قد نهي عن مدح الرجل في وجههِ . فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد شكرًا . فقال هشام هذا احسن من المدح فوصلهُ واكرمهُ

قال بعض الاعراب قدم علينا الحكم بن المخزومي ولا مال لنا فاغنانا عن آخرنا . فقلت لهُ كيف . فقال علمنا مكارم الاخلاق فعاد اغنياؤنا على فقرائنا فصرنا كلنا اجوادًا

قال مسلم بن قتيبة اني لأعجز عن مكافأة من رآني لحاجتهِ اهلاً . فقال ابو العطاء . ايها الامير فاجعل فضلك ابتداء حتى ترفع عن نفسك ثقل المكافأة

سئل بعض الادباء عن جعفر بن يحيى بعد ما قتل . فقال تركني مقطوع الآمال زاهداً بعده في طلب الاموال

قال ابن خارجة . لا ارد سائلاً فانما هو كريم اسد خلتهُ او لئيم اشتري عرضي منهُ

كان العباس بن محمد يجري على رجل شيئاً فغضب عليهِ . وكان ابنهُ كتب اطلاقات رُفعت اليهِ فترك اسم المغضوب عليهِ . فقال فابن ذكر رزق فلان . فقال انك قد كنت غضبت عليهِ . فقال يا بني غضبي لا يسقط هبتي ان اباك لا يغضب في النوال

قال الحجاج يومًا قلَّ السائلون . فقال رجل . اصلح الله الامير انك اكثرت خير البيوت فاستغنى الناس بما يصل اليهم عن الترحال . فسر الحجاج وقال بارك الله فيك واحسن اليهِ

مدح رجل كريمًا فقال . كيسهُ محلول ومالهُ مبذول يطعمك نفسهُ ان اكلتها ويسقيك روحهُ ان شربتها

قيل للحسن بن سهل وقد كثر عطاؤهُ على اختلال حالهِ . ليس في السرف خير . فقال ليس في الخير سرف

لما دخل الفضل بن يحيى الرقة قال لوكلائهِ . احصوا منزل من يغنيهِ الف درهم . فاحصوا ثلاثمائة منزل . فوجه اليهم ثلاثمائة الف درهم . ثم وُضع لهُ الطعام فقال ما اكلت طعامًا اهنأ من اليوم وقد علمت اني اغنيت ثلاثمائة الف بيت

دخل هشام بن عروة على المنصور فشكا اليهِ دينًا . فاعطاه عشرة آلاف درهم . فقال يا امير المؤمنين روي عن النبي (صلعم) انهُ قال : من اعطى عطية وهو طيب النفس بورك للمعطي والمعطى منها . افنفسك طيبة بها . قال نعم

فرق علي بن موسى الرضي مالهُ بخراسان كلهُ في يوم عرفة . فقال لهُ الفضل بن سهل ما هذا المغرم . فقال بل هو المغنم . لاعدنَّ مغرمًا ما ابتعت بهِ اجرًا وكرمًا

قال الحسن بن علي لرجل سألهُ شيئًا فلم يمكنهُ : لو امكنني لكان الحظ فيهِ لنا

دونك فانا حرمنا شكرك فلا تحرمنا سعة عذرك

واليك بعض ابيات في مدح الجود والاجواد :

لو ان عين زهير ابصرت حسنًا ... وكيف يصنع في اموالهِ الكرمُ
اذًا لقال زهيرٌ حين يبصرهُ ... هذا جواد على العلات لاهرم
وان جاد قبلك قوم مضوا ... فانك في الكرم الاول
لو ان ما فيهِ من جودٍ يوزعهُ ... على الخلائق عادوا كلهم سحما
كأن فيض يديهِ قبل مسألة ... باب السماء اذا ما بالحيا انفتحا
مطرت انامل راحتيهِ فوائدًا ... هانت علينا بعدها الامطار
اذا القطر لم يغزر علينا سماؤه ... بارض وثقنا من سمائك بالغزر
قوم اذا مطرت سماء نوالهم ... ذم الانام سحائب الامطار
يجود فتستحيي السحاب اذا رأت ... نداهُ وتخطيهِ الغيوث المواطر
اذا انبسطت بالمكرمات اكفهم ... رأيت الحيا من صيبهنَّ قد استحيا
انا الرجل الذي كلتا يديهِ ... يمين في صروف النائبات
فتى شقيت اموالهُ بسماحةٍ ... كما شقيت قيس بارماح تغلب
كأنَّ لهم دينًا عليهِ وما لهم ... سوى جود كفيهِ عليهِ حقوق
ألبستني حلل الغنى فلبستها ... وجعلت آمالي لهنَّ ذيولا
بسطت لهم وجهًا طليقًا الى الندى ... وشرُّ الوجوه ما يعبسهُ البخلُ
وتأخذه عند المكارم هزَّة ... كما اهتزَّ تحت البارح الغصن الرطب
وصنيعةٍ لك قد كتمت جزيلها ... فأبى تضوعها الذي لا يكتم
وريق عودهم ابدًا رطيب ... اذا ما اغبر غيدان اللئام
الجود يعلم اني منذ عاهدني ... ماخفتهُ وقت ميسوري ومعسوري

هانت الدنيا عليهِ ... فهي نهبى في يديهِ
يصبح الجود ويمشي ... عاكفًا في راحتيهِ

وان خليليك السماحة والندى ... مقيمان بالمعروف حيث تقيم
وان وجود الجود في كل بلدة ... اذا لم يكن يحيى بها لغريب
اعطاك قبل سؤالهِ ... فكفاك مكروه السؤال

سأترك اغنائي عن الناس كلهم فاغنيتني عنهم وعنك جميعا
واحسن وجه في الورى وجه محسن وايمن كف في الورى كف منعم
لم يدعني وفي يميني فضل لندى غيره ولا في شمالي
ارى الناس خلاً ان الجواد ولا ارى بخيلاً له في العالمين خليلُ
لافرق في ناطق بالشرك عندهم وناطق في جواب السائلين بلا
لعمري لنعم الغيث غيث اصابنا ببغداد من ارض الجزيرة وابله
ونعم الفتى والبيد بيني وبينهُ بعشرين الفاً حبيبتنا رسائله
لعمري ما النائي البعيد بنازحٍ اذا قربت الطافهُ ونوائله
وما ضرنا ان السماك مملق بعيد اذا جادت علينا هواطله
يقول اناس لو جمعت دراهماً وكيف ولم اخلق لجمع الدراهم
ابى الله الا ان تكون دراهمي مدى الدهر نهبي بين عافٍ وغانم
ولو نزل الاضياف ليلة لا قرى لاطعمتهم لحمي واسقيتهم دمي
وحكمني حتى لو اني سألتهُ شبابي وقد ولى بهِ الشيب رده
ما زال يهذي بالمكارم والعلى حتى ظننا انهُ محمومُ
فتى كملت اخلاقهُ غير انهُ جواد فلا يبقي من المال باقيا
يعد ما انفق من مالهِ غنماً وما اوفر غرما
ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليلُ
العرض ليس يصونهُ مال اذا ما المال عند حقوقهِ لم يبذل
كريم رأى الاقلال عاراً فلم يزل اخا طلبٍ للمال حتى تمولا
فلما أفاد المال عاد بفضلهِ على كل من يرجو جداه مؤملا

الحلم والحلماء

قيل الحلم تجرع الغيظ ودعامة العقل . وقيل ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتصر ولكن الحليم من ظلم فحلم فاذا قدر غفر . وقالت الفلاسفة الحلم فضيلة النفس يكسبها الطمأنينة ولا يحركها الغضب . وقيل الحلم والاناءة توءمان ينتجهما علو الهمة . وقيل لعمر بن الاهتم من اشجع الناس . فقال من ردّ جهلهُ حلمهُ . وقيل ليس التاج

الذي يفتخر بهِ العلماء والملوك فضة او ذهبًا لكنهُ الوقار المكلل بجواهر الحلم

دفع ازدشير بن بابك ثلاثة كتب الى رجل يقوم على راسهِ وقال لهُ . اذا رأيتني قد غضبت فادفع اليَّ الاول . وكان فيهِ « امسك فلست بالهٍ وانما انت جسد يوشك ان يأكل بعضهُ بعضًا » . فان لم اندم . فادفع اليَّ الثاني . وكان فيهِ « ارحم عباد الله يرحمك الله » . والاَّ فالثالث وكان فيهِ . « احمل عباد الله على حقهِ »

ومرَّ النبي (صلعم) بقوم يربعون حجرًا فقال . ان اشدكم من ملك نفسهُ عند الغضب . وقيل الكظم يدفع محذور الندم كالماء يطفي حر الضرم . وقال احدهم كظم يتردد في حلقي احب اليَّ من نقص اجد في خلقي . وقال الله تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » قيل لحكيم اي الاحمال اثقل فقال الغضب . وقيل لابي عباد اي ابعد من الرشاد السكران ام الغضبان فقال الغضبان لا يعذره احد في ذنب يجترمهُ وما اكثر ما يغدر السكران . وقيل من غضب من غير ذنب رضي من غير عذر . وقيل من فاتهُ الدين والمروَّة فرأس مالهِ الغضب . وقال حكيم اياك وعزة الغضب فانها تصير بك الى ذل الاعتذار . وقيل اسرع الناس رضًا اسرعهم غضبًا كالحطب اسرعهُ خمودًا اسرعهُ وقودًا . وشتم حليم سفيهًا وهو ساكت . فقال اياك اعني . فقال وعنك اغضي . وقيل من كرم اصلهُ لان قلبهُ . وقيل من امارات الكرم الرحمة . ومن امارات اللؤم القسوة . وقال الله تعالى في العفو « وليعفو وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم » . وقال ايضًا « خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلية » . وقال الاحنف اياكم وحمية الاوغاد . قيل وما حميتهم . قال يرون العفو مغرمًا والبخل مغنماً . وقيل من شكر الموهوب العفو عن الذنوب والاحتمال قبر العيوب . وقيل لذة العفو اطيب من لذة التشفي لان لذة العفو يتبعها حمد العاقبة ولذة التشفي يتبعها غم الندامة . وقيل للاسكندر اي شيء انت بهِ اسرُّ مما ملكت . قال مكافأة من احسن اليَّ باكثر من احسانهِ وعفوي عمن اساء بعد قدرتي عليهِ . وقال المأمون : الحلم يحسن بالملوك الا في ثلاثة قادح في ملك ومتعرض لحرمة ومذيع لسرّ . وقال السفاح : الحلم يحسن الاَّ ما اوضع الدين واوهن السلطان . وقال الامام عمر .

لئن يخطىء الامام في العفو خير له من ان يخطي في العقوبة . وقال الامام علي اذا قدرت على العدو فاجعل العفو شكر قدرتك . ظفر الاسكندر ببعض الملوك فقال له ما اصنع بك . قال ما يجمل بالكرام ان يصنعوه اذا ظفروا . فخلى سبيله ورده الى مملكته . ولما ظفر انوشروان ببزرجمهر قال الحمد لله الذي اظفرني بك . فقال كافيّ من اعطاك ما تحب بما يحب

وقال معاوية : العقوبة الام حالات ذي القدرة . وقال حكيم . من شفى غيظه لم يجب شكره . وقيل التشفي طرف من الجزع فمن رضي ان لايكون بينه وبين الظالم الا ستر رقيق وحجاب ضعيف فلينصف . وقيل عفو العزيز اعزّ له وعفو الذليل اذل له . وقال بعض الملوك . انما نملك الاجساد دون النيات ونحكم بالعدل لا بالهوى ونفحص عن الاعمال لا عن السرائر . وقال النبي (صلعم) الا اخبركم بشركم من اكل وحده وضرب عبده ومنع رفده . الا اخبركم بشر من ذلك . من لا يقبل معذرة ولا يقبل عثرة . وقيل لاعيب مع اقرار ولا ذنب مع استعفاء . سمع حكيم رجلاً يقول ذنب الاصرار اولى بالاغتفار . فقال صدق والله ليس فضل من عفا عن السهو القليل كمن عفا عن العمد الجليل . وقال ابن المعتز تجاوز عن مذنب لم يسلك بالاقرار طريقاً حتى اتخذ من رجائك رفيقاً . وقال الفضل بن مروان لرجل عاتبه : بلغني انك تبغضني . فلم ينكر الرجل وقال : انت كما قال الشاعر

فانك كالدنيا نذم صروفها ونوسعها ذماً ونحن عبيدها

اتي المنصور برجل اذنب فقال : ان الله يأمر بالعدل والاحسان فان اخذت في غيري بالعدل فخذ فيّ بالاحسان . فعفا عنه

قال الشعبي لابن بسرة وقد كلمه في قوم حبسهم : ان حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم وان حبستهم بحق فالعفو يكفيهم . فامر باطلاقهم

قال رجل لمعن : ما على المذنب اكثر من الرجوع فهل على من لم يذنب اكثر من الاعتذار

وقال الرشيد لمذنب : لاضربنك حتى تقر بالذنب . فقال هذا خلاف ما امر الله تعالى به لانه امر ان يضرب الناس حتى يقروا بالايمان وانت تضربني حتى اقر بالكفر . فخجل الرشيد وعفا عنه

انقطع عبدالملك عن اصحابهِ فانتهى الى اعرابي فقال اتعرف عبد الملك . قال نعم جائر بائر . قال ويحك انا عبدالملك . قال لا حياك الله ولا بيّاك ولا قربك اكلت مال الله وضيعت حرمتهُ . قال ويحك انا اضرُّ وانفع . قال لا رزقني الله نفعك ولا دفع عني ضرّك . فلما وصلت خيلهُ علم صدقهُ فقال يا امير المؤمنين اكتم ما جرى فالمجالس بالامانة

عثر جعفر بن سليمان برجل سرق درة فباعها . فلما بصر بالرجل استحيى . فقال لهُ الم تكن طلبت هذه الدرة مني فوهبتها لك . فقال نعم فخلى سبيلهُ

كان ركن الدولة يومًا في الدار بحيث لا يُرى . فدخل فرّاش فرأى طاسًا من ذهب ولم يكن بصر بهِ احد فتناولهُ وخرج . فرآه ركن الدولة ولم يعلم بهِ . فلما استقصى عليهِ الخدم قال دعوه فان من اخذه لم يأخذه على ان برده ورائيهِ لا يريد ان يذكره . فبينما كان الفرّاش يومًا يصب ماء على يده وعليهِ ثياب فاخرة قال لهُ ركن الدولة . هذه الثياب من ذلك الطاس . وكان الفرّاش صبورًا . فقال نعم ايها الامير وغير ذلك من اثر النعم . فعفا عنهُ

قال غلام هاشمي اراد عمهُ ان يجازيهِ لسهو منهُ . ياعم اني قد اسأت وليس معي عقلي فلا تسيءْ ومعك عقلك

اعتذر رجل الى المنتصر فقال اتراني اتجاوز بك حكم الله حيث يقول « ليس عليكم جناح فيما اخطأتم بهِ ولكن ما تعمدت بهِ قلوبكم وكان الله غفورًا رحيماً »

قال هاشمي للمأمون من حصل لهُ مثل التي ولبس ثوب حرمتي واسلف مثل مودتي وغفر لهُ فوق زلتي . فقال صدقت وعفا عنهُ

غضب عبدالملك على رجل فلما أُتي بهِ قال السلام عليك يا امير المؤمنين . فقال لا سلم الله عليك . فقال ما هكذا امر الله انما قال تعالى « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها » وقال « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم » فعفا عنهُ

وكان عمرو رضي الله عنهُ يعس ليلةً فسمع غناء رجل من بيت فتسور عليهِ فرآه مع امرأة يشربان الخمر فقال يا عدوّ الله ارأيت ان يسترك الله وانت على معصية فقال يا امير المؤمنين لا تعجل . ان كنت عصيت الله في واحدة فقد عصيت الله في

ثلاث فقد قال الله تعالى « ولا تجسسوا » وقد تجسست . وقال « وائتوا البيوت من ابوابها » وقد تسوّرت عليّ . وقال « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » وقد دخلت بغير سلام . فقال عمرو اسأت فهل تعفو . فقال نعم وعلى ان لا تعود

اتى الحجاج برجل من اصحاب ابن الاشعث فقال له افيك خير ان عفوت عنك . فقال لا . قال ولمَ . قال لاني كنت خاملاً فرفعتني والحقتني بالناس فخرجت مع ابن الاشعث لا لدين ولا لدنيا ومعي الحماقة التي لا تفارقني ابدًا ولا افلح معها سرمدًا . فضحك منه وخلى سبيله

اتي معن بن زائدة باسرى فامر بضرب اعناقهم . فتام غلام منهم فقال . انشدك الله ايها الامير ان لا تقتلنا ونحن عطاش . فقال اسقوهم . فلما شربوا قال . ناشدتك الله ان قتلت ضيفانك . قال احسنت وخلى سبيلهم

همّ الازارقة بقتل رجل . فقال امهلوني لاركع . فنزع ثوبه واتزر ولبى واظهر الاحرام . فخلوا سبيله لقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام »

ولما أتي عمرو رضي الله عنه بالهرمزان اراد قتله . فاستسقى ماء . فأتوه بقدح فامسكه بيده فاضطرب وقال . لا تقتلني حتى اشرب هذا الماء . فقال نعم . فألقى القدح من يده . فأمر عمر بقتله . فقال اولم تؤمنني وقلت لا اقتلك حتى تشرب هذا الماء . فقال عمر قاتله الله اخذ امانًا ولم نشعر به

غضب رجل على عبده . فقال اسألك بالله ان علمت اني لاطوع لك منك لله فاعف عني عفا الله عنك . فعفا عنه

وقال رجل لامير غضب عليه . اسألك بالذي انت اذل بين يديه غدًا مني بين يديك الاّ ما عفوت عني . فعفا عنه

جنى غلام للحسن بن علي فامر بعقابه . فقال يا مولاي ان الله تعالى قد مدح قومًا فكن منهم . فانه يقول « والكاظمين الغيظ » فقال خلوا سبيله . قال وقد قال « والعافين عن الناس » قال قد عفوت عنك . قال وقد قال « والله يحب المحسنين » قال انت حرٌّ لوجه الله تعالى ولك من المال كذا

استعفى رجل من مصعب بن الزبير فعفا عنهُ فقال اجعل ما وهبت لي من حياتي في خنصرٍ . فاعطاهُ مائة الف . فقال الرجل اني قد جعلت نصفها لابن قيس الرقيات لقولهِ

انما مصعب شهاب من الله م تجلت عن وجههِ الظلماء

فقال لهُ مصعب هذا لك وعلينا ان نعطيهِ ذلك

أُتي عبدالله بن زياد بخارجيٍّ فامر بقتلهِ . فقال ان رأيت ان تؤخرني الى غد فامر بتأخيره . فقال

عسى فرج يأتي بهِ الله انهُ لهُ كل يومٍ في خليقتهِ امرُ

فعفا عنهُ

غضب المأمون على علي بن الجهم فقال لآخذنَّ مالك ولاقتلنك اقتلوه . فقال احمد بن ابي داود . اذا قتلتهُ فمن ابن تأخذ المال يا امير المؤمنين . قال من ورثتهِ . فقال حينئذٍ تأخذ مال الورثة وامير المؤمنين يأبى ذلك . فقال يؤخر حتى يستصفى مالهُ . وانفض المجلس وسكن غضبهُ وتوصل الى خلاصهِ

غضب الرشيد على رجل فقال لهُ جعفر . غضبت لله فاطع لله في غضبك بالوقوف الى حال التبين كما غضبت لهُ

قيل ما عنا عن الذنب من قرَّع بهِ . والعفو مع العذل اشد من الضرب على ذي العقل . فربَّ قولٍ انفذ من صول وعفو اشد من انتقام . وقال بعض الادباء . من غرس شجرة الحلم اجتنى ثمرة السلم . وقال ابو الدرداء لرجل اسمعهُ كلامًا . يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصلح موضعًا فانا لا نكافئُ من عصى الله فينا باكثر من ان نطيع الله عزَّ وجل فيهِ . وشتم رجل الشعبي فقال . ان كنت كما قلت فغفر الله لي وان لم اكن كما قلت فغفر الله لك . وقال النبي (صلعم) اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرًا للقدرة عليهِ . وقال بعض البلغاء احسن المكارم عفو المقتدر وجود المنتقر . وقال بعض الحكماء . احتمال السفيهِ خير من التحلي بصورتهِ والاغضاء عن الجاهل خيرٌ من مشاكلتهِ . وقيل للاسكندر ان فلانًا وفلانًا ينقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهما . فقال هما بعد العقوبة اعذر في تنقصي وثلبي . فكان هذا تفضلاً منهُ وتألفًا

وقال الاحنف . ما عاداني احد قط الاَّ اخذت في امرهِ باحدى ثلاث خصال ان كان اعلى مني عرضت لهُ قدرهُ . وان كان دوني رفعت قدري عنهُ . وان كان نظيري تفضلت عليهِ

وقيل في منثور الحكم : الحلم حجاب الآفات . واكرم الشيم ارعاها للذمم . ومن ظهر غضبهُ قلَّ كيدهُ . وقال بعض الادباء : غضب الجاهل في قولهِ وغضب العاقل في فعلهِ . وقال بعض الحكماء : اذا سكت عن الجاهل فقد اوسعتهُ جواباً وأَوجعتهُ عقاباً . وقالت الحكماء : ثلاثة لا يعرفون الاَّ في ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد الاَّ في العسرة والشجاع الاَّ في الحرب والحليم الاَّ في الغضب . وقال بعض الحكماء : العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم . وقال عمرو بن العاص : اكرموا سفهاءكم فانهم يسومونكم العار والشنار . قال سلمان لعلي بن ابي طالب . ما الذي يباعدني عن غضب الله عزَّ وجل . قال لا تغضب . وقال بعض البلغاء : من ردَّ غضبهُ هدَّ من اغضبهُ . وقال رجل لبعض الحكماء : عظني . قال لا تغضب فينبغي لذي اللب السوي والحزم القوي ان يتلقى قوة الغضب بحلمهِ فيصدها ويقابل دواعي شرّه بحزمهِ فيردها ليحظى باجل الخير وليسعد بحميد العاقبة . شكا رجل الى النبي (صلعم) القسوة . فقال اطلع في القبور واعتبر بالنشور . وكان بعض الملوك اذا غضب القى عندهُ مفاتيح ترب الملوك فيزول غضبهُ . وقال عمر بن الخطاب : من اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير . وكتب ابرويز الى ابنهِ شيرويه « ان كلمة منك تسفك دماً واخرى منك تحقن دماً وان نفاذ امرك مع كلامك فاحترس في غضبك من قولك ان تخطئ ومن لونك ان تتغير ومن جسدك ان يخف فان الملوك تعاقب قدرة وتعفو حلماً . وقال بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لؤم . وقال النبي (صلعم) : ينادي مناد يوم القيامة من لهُ اجر على الله عز وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس . ثم تلا : فمن عفا واصلح فأَجرهُ على الله . وقال رجاء بن حياة لعبد الملك بن مروان في اساري ابن الاشعث : ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو . وقال النبي (صلعم) : الخير في ثلاث خصال فمن كنَّ فيهِ فقد استكمل الايمان من اذا رضي لم يدخلهُ رضاه في باطل واذا غضب لم يخرجهُ غضبهُ من حق واذا قدر عفا . واسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاماً

فقال عمر أردت ان يستفزني الشيطان لعزّة السلطان فأنال منك اليوم ما تنالهُ مني غدًا انصرف رحمك الله . قال النبي (صلعم) ما ازداد احد بعفو الاَّ عزًّا فاعفوا يعزكم الله . وقال بعض البلغاء ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ولا من شروط الكرم ازالة النعم . وقال المأمون لابراهيم بن المهدي : اني شاورت في امرك فاشاروا عليَّ بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت القتل للازم حرمتك . فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت بهِ العادة في السياسة الاَّ انك ابيت ان تطلب النصر الاَّ من حيث ما عودتهُ من العفو فان عاقبت فلك نظير وان عفوت فلا نظير لك وانشد :

البرّ بي منك وطأ العذر عندك لي ... فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك لي فاحتج عندك لي ... مقام شاهد عدل غير متهم
لئن حمدتك معروفًا مننت بهِ ... اني لفي اللؤم احظى منك بالكرم
تعفو بعدل وتسطو ان سطوت بهِ ... فلا عدمناك من عافٍ ومنتقم

المروءة وأربابها

قال النبي (صلعم) من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءتهُ وظهرت عدالتهُ ووجبت اخوتهُ . وقال بعض البلغاء من شروط المروءة ان يتعفف عن الحرام ويتصلف عن الآثام وينصف في الحكم ويكف عن الظلم ولا يطمع فيما لا يستحق ولا يستطيل على من لا يسترق ولا يعين قويًّا على ضعيف ولا يؤثر دنيًّا على شريف ولا يسرّ ما يعقبهُ الوزر والاثم ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم . وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال العقل يأمرك بالانفع والمروءة تأمرك بالاجمل . وقال النبي (صلعم) ان الله يحب معالي الامور واشرافها ويكره دنيها وسفسافها . وقال عمر بن الخطاب : لا تصغرن همكم فاني لم ارَ اقعد عن المكرمات من صغر الهمم . وقيل الهمة راية الجد وقال بعض البلغاء : علو الهمم بذر النعم . وقال بعض العلماء : اذا طلب رجلان امرًا ظفر بهِ اعظمهما مروءة . وقال بعض الادباء : من طلب النماس المعالي بسوء الرجاء لم ينل جسيماً . وقال النبي (صلعم) ما هلك امرؤ عرف قدره . وقيل لبعض

الحكماء : من اسوأ الناس حالاً . فقال من بعدت همتهُ واتسعت امنيتهُ وقصرت آلتهُ وقلت مقدرتهِ . وقال بعض الحكماء : تحببوا المنى فانها تذهب ببهجة ما خولتم وتستصغرون بها نعمة الله عليكم . وقيل الحظوظ كالسحاب الذي يمسك عن منابت الاشجار الى مغايض البحار وينزل الى حيث يصادف من خبيث وطيب فان صادف ارضاً طيبة نفع وان صادف ارضاً خبيثة ضرّ كذلك الحظ ان صادف نفساً شريفة نفع وكان نعمة عامة وان صادف نفساً دنية ضرّ وكان نقمة طامة . دعى موسى بن عمران على قوم بالعذاب فأوحي اليهِ قد ملكت اسفلها على اعلاها . فقال يا رب كنت احب لهم عذاباً عاجلاً . فأوحى الله تعالى اليهِ : اوليس هذا كل العذاب العاجل الاليم . وقيل شرف النفس مع الهمة اولى من علو الهمة مع دناءة النفس لان من علت همتهُ مع دناءة نفسهِ كان متعدياً الى طلب ما لا يستحقهُ ومتخطياً الى التماس ما لا يستوجبهُ ومن شرفت نفسهُ مع صغر همتهِ فهو تارك لما يستحق ومقصر عما يجب لهُ والفضل بينهما ظاهر وان كان لكلاهما من الذم نصيب

وقيل لبعض الحكماء . ما اصعب شيء على الانسان . قال ان يعرف نفسهُ ويكتم الاسرار فاذا اجتمع الامران واقترنا بشرف النفس وعلو الهمة كان الفضل بهما ظاهراً وافراً ومشاق الحمد مسهلة وشروط المروءة بينهما متينة

ونقسم شروط المروءة الى قسمين . شروط المروءة في النفس وشروطها في الغير . فاما شروطها في النفس ففي ثلاثة امور وهي العفة والنزاهة والصيانة . فأما العفة فنوعان احدهما العفة عن المحارم والثاني العفة عن المآثم وفي ذلك يقول الشاعر

الموت خيرٌ من ركوب العار والعار خيرٌ من دخول النار

والله من هذا وهذا جاري

والداعي الى ذلك شيئان ارسال الطرف واتباع الشهوة . قال عيسى بن مريم عليهِ السلام : اياكم والنظرة بعد النظرة فانها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة . وقال الامام علي : العيون مصايد الشيطان . وقال حكيم من ارسل طرفهُ استدعى حتفهُ

قيل شرُّ الناس من لا يبالي ان يراه الناس مسيئاً . وقيل من يزرع خيراً يحصد

زرعهُ غبطة . وقال بعض الحكماء انما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال . وجاء في الحديث « المؤمن غرٌّ كريم والفاجر خبٌّ لئيم »

واما العفة عن المآثم فنوعان احدهما الكف عن المجاهرة بالظلم . والثاني زجر النفس عن الاسرار بخيانة . فاما المجاهرة بالظلم فعتو مهلك وطغيان متلف وهو يؤول ان استمر الى فتنة او جلاء فأما الفتنة في الاغلب فتحيط بصاحبها وتنعكس عن البادئ بها فلا تنكشف الاَّ وهو بها مصروع كما قال الله تعالى « ولا يحيق المكر السيئ الاَّ بأهلهِ » وجاء في الحديث « الفتنة نائمة فمن ايقظها صار طعاماً لها ». وقال جعفر بن محمد . الفتنة حصاد للظالمين . وقال بعض الحكماء صاحب الفتنة اقرب شيء اجلاً واسوأ شيء عملاً . والظالم كالنار اذا وقعت في يابس الشجر فلا تبقي معها مع تمكنها شيئاً حتى اذا افنت ما وجدت اضمحلت وخمدت فيكون الظالم مهلكاً ثم هالكاً . وجاء في الحديث . « اطلبوا الفضل والمعروف عند الرحماء من ان تعيشوا في اكنافهم فترون آثار الله تعالى في الظالمين فان لهُ فيهم غيرا وتتصورون عواقب ظلمهم فان فيها مزدجرا » . وورد في الحديث « من اصبح ولم يف ظلم احد غفر الله له ما اجترم » وورد عن النبي (صلعم) انهُ خاطب علياً قائلاً : يا علي اتقِ دعوة المظلوم فانهُ انما يسأل الله حقهُ وان الله لا يمنع ذا حق حقهُ . وورد في منشور الحكم ويل للظالم من يوم المظالم . وقال بعض الحكماء من جار حكمهُ اهلكهُ ظلمهُ . والاستسرار بالخيانة بذاء مهينة ولو لم يكن من ذم الخيانة الاَّ ما يجدهُ الخائن في نفسهِ من المذلة لكفاه زاجراً ولو تصوَّر عقبى امانتهِ وجدوى ثقتهِ لعلم ان ذلك من اربح بضائع جاههِ واقوى شفعاء تقدمهِ مع ما يجد في نفسهِ من العز ويقابل عليهِ من الاعظام . وورد في الحديث « ادِّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك » . وقيل الامانة مؤداة الى البرّ . وقال بعض الحكماء . من التمس اربعاً باربعٍ التمس مالا يكون . من التمس الجزاء بالرياء التمس مالا يكون . ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس مالا يكون . ومن التمس وفاء الاخوان بغير وفاء التمس مالا يكون ومن التمس العلم براحة الجسد التمس مالا يكون . والداعي الى الخيانة شيئان المهانة وقلة الامانة فاذا حسمها عن نفسهِ بما ذكر ظهرت مروءتهُ

واما النزاهة فنوعان . احدها النزاهة عن المطامع الدنية . والثاني النزاهة عن

مواقف الريبة

فاما المطامع الدنية فلأن الطمع ذل والدناءة لؤم وهما ادفع شيء للمروءة . والباعث على ذلك شيئان . الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما أُوتي وان كان كثيرًا لاجل شرههِ ولا يستنكف مما منع وان كان حقيرًا لقلة انفتهِ . وقال احدهم يا رسول الله اوصني . قال عليك باليأس مما في ايدي الناس واياك والطمع فانهُ فقر حاضر واذا صليت صلاة فصلِّ صلاة مودع واياك وما يعتذر منهُ . وقال النبي (صلعم) ان نفسًا لا تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم ابطاء الرزق على طلبهِ بالمعاصي فان الله عزَّ وجل لا يدرك ما عنده الاَّ بطاعتهِ

وسئل محمد بن علي عن المروءة فقال : ان لا تعمل في السرّ عملاً تستحي منهُ في العلانية . وقف رسول الله ليلة مع زوجتهِ صفية على باب مسجد يحادثها وكان معتكفًا فمرَّ بهِ رجلان من الانصار فلما رأياه اسرعا فقال لهما : على رسلكما انها صفية بنت يحيى . فقالا سبحان الله اوفيك شك يا رسول الله . فقال رأيت ان الشيطان يجري من احدكم مجرى لحمهِ ودمهِ فخشيت ان يقذف في قلبيكما سوءًا

واما الصيانة وهي الثالث من شروط المروءة فنوعان . احدها صيانة النفس كفايتها وتقدير مادتها والثاني صيانتها عن عمل المنن من الناس . واما التماس الكفاية وتقدير المادة فلان المحتاج الى الناس كل منهضم ذليل مشتغل وهو لما فطر عليهِ محتاج الى ما يستمده ليقيم اود نفسهِ ويدفع ضرورة وقتهِ . وقد قالت العرب في امثالها . كلب جوال خير من اسد رابض . وما يستمده نوعان لازم وندب . فاما اللازم فهو ما اقام بالكفاية وافضى الى سد الخلة وعليهِ في طلبهِ ثلاثة شروط : احدها استطابتهُ من الوجوه المباحة وتوقي المحظورة فان المواد المحرمة مستخبثة الاصول ممحوقة المحصول ان صرفها في بر لم يؤجر وان صرفها في مدح لم يشكر . وقد ورد في الحديث : لا يعجبك رجل كسب مالاً من غير حلهِ فان انفق لم يقبل منهُ وان امسكهُ فهو زاده الى النار . وقال بعض الحكماء : شر المال ما لزمك اثم مكسبهِ وحرمك اجر انفاقك ونظر بعض الخوارج الى رجل من اصحاب السلطان يتصدق على مسكين فقال : انظر اليهم حسناتهم من سيئاتهم . والثاني طلبهُ من احسن جهاتهِ التي لا يلحقهُ فيها غضن ولا يتدنس لهُ بها عرض فان المال يراد لصيانة

الاعراض لا لابتذالها ولعز النفوس لا لاذلالها . وقال عبد الرحمن بن عوف : يا حبذا المال اصون بهِ عرضي وأرضي بهِ ربي . وقال ابو شبر الضرير

كفى حزنًا اني اروح واغتدي ومالي من مال اصون بهِ عرضي
واكثر ما القى الصديق بمرحبا وذلك لا يكفي الصديق ولا يرضي

وجاء في الحديث . اطلبوا الحوائج من حسان الوجوه

والثالث ان يتأنى في تقدير مادتهِ وتدبير كفايتهِ بما لا يلحقهُ خلل ولا ينالهُ زلل فان يسير المال على حسن التقدير واصابة التدبير اجدى نفعًا واحسن موقفًا من كثيره مع سوء التدبير وفساد التقدير كالبذر في الارض اذا روعي يسيرهُ زكا وان اهمل كثيرهُ اضمحل . وقال محمد بن علي رضي الله عنهُ . الكمال في ثلاثة العفة في الدين والصبر على النوائب وحسن التدبير في المعيشة . وقيل لبعض الحكماء فلان غني . فقال لا اعرف ذلك ما لم اعرف تدبيرهُ في مالهِ فاذا استكمل هذه الشروط فيما يستمدهُ من قدر الكفاية فقد أدّى حق المروءة في نفسهِ . وسئل الاحنف بن قيس عن المروءة فقال العفة والحرفة . وقيل لا تأسف لمال كان فذهب ولا تعجز عن الطلب لوصب ولا نصب

واما الندب فهو ما فضل عن الكفاية وزاد على قدر الحاجة فان الامر فيهِ معتبر بحال طالبهِ فان كان ممن تقاعد عن مراتب الرؤساء وتقاصر عن مطاولة النظراء وانقبض عن منافسة الاكفاء فحسبهُ ما كفاه فليس في الزيادة الاَّ شره ولا في الفضول الا نهم وكلاهما مذموم . وجاء في الحديث خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي . وقال عبدالله بن مسعود : المستغني عن الدنيا بالدنيا كمطفيء النار بالتبن . وقال بعض الحكماء . استرماء وجهك بالقناعة وتسلّ عن الدنيا لتجا فيها عن الكرام فان كان ممن بني بعلوّ الهمم وتحركت فيهِ اريحية الكرم وآثر ان يكون رأسًا ومقدمًا وان يرى في النفوس معظمًا ومفخمًا فالكفاية لا تقلهُ حتى يكون مالهُ فاضلاً ونائلهُ فائضًا . وقيل لبعض العرب : ما المروءة فيكم . فقال : طعام مأكول ونائل مبذول وستر مقبول . وقال رجل لعمر بن الخطاب خدمك بنوك . فقال اغناني الله عنهم . وقال الامام علي لابنهِ الحسن في وصية لهُ : يا بني ان استطعت ان لا يكون

بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا فان اليسير من الله تعالى اكرم واعظم من الكثير من غيره وان كان كل منهُ كثيرًا . وقال زياد لبعض الدهاقين ما المروءة فيكم قال اجتناب الريب فانهُ لا ينبل مريب واصلاح الرجل مالهُ فانهُ من مروءتهِ وقيامهِ بحوائجهِ وحوائج اهلهِ فانهُ لا ينبل من احتاج الى اهلهِ ولا من احتاج اهلهُ الى غيره . وقيل قدم لحاجتك بعض لحاجتك . وجاء في الحديث « من اعياهُ رزق الله تعالى حلالاً فليستدن على الله وعلى رسولهِ » . وقال الامام علي من اراد البقاء ولا بقاء فليبادر الغداء وليخفف الرداء . قيل وما في خفة الرداء من البقاء . قال قلة الدين فان اعوذه ذلك استسماحًا فهو الرق المذل ولذلك قيل لا مروءة لمقلٍّ . وقال بعض الحكماء من قبل صلتك فقد باعك مروءتهُ واذل لقدرك عزه وجلالتهُ . والذي يتماسك بهِ الباقي من مروءة الراغبين واليسير الثافه من صيانة السائلين وان لم يبق لذي رغبة مروءة ولا لسائل تصون اربعة امور

اولاً : جهد المضطر . احدها ان يتجافى ضرع السائلين وابهة المستقلين فيذل بالضرع ويحرم بالابهة وليكن من التجمل على ما يقتضيهِ حال مثلهِ من ذوي الحاجات وقد قيل لبعض الحكماء . متى يفحش زوال النعم . قال اذا زال معها التجمل

ثانيًا : ان يقتصر في السؤال على ما دعتهُ اليهِ الضرورة وقادتهُ اليهِ الحاجة ولا يجعل ذلك ذريعة الى الاغتنام فيحرم باغتنامهِ ولا يعذر في ضرورتهِ وقد قال بعض الحكماء : من ألف المسألة ألفهُ المنع

ثالثًا : ان يعذر في المنع ويشكر على الاجابة فانهُ ان منع فعما لا يملك وان أُجيب فالى ما لا يستحق

رابعًا : ان يعتمد على سؤال من كان للمسئلة اهلاً وكان انجح عندهُ مأمولاً فان ذوي المكانة كثير والمعين منهم قليل ولذلك قال النبي (صلعم) الخير كثير وقليل فاعلهُ . والمرجوّ للاجابة من تكاملت فيهِ خصالها وهي ثلاث احداهن كرم الطبع فان الكريم مساعد واللئيم معاند . وقد قيل المخذول من كانت لهُ الى اللئام حاجة . والثانية سلامة الصدر فان العدوّ الب على نكبتك وحرب في نائبتك . وقد قيل من اوعزت صدره استدعيت شرهُ فان رق لك بكرم طبعهِ ورحمك بحسنى ظفره فاعظم

بها محنة ان يصير عدوّك لك راحمًا وقد قال الشاعر

وحسبك من حادث بامرئٍ ترى حاسديهِ لهُ راحمينا

والثالث ظهور المكنة فان من سأل ما لا يمكن فقد احال وكان كمستنهض المسجون ومسعف المديون وكان بالرد خليقًا وبالحرمان حقيقًا . وقد قال الامام علي من لا يعرف (لا) حتى يقال لهُ لا فهو احمق . ووصى عبدالله بن الاهتم ابنهُ فقال : يا بني لا تطلب الحوائج من غير اهلها ولا تطالبها في غير حينها ولا تطلب ما لست لهُ مستحقًا فانك ان فعلت ذلك كنت حقيقًا بالحرمان

اما شروط المروءة في الغير فثلاثة المؤازرة والمباشرة والافضال . اما المؤازرة فنوعان احدهما الاسعاف بالجاه والثاني الاسعاف في النوائب فاما الاسعاف بالجاه فقد يكون من الاعلى قدرًا والانفذ امرًا . فقد قال بعض الحكماء . اصنع الخير عند امكانهِ يبقى لك حمده عند زوالهِ واحسن والدولة لك يحسن لك والدولة عليك واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك . وقال بعض البلغاء من علامة الاقبال اصطناع الرجال . وقال بعض الادباء بذل الجاه احد الحبائين . وجاء في الحديث « من عظمت نعمة الله عليهِ عظمت مؤونة الناس عليهِ فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرّض تلك النعمة للزوال » وقيل لحكيم اليونان من اضيق الناس طريقًا واملهم صديقًا قال من عاشر الناس بعبوس وجههِ واستطال عليهم بنفسهِ . وقال عدي بن حاتم

كفى زاجرًا للمرء ايام دهرهِ تروح لهُ بالواعظات وتغتدي

وقال النبي (صلعم) خير من الخير معطيه وشرٌ من الشر فاعلهُ . وقيل لبعض الحكماء هل شيءٌ خير من الذهب والفضة قال معطيهما

والاسعاف في النوائب نوعان واجب ومبدع فاما الواجب فما اختص بثلاثة اصناف وهم الاهل والاخوان والجيران . سئل الاحنف بن قيس عن المروءة فقال صدق اللسان ومؤاساة الاخوان وذكر الله تعالى في كل مكان . وقال بعض حكماء الفرس صفة الصديق ان يبذل لك ما لهُ عند الحاجة ونفسهُ عند النكبة ويحفظك عند المغيب . ورأى بعض الحكماء رجلين مصطحبين لا يفترقان فسأل عنهما فقيل

ها صديقان . فقال ما بال احدهما فقير والآخر غني . وقال الامام علي ليس حسن الجوار كف الاذى بل الصبر على الاذى . وقال بعض الحكماء من اجار جارهُ اعانهُ الله واجارهُ . وقال بعض الشعراء

وللجار حق فاحترز من اذائهِ وما خير جار لا يزال مؤاذيا

وقال بعض الشعراء

حق على السيد المرجوّ نائلهُ والمستجار بهِ في العرب والعجم
ان لا ينيل الاقاصي صوب راحتهِ حتى يخص بهِ الادنى من الخدم
ان الفرات اذا جاشت غواربهُ روى السواحل ثم امتدّ في الاكم

واما التبرع فان كان بفضل الكرم وفائض المروءة فقد زاد على شروط المروءة وتجاوزها . وقيل لبعض الحكماء اي شيء من افعال الناس يشبهُ افعال الاله قال الاحسان الى الناس . قال بعض الادباء : ثلاث خصال لا تجتمع في كريم حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملال . وقال بعض العلماء : من هجر اخاه من غير ذنب كان كمن زرع زرعاً ثم حصده في غير اوانهِ . وقال ابو العتاهية

وشر الاخلاّء من لم يزل يعاتب طورًا وطورًا يذم
يريك النصيحة عند اللقاء ويبريك في السرّ بريَ القلم

وقال بعض الحكماء : لا تقطع اخاك الاّ بعد عجز الحيلة عن استصلاحهِ . وقال الاحنف . حق الصديق ان تحتمل لهُ ثلاثًا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة . وقال ابو نواس

لم اوَاخذك اذ جنيت لاني واثق منك بالاخاء الصحيح
فجميل العدوّ غير جميلٍ وقبيح الصديق غير قبيح

وقال بعض الحكماء : لا يفسدك الظن على صديق اصلحك اليقين لهُ . وقال النبي (صلعم) : اياكم والمشارّة فانها تميت الغيرة وتجيي الغرّة . وقال بعض الحكماء من فعل ما شاء لقي ما لم يشاء . وقال بعض الادباء : من نالتهُ اساءتك همّ مساءتك . وقال بعض البلغاء : من اولع بقبح المعاملة اوجع بقبح المقابلة . وقال بعض الحكماء : من كنت سبباً لبلائهِ وجب عليك التلطف لهُ في علاجه من دائهِ . قال لقمان لابنهِ : يا بني كذب من قال ان الشرّ بالشرّ يطفأ فان كان صادقًا

فليوقد نارين ولينظر هل تطفأ احداهما الاخرى وانما يطفئ الخيرُ الشر كما يطفئ الماء النار . وقال البحتري

واقسم لا اجزيك بالشرِّ مثلهُ كفى بالذي جازيتني لك جازيا

وقال النبي (صلعم) : الناس كشجرة ذات جنى وبوشك ان يعودوا كشجرة ذات شوك ان ناقدتهم ناقدوك وان هربت منهم طلبوك وان تركتهم لا يتركوك . قيل وكيف المخرج يارسول الله . قال اقرضهم من عرضك ليوم فاقتك . وقال عبدالله بن العباس : العاقل الكريم صديق كل احد الا من ضره والجاهل اللئيم عدو كل احد الاَّ من نفعهُ . وقال : شرُّ اعدائك داؤك وفي البعد عنهم شفاؤك . وقال بعض الحكماء : شرف الكريم تغافلهُ عن اللئيم . وقيل دواء المودة كثرة التعاهد . وقال بعض الحكماء : رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة . وقال بزرجمهر : من تغير عليك في مودتهِ فدعهُ حيث كان قبل معرفتهِ . وقال لقمان لابنهِ : يا بني لا تترك صديقك الاول فلا يطمئن اليك الثاني يا بني اتخذ الف صديق والالف قليل ولا تتخذ عدوًّا واحدًا والواحد كثير . وقيل للمهلب ابن ابي صفرة : ما تقول في العفو والعقوبة . قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بايهما شئت . وقال الشاعر

اذا انت لم تترك اخاك وزلة اذا زلها اوشكتما ان تفرقا

وقيل في منثور الحكم : لا تأْمنن لملول وان تحلى بالصلة وعلاجه ان يترك على ملالهِ فيمل الجفاء كما ملَّ الاخاء وان كان لزلل لوحظت اسبابهُ . فقد حكي عن خالد بن صفوان انهُ مرَّ بهِ صديقان لهُ فعرج عليهِ احدهما وطواه الآخر . فقيل لهُ في ذلك . فقال نعم عرج علينا هذا بفضلهِ وطوانا ذلك بثقتهِ بنا . وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر اليهِ : لا يدعونك امر تخلصت منهُ الى الدخول في امرٍ لعلك لا تخلص منهُ . وقال بعض البلغاء : من لم يقبل التوبة عظمت خطيئتهُ ومن لم يحسن الى التائب قبحت اساءتهُ . وقال بعض الحكماء : الكريم اوسع المغفرة اذا ضاقت بالمذنب المعذرة . وقال بعض الشعراء

العذر يلحقهُ التحريف والكذبُ وليس في غير ما يرضيك لي اربُ
وقد اسأت فبالقمى التي سلفت الا منتَ بعفوٍ مالهُ سببُ

وقال بعض الحكماء : شافع المذنب خضوعه الى عذرهِ . وقال بعض الشعراء

اقبل معاذير من يأتيك معتذرًا ان برَّ عندك فيما قال او فجرا
فقد اطاعك من يرضيك ظاهره وقد اجلك من يعصيك مستترا

وقد قيل : من سلَّ سيف البغي اغمده في رأسهِ . وقال بعض الحكماء من عاشر اخوانهُ بالمسامحة دامت لهُ مودتهم . وقال النبي (صلعم) اجملوا في طلب الدنيا فان كلاً ميسر لما كتب لهُ منها . وقال : الا ادلكم على شيءٍ يحبهُ الله تعالى . قالوا بلى يارسول الله . قال التغابن للضعيف

وحكى ابن عون ان عمر بن عبيدالله اشترى للحسن البصري ازارًا بستة دراهم ونصف فاعطي التاجر سبعة دراهم . فقال ثمنهُ ستة دراهم ونصف . فقال اني اشتريتهُ لرجل لا يقاسم اخاه درهماً

حكي ان فتى من بني هاشم تخطى رقاب الناس عند ابن ابي داود . فقال يا بني ان الاداب ميراث الاشراف ولست ارى من عندك من سلفك ارثًا

واما الافضال فنوعان افضال اصطناع وافضال استكفاف ودفاع . فاما افضال الاصطناع فنوعان احدهما ما اسداه جودًا في شكور والثاني ما تألف بهِ نبوة نفور وقال بعض الحكماء : اقل ما يجب للمنعم بحق نعمتهِ ان لا يتوصل بها الى معصية . وقال اسحق بن ابرهيم الموصلي

يبقى الثناء وتذهب الاموال ولكل دهر دولة ورجال
ما نال محمدة الرجال وشكرهم الاَّ الجواد بمالهِ المفضال
لا ترض من رجلٍ حلاوة قولهِ حتى يصدق ما يقول فعال

واما افضال الاستكفاف فلأن ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمة ومعان فضيلة فان غفل عن استكفاف السفهاء واعرض عن استدفاع اهل البذاء صار عرضهُ هدفًا للمثالب وحالهُ عرضة للنوائب . وقال النبي (صلعم) ما وقى المرء بهِ عرضهُ فهو صدقة . وامتدح رجل الزهري فاعطاه قميصهُ فقال رجل انعطي على كلام الشيطان فقال من ابتغى الخير اتقى الشرّ . وقال النبي (صلعم) اغتنم خمسًا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك

وقال الشاعر

مولى المكارم برعاها ويعمرها ان المكارم قد قلت مواليها

وقال ابو تمام

قوم تراهم غيارى دون مجدهم حتى كأن المعالي عندهم حرمُ

وقال الراعي ومن يغمر بمكرمةٍ فانا سنناها لا يدي الفاعلينا

واليك بعض ابيات في وصف المروءة وارتابها

عشق المكارم فهو معتمد لها والمكرمات قليلة العشاق

تلذ لهُ المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ لهُ الغرامُ

خدم العلى فخدمنهُ وهي التي لا تخدم الاقوام ما لم تخدم

ليس لهُ عيب سوى انهُ لا تقع العين على مثلهِ

ما كنت في غاية الاَّ سبقت ولا طال المدا بك الاَّ زدت احسانا

وحزت بهم لا بل بنفس ابن حرَّة ما آثر يحصى دون احصائها الرملُ

الناس عند عليٍّ حين تذكرهُ كالشوك يذكر بين الورد والآس

فما احسن الدنيا وفي الدار خالدٌ واقبحها لما تجهز غازيا

تنافس الناس في ايام دولتهِ فما يبيعون ساعاتٍ باعوام

اذا خفي القوم اللئام وجدتني مقارن شمس في المجرَّة او بدرِ

ونفسك اكرمها فانك ان تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

لبست من الحوادث كل ثوب سوى ثوب المذلة والهوان

تهين النفوس وهون النفوس م يوم الكريهة اوفى لها

اهين لهم نفسي لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها

قال معاوية لقرشي · ما المروءة · قال اطعام الطعام وضرب الهام · وقيل المروءة ان تعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك · وجاء في القرآن : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » وقيل الحسب احصاء المكارم والنسب احصاء الاباء · وقال عمرو بن معدي كرب في مدح قوم كرام : نعم القوم عند السيف المسلول والخير المسئول والطعام المأكول · وقف اعرابي على قبر عامر بن الطفيل فقال · لقد

كنت سريعًا اذا وعدت بطيئًا اذا اوعدت وكانت هدايتك هداية النجم وجراءتك جراءة الشهم . واخبر بعض الحكماء عن صاحب لهُ فقال : عظمهُ في عيني صغر الدنيا في عينهِ فكان لا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد . وقال رجل للمهدي انك ليوسفي العفو اسماعيلي الصدق شعبي الرفق سليماني الملك داودي الفضل . وقال الشاعر

اقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم احنف في ذكاء اياس

﴿ الوعد والانجاز والمطل ﴾

قال المهلب بوصي ابنهُ يا بني اياك والسرعة عند المسألة بنعم فان مدخلها سهل ومخرجها وعر واعلم ان (لا) وان قبحت فربما افرحت فاذا سئلت ما قدرت عليهِ فاطمع ولا توجب واذا علمت معذرة فاعتذر فالاتيان بالعذر الجميل خير من المطل الطويل

قيل من كثر وعده ووعيده اجترأ عليهِ عدوه وصديقهُ . وقال العتابي

لحسن اعتذار المرء اوفى لعرضهِ من الذم من توكيد وعد يماطله

وقال المتنبي

وفي اليمين على ما انت واعده ما دل انك في الميعاد متهم

وعد ابو الصفر ابا العيناء بشيء . فتقاضاه فقال غدًا . فقال لهُ ان الدهر كلهُ غد فهل عندك وعد يخلو من المعاريض

وللخوارزمي في مماطل

اذا اضحى فموعده مساء وانا أمسى فموعده ضحاء

لابن الرومي

طال المطال متى الوفاء فلا خلو دفحاجة او رد يأسٍ ينفعُ

واعلم باني لا اسرُّ بحاجةٍ الاَّ وفي عمري بها متمتعُ

قيل من بذل لك حلو مقالهِ ومر نوالهِ فهو عدوك المبين . وقيل لابي العيناء كيف تركت فلانًا مع قومهِ قال « يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الاَّ غرورًا » وقال الشاعر

بذل الوعد للاخلاء سمحاً وأبى بعد ذاك بذل العطاء
فغدا كالخلاف يورق للعين م ويأبى الاثمار كل الاباء

وقال الصاحب : سأُنجز الوعد حتى ترى الطل وابلاً والهلال بدرًا كاملاً .

وقف بعضهم على ابي داود وانشد

حتى متى انا موقوف على وجلٍ بين السبيلين لا ورد ولا صدرُ

فقضى حاجتهُ

وقيل او رقت نعمك فليشمر كرمك . وقال حجظة البرمكي

اذا كانت صلاتكم رقاعًا تخطط بالانامل والاكفِّ
ولم تكن الرقاع تجرُّ نفعًا فها خطي خذوه بالف الفِ

وللمتنبي : وان تأخر عني بعض موعده فما تأخر امالي ولا تهنُ
هو الوفي ولكني ذكرت لهُ مودةً فهو ببلوها ويمتحنُ

وقيل وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل

سأل رجل ابا عمرو بن العلاء حاجةً فوعدهُ ثم لم ينجزهُ . فقال اخلفت . فقال ابو عمرو : فمن اولى بالغم . قال الرجل : انا . فقال بل انا لاني وعدتك فابتَ بفرح الوعد وانا أبتُ بهم الانجاز ثم عاق القدر عن بلوغ الارادة فلقيتني مدلاً ولقيتك محتشماً

قيل لبعضهم كيف حالك مع فلان فقال : لا احصل منهُ الاَّ على دق الصدر والجبهة . فقيل كيف . قال اذا سألتهُ دق صدرهُ وقال (افعل) واذا عاودتهُ ونقاضيتهُ دق جبهتهُ وقال (لا قوة الاَّ بالله نسيت)

الشفاعة والشفعاء

قال الله تعالى : « من يشفع شفاعةً حسنةً يكن لهُ نصيب منها ومن يشفع شفاعةً سيئة يكن لهُ كفل منها » . وقال : «الشفاعة زكاة ونصرة اللسان فوق نصرة السنان » . وكان زياد يقول لاصحابهِ : اشفعوا لمن وراءكم فليس كل من اراد السلطان وصل اليهِ ولا كل من وصل استطاع ان يكلمهُ . وقال ابو تمام

واذا امروءٌ اسدى اليَّ صنيعةً من جاهِهِ فكأنها من مالِهِ

قيل لشعبة افنيت مالك واخلقت جاهك في حوائج الناس . فقال : اصونهما للتراب . وقال احدهم يصف شفيعاً

ما تبالي وذا شفيعك لوكنـ ـتَ كعادٍ في غيها وثمودِ
ذاك لوكان في المعاد شفيعاً رضي الله عن جميع العبيد

وقال آخر

ولو ان لي في حاجةٍ الف شافعٍ لما كان فيهم مثل جودك شافعُ

وقال جحظة البرمكي :

ومالي حق واجب غير انني اليكم بكم في حاجتي اتوسلُ

تمت نوادر الكرام

فهرست نوادر الكرام

	صفحة
مقدمة لجامع الكتاب	٣
ما ورد في مدح الكرم وذم البخل	٦
محتويات كتاب نوادر الكرام	٧
القسم الاول « في نوادر البرامكة »	٨
الفضل بن يحيى وزائدة	٨
يحيى بن خالد واحد التجار	٩
مروان بن ابي حفصة وزبيدة ابنة جعفر	٩
الفضل بن يحيى وابو علي بن الجهم	٩
جعفر والرشيد	١٠
ابن العلوي والفضل	١٠
هبات الفضل بن يحيى	١٠
أبان بن عبد الحميد مع البرامكة	١١
حسن شمائل يحيى بن خالد	١١
مديح يحيى بن خالد	١٢
حديث البرامكة في السجن	١٢
جعفر البرمكي واحمد بن جنيد	١٢
جود خالد بن برمك	١٣
العطايا الثلاث التي وهبها الرشيد ويحيى وولداه	١٤
الفضل بن يحيى والشاعر	١٤
« واسحاق الموصلي والجارية	١٤
عمر بن العباس والفضل	١٦
جعفر وعبد الملك بن صالح	١٧
في المكافأة	١٨
سعيد بن سالم الباهلي مع الفضل وجعفر	١٩
الكتاب المزوّر	٣٠
شاعر البرامكة وابو نواس	٣٣
كرم يحيى بن خالد البرمكي	٣٤
جعفر البرمكي مع بائع الفول	٣٦
حكم الوادي ويحيى بن خالد والجارية دنانير	٣٧
اسحق التميمي الشاعر والفضل بن يحيى	٣٨
ابراهيم الموصلي يستوهب بالغناء ثمن ضيعة من البرامكة	٣٨
ماقيل في محمد بن يحيى بن خالد البرمكي	٣٢
يحيى بن خالد واحد الشعراء	٣٢
الفضل بن يحيى والاعرابي	٣٣
مروان بن ابي حفصة وجعفر البرمكي	٣٥
اسحق الموصلي عند الكرماء	٣٦
كرم يحيى بن خالد	٣٧
رثاء امرأة لجعفر	٣٨
المأمون ورائي البرامكة	٣٩
مقتل البرامكة	٤١
مقتل خالد بن جعفر	٤٨
موت يحيى بن خالد البرمكي	٥٠
رثاء بني برمك لسليمان بن برمك	٥١

	صفحة
القسم الثاني « في نوادر معن بن زائدة »	٥٢
عفو معن بن زائدة عن اسراه	٥٢
كرم معن بن زائدة	٥٢
اجارة معن لرجل استغاث به من المنصور	٥٢
جود جعن بن زائدة	٥٤
الاعرابي ومعن بن زائدة	٥٤
معن وبعض اهل الكوفة	٥٥
« ومروان بن ابي حفصة	٥٦
ذكر ما قاله الحسين في معن بن زائدة	٥٦
معن وبعض فصحاء العرب	٥٧
« بن زائدة والثلاث جواري	٥٧
« واحد العامة	٥٨
ما قيل في معن بن زائدة	٥٩
رثاء مروان لمعن بن زائدة	٥٩
القسم الثالث « في نوادر حاتم الطائي »	٦١
حاتم في صغره	٦١
كرم حاتم	٦٢
مفاخرة بين حاتم وسعيد بن حارثة	٦٣
ملك الروم وحاتم الطائي	٦٥
حاتم وامرأته ماوية	٦٥
جود حاتم الطائي	٦٦
يزيد بن حاتم وربيعة الرائي	٦٩
مديح حاتم بعد الوفاة	٦٩
حاتم الطائي بعد الوفاة	٧٠
القسم الرابع « في نوادر الخليفة المهدي »	٧١

	صفحة
ابو دلامة والمهدي	٧١
المهدي وابو دلامة والشاعر	٧٢
« والاعرابي	٧٣
كرم المهدي	٧٣
المهدي والواقدي	٧٤
« واحد العبيد	٧٤
« والمؤمل	٧٤
جود المهدي	٧٦
المهدي والمخنثين	٧٧
« وشعبة الشاعر	٧٨
« وابراهيم بن طهمان	٧٨
« وابو العتاهية الشاعر	٧٨
القسم الخامس « نوادر الخليفة هرون الرشيد »	٧٩
ابرهيم الموصلي عند الرشيد	٧٩
الرشيد والمفضل الضبي	٧٩
ابن الجامع والجارية والرشيد	٨٠
هرون الرشيد والعباس بن الاحنف	٨٠
الرشيد ويحيى البرمكي	٨١
« وهيلانة وابن الاحنف	٨١
« وبركة زلزل	٨٢
« والكسائي	٨٢
القسم السادس « نوادر الامين والمأمون »	٨٣
الامين مع جعفر بن موسى	٨٣

	صفحة
ابو النواس والامين	٨٤
« « وسليمان بن منصور	٨٤
النضر والمأمون	٨٥
المأمون والاعرابي	٨٧
« ومحمد بن الجهم	٨٧
تهنئة العباس للمأمون	٨٨
كرم المأمون	٨٨
القسم السابع « نوادر متفرقة في الكرم »	٨٩
الهادي واسحق الموصلي	٨٩
جعفر بن ابي طالب وابو هريرة	٨٩
سوار القاضي وعبدالله بن طاهر	٨٩
ابو دلامة والي الكوفة	٩٠
« وابو دلف	٩٠
زياد ورجل من بني ضبة	٩١
دعبل وبعض امراء الرقة	٩١
سنان وابو هرم	٩١
كعب بن مامة الايادي	٩٢
عبدالله بن العباس والحسين بن علي	٩٢
عبيدالله بن العباس واحد الانصار	٩٣
سعيد بن العاص ومعاوية ومروان	٩٣
عبدالله بن معمر واحد اهالي البصرة	٩٤
يزيد بن المهلب واحد بني ضبة	٩٥
ابن طوق واحد الشعراء	٩٥
عبدالله بن طاهر ودعبل الشاعر	٩٥

	صفحة
هشام ونصيب بن رياح	٩٦
ليلى الاخيلية والحجاج	٩٦
الحسن بن سهل وعلي بن جبلة	٩٧
المعتصم وابو تمام	٩٧
امتداح ابي البحتري على كرمه	٩٧
كثير وعمرو بن عبد العزيز	٩٨
مروان الشاعر والمتوكل	٩٨
يزيد بن المهلب والحلاق	٩٩
« « « والعجوز	٩٩
ابو جعفر وازهر الشاعر	٩٩
السائل وعبيدالله	١٠٠
احمد بن مطير وعبدالله بن طاهر	١٠٠
العتبي وعمه	١٠١
خزيمة وعكرمة الفياض	١٠١
المرأة الكريمة	١٠٤
جود ملك	١٠٥
الوفاء والفضل والمعروف عند بعض الكرماء	١٠٦
مرثية ابي الحسن الانباري للوزير ابي طاهر	١٠٩
جود عبيدالله بن العباس	١١٠
علي بن ابي طالب والاعرابي	١١٠
ابن عامر والرجل	١١١
خالد بن يزيد والشاعر	١١١
« « عبدالله واحد الشعراء	١١٢

	صفحة
بذل الدراهم لجمع الدرهمين	١١٢
حسن الوفاء	١١٢
ابن العباس وعمر بن الخطاب	١١٣
المروءة والوفاء	١١٥
المتوكل وعبيدالله بن يحيى	١١٦
المستعطي بالحلم	١١٦
البطين الشاعر وابن يحيى الارميني	١١٦
التميمي والفضل بن الربيع	١١٧
الصانع وصائغ الخليفة	١١٧
احسان كريم الى عدوّه	١١٩
الاصمعي واحد الكرماء	١٢٠
والي البصرة والخيزران	١٢١
اكرام ثلاثة اصدقاء مخلصين بعضهم بعضاً	١٢١
ماقيل في اسحق بن عبد الرحمن	١٢٢
رثاء اسحق بن عزيز	١٢٢
عمارة بن حمزة وايوب المكي	١٢٣
« والفضل بن الربيع	١٢٣
الحجاج والرجل	١٢٤
عفو عبد الملك	١٢٤
مدعي النبوة والملك	١٢٤
الحجاج والشيخ	١٢٤
قيس بن سعد والاعرابي	١٢٤

	صفحة
جحظة البرمكي	١٢٥
وصف المعروف والكرم	١٢٥
المتوكل وابرهيم بن المدبر	١٢٥
ابو سعيد وابو تمام الشاعر	١٢٦
الواثق وحسين بن الضحاك	١٢٦
المتوكل وابرهيم بن العباس	١٢٧
الملك المؤيد وصفي الدين الحلي	١٢٨
البحتري وابو تمام	١٢٨
طاهر بن محمد والبحتري	١٢٩
رب المروءة والفقير	١٢٩
عنترة وشداد وسمية	١٣٠
« بن شداد عند كسرى	١٣١
« والاسد « «	١٣٢
« وسمية	١٣٣
مارية ام الحارث وحسان بن ثابت	١٣٤
عفو عمر بن الحارث	١٣٤
عروة بن الورد	١٣٥
زهير وبنو عامر	١٣٥
الجود والاجواد	١٣٦
الحلم والحلماء	١٥٠
المروءة وارتيابها	١٥٧
الوعد والانجاز والمطل	١٦٨
الشفاعة والشفعاء	١٦٩

تمّ الفهرست

﴿ لجامع الكتاب ﴾

« جارٍ طبعها وستنشر تباعاً »

« نوادر العشاق » وهو يحتوي على اشهر نوادر العشاق من الخلفاء وبني عذرة وبني عامر وغيرهم

« نوادر الادباء » يشتمل على ماراق ذكره من نوادر الملوك والخلفاء والفلاسفة والعظماء والوزراء والامراء والخطباء والاذكياء والزاهدين وغيرهم

« سرائر العشاق » رواية غرامية ادبية تصف الحب الطاهر وما يلقاه المحبون من الحزن والنوى وما يتخلل افئدتهم من الشرف والعفاف باسلوب رائق لطيف ومعانٍ تجلت باحسن الاوصاف والطف العبارات والاشعار

« محاضرات الادباء » ومحاورات الشعراء والبلغاء — لابي القاسم حسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني . وهو كتاب لطيف جمع من فنون الادب واحوال مشاهير العرب ونوادر ائمة الاسلام وحكمها ما لا يرى في غيره من الكتب . وقد هذبناه واختصرناه ورتبناه ترتيباً حسناً وعدد صفحاته ار بعمائة صفحة تقريباً

صدر اخيراً : « نوادر الكرام » في الجاهلية والاسلام : ثمنهُ ٥ غروش صاغ او فرنك وثلاثون سنتيماً ومجلداً ٧ غروش صاغ او فرنك و ٨٠ سنتيماً يضاف الى ذلك غرش صاغ (او ٢٥ سنتيم) اجرة البريد

من رام الحصول على قائمة الكتب التي تباع بمكتبة الهلال فليطلبها فترسل اليهِ مجاناً . واذا رغب اصحاب المدارس او رؤَسائها في عقد اتفاق مع المكتبة على تقديم الكتب وغيرها لزوم التلامذة سواء كان من مصر او من الخارج فيصير الاتفاق على الشروط الموافقة مع صاحب المكتبة « ابرهيم زيدان »

﴿ بعض الكتب التي تباع بمكتبة الهلال بمصر ﴾

البريد	الثمن	
ـ ص	ـ ص	
٢٠ ١	١٠	العقد النفيس لتشطير وتخميس ديوان ابن الفارض لناظمه محمد فرغلي
٢	١٠	هدية الملوك في آداب السلوك ليوسف بشتلي
٢٠ ٢	١٢	قطايف اللطائف جزآن
١	٠٤	غرايب الزمان في فتح السودان لمحمود طلعت
٣٠	٠٤	رواية مظالم الاباء لخليل كامل
١٠	٠٢	« تنازع الشرف والغرام لشاكر عازارا ونجيب زلزل
١٠	٠٢	« العاشق في روسيا لخليل الحاج
١٠	٠٢	« حرب آل عثمان مع اليونان لنقولا الياس
٢٠	٤	قلادة العقيق لجميد الغراماطيق لحبيب فارس
٢٠	٠٤	العفة و بهجتها والفساد وشره للاب قسطنطين باشا
٢٠	٠٣	مخابرات الحب السرية ورسائل الدولة النباتية لنسيب مشعلاني
١	٠٤	الجمانة العثمانية لجرجس خولي
٥	٥٠	اكتفاء القنوع بما هو مطبوع لادوارد فانديك
٥	٥٠	التقويم العام لخمسة آلاف عام باللغة العربية والفونساوية والانجليزية للمرحوم ميخائيل دبانة ثمن النسخة من اي طبعة كانت
٢٠ ١	١٥	الخواطر الحسان في المعاني والبيان لجبر ضومط
١	٥٠	التدبير المنزلي لفرنسيس ميخائيل
٢	٢٠	التعزية الحقيقية في الصلوات الالهية للارشمندريتي رافائيل هواويني
١	٠٤	الدروس الحكمية للناشئة الاسلامية لرفيق بك العظم

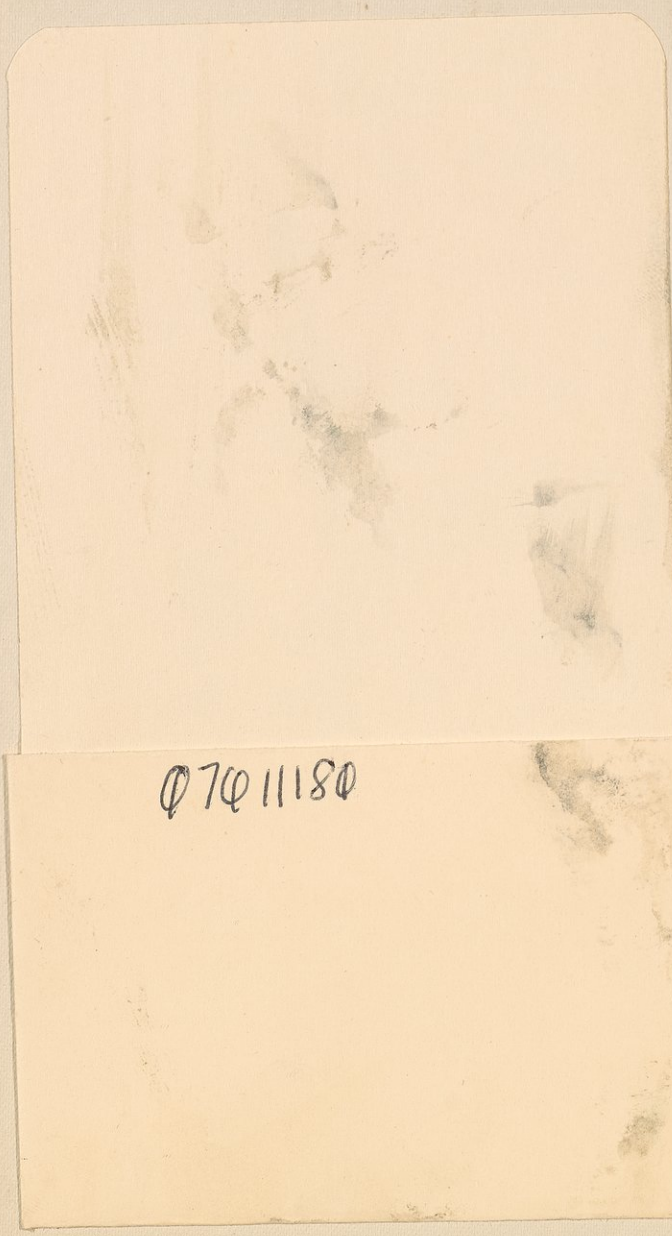

Ф 7Ф 11180

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU58981802
893.712 J9794 Nawadir al-kiram fi